من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام

الدكتور عبد المنعم فؤاد

مكتبة العبيكان

من افتراءات المستشرقين

على

الأصول العقدية في الإسلام

«عرض ونقد»

الدكتور عبد المنعم فؤاد
الأستاذ المساعد بجامعتي الأزهر
والإمام محمد بن سعود الإسلامية

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
عثمان، عبد المنعم فؤاد محمود
من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام. -للرياض.
٢٨٢ ص ؛١٧x ٢٤سم
ردمك: ٠-٨٩٩-٢٠-٩٩٦٠
١ ـ الاستشراق والمستشرقون ٢ـ الغزو الفكري أ ـ العنوان
ديوي ٢١٩,٣ ٢٢/٠٥٧٦

ردمك: ٠-٨٩٩-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/٠٥٧٦

الطبعة الأولى الخاصة بمكتبة العبيكان

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة
ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥
هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ
وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

صدق الله العظيم

إهداء

إلى والدي. الذي كافح كثيراً من أجلي وإخوتي

إلى والدتي؛ منبع العطف والحنان.

ثم إلى أم الشيماء رفيقتي في درب البحث عن الحقيقة

وإلى كل غيور على هذا الدين القويم.

أقدم هذا البحث المتواضع عسى الله أن يجعله في ميزان الحسنات يوم القيامة

إنه قريب مجيب.

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد الله الذي هدانا لقبول عقيدة الإسلام، وحفظها لنا بالقرآن، وأرسل إلينا خير الأنام محمداً عليه الصلاة والسلام، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وعليهم تشهد يوم الزحام، فمن اهتدى بما به اهتدت نال الأمن والسلام، ودخل بفضل الله وكرمه دار السلام بسلام، ومن أعرض عن ذكر ربها وأراد إطفاء سراجها وكذب بما نزل على رسولها فإن الله عزوجل يخبر عنه ويقول: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٢٧﴾(1)

وبعد: فإن أمة الإسلام تواجه كل مطلع شمس غزواً منظماً وجيوشاً من الأفكار الهدامة متلاحقة، تريد تطويق بلاد المسلمين وأرضهم وعقيدتهم لا لجرم اقترفوه، ولا لإثم اكتسبوه وإنما أرادوا الأخذ بيد البشرية إلى عقيدة خالصة تجعل الخلائق في بعد عن عبادة المادة والبشر، إلى عبادة خالق المادة ورب البشر؛ عقيدة تحترم فطرة الإنسان وعقله، وتهذب أخلاقه وشهواته، وتجعله بعيداً عن الرذائل مقبلاً دائماً أبداً على الفضائل.

إلا أن أصحاب الغزو الفكري لم يعجبهم منهج هذه الأمة ولا عقيدتها ولا ما جاء به رسولها، فكذبوا عليها وافتروا وتنمروا بالإسلام وأصوله، وافتروا الكذب على رسوله، وأعدوا العدة وجهزوا الجيوش من كتب وكتيبات وصحف ومجلات

(1) سورة طه الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٧.

وكلمات في التلفاز والإذاعات وهجموا بكل قوة على أمة الإسلام ودينها بأفكارهم وإفكهم، وشككوا في كل ما يتصل بالإسلام، وكان الاستشراق أحد هذه الجيوش الفكرية الغربية التي حاولت النيل من هذا الدين، بل هو من أخطرهم على شباب المسلمين ومثقفيهم لزعمه أنه فكر نير ملتزم بالموضوعية، والأمانة العلمية في البحث والدراسات الإسلامية، ومن ثمّ كتب المستشرقون في كل شيء يتصل بالإسلام وعقيدته وشريعته فرأينا «**جولد تسيهر**» يكتب كتاباً (في العقيدة والشريعة في الإسلام) كله كذب وافتراءات على الإسلام، وله كتاب آخر يسمى (**تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي**).

أما «**فنسك**» وهو من ألد أعداء الإسلام فكتب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

ويأتي «**جب**» ليكتب (**طريق الإسلام**) و(**الاتجاهات الحديثة في الإسلام**) و(**المذهب المحمدي**).

أما «**فون جروبناوم**» اليهودي الألماني فيكتب (**إسلام العصور الوسطى**) و(**محاولات في شرح الإسلام المعاصر**)، وكذلك «**الفرد جيوم**» الإنجليزي الأصل و«**بارون كرادي فو**» الفرنسي النصراني المتعصب و«**نيكولسن**» وغير هؤلاء كثير قد تحالفوا جميعاً في ضرب الإسلام ورسول الإسلام وعقيدة الإسلام، وخير دليل على ذلك مساهمة هؤلاء في إخراج (**دائرة المعارف الإسلامية**) في مجلداتها الضخمة، والتي إن دلت فإنها تدل على أن أعداءنا عرفوا سر قوتنا، وأسباب تفوقنا المتمثل في التمسك بديننا ومبادئنا وأخلاقنا، فكتبوا عن كل ذلك، بل وكتبوا عن البلدان والعادات والتقاليد وكل شيء يتصل بها؛ وما ذلك إلا ليضيفوا ما يريدون من الافتراءات ويشوهوا جمال العقائد والشرائع والعادات، وقد استطاعوا أن يفعلوا ذلك في (**دائرة المعارف**) والتي نأمل أن يفطن إلى الرد عليها جمع غير قليل من المسلمين في مختلف التخصصات لكشف زيف وافتراء هؤلاء، وما هذه الدراسة والتي ركزت فيها على بعض مما افتراه الحاقدون من هؤلاء على الأصول العقدية في الإسلام وتتبعتها بعد العرض بالنقد والرد إلا مجرد مساهمة بسيطة في الدفاع عن هذه الأصول القويمة،

والتي عليها شُيِّد ديننا الحنيف، إذ التشكيك في هذه الأصول والذي قام المستشرقون ـ كما توضح هذه الدراسة ـ يعني الدعوة إلى هجر هذا الدين والبعد عن الصراط المستقيم، والارتماء في أحضان الأوروبيين من نصارى ويهود ووثنيين، أو الالتحاق بركب الملحدين من الشيوعيين والوجوديين وغيرهم من عبَّاد البقر أو الشيطان في أنحاء المعمورة، وهذا هو أمل أهل الاستشراق والذي إليه يهدفون حتى يتسنى لهم دخول بلادنا والتحكم في عقول أبنائنا ومواردنا التي وهبها الله للمسلمين.

ومنذ مائة وخمسين عاماً وحتى الآن أصدر المستشرقون لتحقيق أملهم هذا أكثر من (٦٠ ألف) كتاب عن الإسلام والمسلمين وبلاد المسلمين كما تقول آخر الإحصائيات[١]، ومن ثم أردت أن أصدر هذا الكتاب كي أنبه إخواني من الباحثين أن ما كتب عن الاستشراق وأهدافه وبيان خبثه ووجهه القبيح بيننا حتى الآن لا يكفي، فلا بد للأجيال أن تعرف كيف يتآمر عليها الحاقدون، وكيف يحاول المغرضون هدم هذا الكيان الإسلامي الشامخ الذي بناه خير الخلق رسول الله ﷺ بأمر من ربه، وكان للناس أمناً وأماناً وسيكون بإذن رب العالمين.

وحتى نبين للآباء أن إرسال أبنائهم لجامعات أوروبا لكي يأخذوا رسائل الماجستير والدكتوراه في العقيدة والشريعة واللغة العربية من أفواه هؤلاء لا يصح أن يكون، فلا نأخذ ديننا من أفواه أعدائنا، وهذه الدراسة دليل ساطع على مدى العداء الذي يكنه لنا هؤلاء الأعداء.

وقد جاءت هذه الدراسة بفضل الله تعالى وكرمه في ثمانية فصول:

أولها: حديث عن الاستشراق وأسبابه وأهدافه وأصناف المستشرقين.

ثانيها: عن الأصول العقدية في الإسلام، وكيف افترى عليها المستشرقون وما منهجهم الذي استخدموه في ذلك.

---

(١) راجع موقف المستشرقين من السيرة والسنة ص ٦، ٧ د/أكرم ضياء العمري. دار إشبيليا للنشر والتوزيع.

وثالثها: كان عن نقد هذا المنهج وتفنيد لما قالوه عن العقيدة في الله وصفاته كما جاء به هذا الدين القويم.

أما رابع هذه الفصول: فقد جاء عن عقيدة الإيمان بالملائكة في الإسلام ودفع للشبهات التي أثارها المستشرقون حول هذه العقيدة.

والفصل الخامس: كان بمثابة رد فعل على افتراءات المستشرقين حول عقيدة الإيمان بالقرآن الكريم ودفع للشبه التي أثاروها حوله من ادعاء بأن محمداً ﷺ ألف أو أنه ليس فيه جديد على الناس أو الزعم بأن فيه تناقض.

أما الفصل السادس: فقد كان دفعاً لافتراءات المستشرقين حول عقيدة الإيمان برسالة محمد ﷺ.

والفصل السابع: كان عن عقيدة الإيمان بالآخرة عند المسلمين وإبطال ما قيل حولها.

وجاء الفصل الثامن والأخير: حول عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر ورد ما قيل من أنها عقيدة تواكل وكسل، وأثبتنا أنها عقيدة توكل وعمل.

والله من وراء القصد. وهو الهادي إلى سواء السبيل،

وصلى الله وسلم وبارك على خير المسلمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

الدكتور

عبد المنعم فؤاد محمود عثمان

الرياض ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤١٩ هـ

مقدمـــة الطبعة الثانية

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه.

فهذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب أصدرها بحمد الله سبحانه واهب النعـم، شاكراً له عونه وتوفيقه الدائم.

وقد جاءت هذه الطبعة بعد أقل من ثلاثين شهراً من ظهور الأولى، ومجيئها بهذه السرعة - يبرهن أن التيارات الفكرية بمختلف ألوانها بما فيها التيار الاستشراقي الـذي يحاول بعنف فصل أبناء الأمة عن دينهم ووضعهم في مجال التبعية لغيرهم، هم، وما تحت أيديهم من ثروات طبيعية، وطاقات بشرية لا يستطيع بحال من الأحوال أن يجد له مكاناً في قلوب المخلصين من شباب الأمة، ولا يمكن له أن يشوه رسالة الإسلام ويوقف دورها في قيادة البشرية إلى المسار الصحيح، ولا يمكن أن ينزع حب المسلمين لكتاب ربهم ونبيهم، وعقيدتهم، اتضح لي ذلك جيداً من خلال الرغبات الصادقة التي وجدتها من أبنائي الطلاب، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية [التي أتشرف بالعمل فيها الآن معاراً من جامعة الأزهر] وكذا من الأكثرية من إخواني الباحثين، بأن أتقدم بالمزيد من الدراسة تجاه هذه الأفكار والتيارات القادمة لفضح أصحابها وتنبيه أبنائنا على مدى خطورة ما يخطط لهم في المؤسسات العدائية. وهذه الرغبات من غير شك وكذلك الإقبال على قراءة الكتاب في طبعته الأولى سيدفعني إلى مزيد من الجد والعناية، والله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي وأن يوفقني إلى مزيد من الاجتهاد والدفاع عن دين الحق - إنه قريب مجيب -.

وفي ختام هذه المقدمة لا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وتقديري لأستاذي الدكتور [جميل محمد أبو العلا] نائب رئيس جامعة الأزهر ـ الأسبق ـ وعضو مجمع البحوث الإسلامية وأستاذ العقيدة بالجامعة الأزهرية حيث يعد هذا الكتاب ثمرة من ثمرات توجيهاته المستمرة لي في تتبع أقوال المبطلين وشبه الغالين وأقوال الملحدين وتنبيه أبناء الأمة إليها، والتحذير منها.

ولا أملك إلا أن أدعو الله عزوجل له بمزيد من الصحة والعافية.

كما أقدم الشكر لإدارة دار العبيكان وخاصة الأستاذ عماد ريحاوي مدير الطبع والنشر الذي تابع إخراج هذه الطبعة باهتمام بالغ أسأل الله أن يجزيه عن ذلك خيراً وكذلك الأستاذ محمود الصالح والأستاذ منذر سعد الدين، وبقية الإخوة في دار العبيكان لهم مني الشكر والتقدير، ومن الله الجزاء الطيب.

وأسأله سبحانه أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
الرياض في ١٣/٣/١٤٢١هـ

الفصل الأول

الاستشراق

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: تعريفه وتاريخه ومراحله وخصائصه.

المطلب الأول: تعريفه في المفهوم اللغوي.

المطلب الثاني: بداية الاستشراق وتاريخه الرسمي.

المطلب الثالث: مراحل الفكر الاستشراقي وخصائصه.

المبحث الثاني: أسباب الاستشراق.

المبحث الثالث: أهداف الاستشراق ووسائله.

المبحث الرابع: أصناف المستشرقين.

الفصل الأول

الاســـتشــــراق

المبحث الأول

تعريفه وتاريخه ومراحله وخصائصه

لما كان العمل الاستشراقي لا يقوم على النوايا الطيبة بل هو مزيج من الحق والباطل صار حقاً على الباحث والدارس أن يعنى بتحديد مفهوم الاستشراق والوقوف على معالمه البارزة وآفاقه وأهدافه ليكون على بينة من أمر يمس حياته ودينه.

المطلب الأول: تعريفه: في المفهوم اللغوي:

وكلمة استشراق قد تكون منحوتة من مادة شرق التي لها أصل في اللغة حيث يقال: شرقت الشمس شُرقاً وشروقاً إذا طلعت، وشرق المكان شُرقاً إذا أشرقت عليه الشمس.[1] هذا إذا نظرنا إلى علم الاشتقاق وقواعد الصرف، لكن الكلمة نفسها (استشراق) إذا بحثنا عنها في المعاجم اللغوية القديمة لا نجد لها ذكراً،[2] وهذا يعني أن الكلمة ليست عربية أصيلة بل هي مولدة عصرية. أكدت على ذلك بعض المصادر اللغوية الحديثة تقول: استشرق أي طلب علوم الشرق ولغاتهم يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة.[3] وكما هي مولّدة عصرية في اللغة العربية فهي كذلك في اللغة

(١) المعجم الوسيط ج١ ص ٤٨٠ طبعة ١٩٧٢م. مجمع اللغة العربية.

(٢) راجع لسان العرب لابن منظور ج١ ص ١٧٣ ومعجم مقاييس اللغة ج٣ ص ٢٦٤.

(٣) متن اللغة ج٣ ص ٣١٠.

الأجنبية فقد ظهرت كلمة(مستشرق) Orientalist في إنجلترا سنة ١٧٧٩م، وكلمة Orientalist في فرنسا سنة ١٧٩٩م. ثم أدرجت كلمة الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية Dicde Facademie Francese عام ١٩٣٨م.(١)

وفي المفهوم الاصطلاحي :

ذكرت تعريفات كثيرة لمصطلح الاستشراق تكاد تكون متقاربة منها :

١- ما ذكره الدكتور حمدي زقزوق من أن الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي.

أما كلمة مستشرق فلها معنى عام ومعنى خاص، وفي معناها العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه.

أما المعنى الخاص فيراد به الذي يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي والإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق.(٢)

٢- وقريب من هذا التعريف ما ذكره بعض الباحثين من أن الاستشراق هو اهتمام علماء الغرب بعلوم المسلمين وتاريخهم ولغاتهم، والمستشرق هو العالم الغربي الذي تمكن من هذه الدراسات.(٣)

٣- وهناك تعريف اقترحه الدكتور أحمد عبد الحميد غراب ورأى أن فيه شمولية ودقة عن أي تعريف آخر يقول فيه : «إن الاستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها

---

(١) تراث الإسلام ج١ ص ٧٨ تصنيف شاخت وبوزورث ، عالم المعرفة. الكويت ١٩٨٨م ط٢ .

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص٢٤ ، ٢٥ د/محمود حمدي زقزوق .

(٣) دراسات استشراقية تأليف نخبة من العلماء المسلمين ص٧٢.

غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب ؛ عقيدة وثقافة وشريعة وتاريخاً وتنظيماً... بهدف تشويه الإسلام وتشكيك المسلمين فيه.. وفرض التبعية للغرب عليهم ومحاولة تبريرها عن طريق نظريات تدعي العلمية والموضوعية»(١) .. إلخ

وأرى : أن هذه التعريفات السابقة جعلت معيارها وازن المنطقة التي تنبع منها الدراسات الاستشراقية والمكان الذي يخرج منه الدارسون، بينما الرأي الأصوب عندي أن يكون المعيار خاصة في هذه الآونة المعاصرة هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخاً فذلك سيكون أشمل وأوسع.

وربما يكون سبب استعمال الاصطلاحات السابقة لمفهوم الاستشراق هو النظرة إلى تتبع تاريخ الاستشراق ونشأته في الغرب المسيحي واهتمام الأوربيون بالدراسات الإسلامية والعربية لأهداف -سيأتي الحديث عنها-، وتلك نظرة غير بعيدة عن الصواب، ولكن الواقع يثبت الآن أن الاهتمام بهذه الدراسات اتسع فأصبح غير مقتصر على الغرب فحسب، بل الشرق والغرب يكتب الآن عن الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً ومصدراً إلخ.

نجد ذلك في اليابان والصين وكوريا والهند ودول جنوب شرق آسيا وأمثالهم، وللأسف أغلب هذا الكتابات لا يقصد أصحابها إلا تحقيق الهدف نفسه الذي نشأ من أجله الاستشراق في الغرب.

فهل أصحاب هذه الكتابات من المستشرقين أم لا ؟

من غير شك هم منهم أو على الأقل من ضمنهم.

وبناءً على ذلك، فالقول على أن الاستشراق خاص بالغربيين فقط وخاصة أهل الكتاب منهم كما أشار الدكتور «غراب» قول غير جامع ولا شامل.

---

(١) رؤية إسلامية للاستشراق ص٩.

وأرى أن القول الأدق -من وجهة نظري-

أن الاستشراق «هو دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب سواء من الشرق أو الغرب للإسلام عقيدة وشريعة ولغة وحضارة بقصد التشكيك في هذا الدين القويم وإبعاد الناس عنه»

ووفقاً لهذا التعريف فالمستشرق شخص غير مسلم وغير عربي سواء كان كتابياً أو غير كتابي يهتم بعلوم المسلمين.

ويقترب من هذا التعريف ما ذكره الأستاذ. (عدنان وزان) حيث ينص على أن الاستشراق «مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة.[1]

فهذا التعريف أغفل المكان الذي يخرج منه الدارسون والمنطقة التي تنبع منها هذه الدراسات.

والدكتور (علي النملة) قال بذلك أيضاً، وجعل معيار المفهوم هو الكتابة عن الإسلام، إلا أنه أدخل الكتابات التي يقوم بها غير المسلمين من العرب في التعريف.[2]

وهؤلاء يمكن أن نعدهم من تلاميذ المستشرقين وليسوا من جملتهم ؛ لأنهم يقطنون معنا في البقاع العربية، فلا أحد يقول: إن (نظمي لوقا)[3] أو (فيليب حتي)[4] أو غيرهما من المستشرقين حتى وإن سلكوا مسلك المستشرقين.

فالمستشرقون اسم واسع يشمل طوائف متعددة غير عربية تعمل في ميادين الدراسات الشرقية عامة والإسلامية خاصة.[5] وليس قصدهم التثقيف أو التعليم

(١) راجع بحث د/ النملة في كتاب دراسات استشراقية ص٢٧، ٢٨.

(٢) راجع ص٢٧ دراسات استشراقية.

(٣) كاتب نصراني من مصر له كتابات عن الإسلام فيها كثير من المغالطات.

(٤) لبناني حصل على الجنسية الأمريكية وألف كتبه بالإنجليزية.

(٥) انظر أضواء على التبشير والمبشرين ص٢٤ د/ سلمان سلامة.

وإنما تشكيك المسلمين في دينهم حتى إنك لا تجد لهم بحثاً حول القرآن مثلاً إلا وتجد فيه إيهاماً وتشكيكاً ، وإن لم يسعفهم اللفظ الذي يفيد التشكيك قالوا عبارات عائمة موهمة لكل ما يثير الشك.[1]

والسؤال الآن : متى بدأت الدراسات الاستشراقية حول الشرق عامة أو الإسلام خاصة وهو ما يعنينا في هذا المقام؟

والجواب يحتاج إلى إلقاء نظرة على تاريخ الاستشراق وبداياته.

المطلب الثاني : بداية الاستشراق وتاريخه الرسمي

لاشك أن الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجال اللاهوت النصراني إلى هذا الدين ، ومن هنا بدأ الاهتمام بالإسلام ودراساته.

لكن تحديد نقطة البداية أمر فيه اختلاف عند الباحثين ، إذ البعض يرى أن بدايته كانت أيام الصليبيين ، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري ، وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب (يوحنا الدمشقي) وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين.[2]

ويرى البعض أن الغرب النصراني يؤرخ لبدء وجود (الاستشراق الرسمي) بصدور قرار مجمع فينا الكنيسي في عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية.

ويقول الدكتور (حمدي زقزوق) : ولكن الإشارة هنا إلى الاستشراق الرسمي تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ[3] ، هو على حد تعبير

---

(١) التبشير والاستشراق حملات وأحقاد ص٣٥ ، الأستاذ/ محمد عزت الطهطاوي.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج٢ ص ٦٩٧ دار الندوة العالمية.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص٢٥ د/ حمدي زقزوق.

الدكتور (محمد البهي) بمثابة محاولات فردية[1]، ويكاد المؤرخون يجمعون على أن القرن الثالث عشر بداية رسمية، ثم انتشر بصفة جدية بعد فترة ما يسمى في التاريخ الأوربي عهد الإصلاح الديني.[2]

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية وترجموا معاني القرآن وبعض الكتب العربية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر -وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي- فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق- ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية فيشترونها من أصحابها الجهلة أو يسرقونها من المكتبات العامة... وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا حتى بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.

وقد اهتم الملوك والأمراء هناك بالإغداق على المستشرقين، وحبسوا أوقافاً وأعطوا منحاً لمن يعمل في حقل الاستشراق. وما زالت المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية تؤدي الدور نفسه وتهتم بالاستشراق والمستشرقين في العصر الحديث[3].

المطلب الثالث: مراحل الفكر الاستشراقي وخصائصه:

لقد مر الفكر الاستشراقي في علاقته بالإسلام والمسلمين بمرحلتين:

المرحلة الأول: (يمكن أن نسميها المرحلة العقدية).

وقد بدأت هذه المرحلة مع بداية الاستشراق وإلى عصر الاستعمار المسلح، وكان الفكر فيها موجهاً أولاً إلى الأوربيين. ومن خلالها دأب الفكر الاستشراقي على تصوير

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٤٢٩.

(٢) المصدر السابق ص٤٢٩

(٣) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٨٨، ١٨٩، عمر عودة الخطيب. مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

الإسلام وتقديمه للناس في صورة منفرة تثير الضيق به والتوجس منه والرغبة في الهيمنة عليه خوفاً من ازدياد انتشار هذا الدين بين الأوربيين[1]، ثم تنفير المسلمين منه بعد ذلك، ومن ثم طعنوا في القرآن الكريم والدين القويم بكل ما أوتوا من قوة.

يقول الأستاذ (نذير حمدان): أما المرحلة العقدية فهي تلك المرحلة التي هاجم فيها المستشرقون الإسلام بعنف وضراوة[2] ويقول الأستاذ (أنور الجندي): ولا ريب أن الاستشراق في المجال العقدي يعمل على هدم الإسلام والقرآن[3] وقد ارتبطت هذه المرحلة ارتباطاً كاملاً بالمؤسسات التبشيرية ومعاهد الإرساليات لخلق ظاهرة انتقاص الإسلام وإبعاده عن الحياة.

لكن الملاحظ أن المسلمين في هذه المرحلة كما يقول الدكتور (الدسوقي) لم يكن لهم دراية كاملة بالفكر الاستشراقي على نحو يؤثر في أفكارهم وآرائهم.

وأما ما كان من جدل -أحياناً- بين بعض الرهبان وعلماء الأمة حول العقائد النصرانية والإسلامية فقد كان في نطاق محدود، وبالحجة البينة والدليل المقنع ينتصر علماء الأمة على هؤلاء ويفسدوا ما تذرَّع به أولئك من حجج واهية.[4]

أما المرحلة الثانية: (ويمكن أن تسمى المرحلة السياسية)

وهي المرحلة الجديدة، وقد وجدت مع وجود الغزو الأوربي للعالم الإسلامي مصطحباً معه الفكر الاستشراقي، ولم يعد هذا الفكر مقتصراً على الأوربيين وحدهم وإنما إلى المسلمين، واهتم بعرض أفكاره عليهم اهتماماً كبيراً.

---

(١) انظر: دراسات استشراقية وحضارية، ص١٠١، بحث د/ محمد الدسوقي.

(٢) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص١٥.

(٣) شبهات التغريب، ص ٩١-٩٣، أنور الجندي.

(٤) انظر: بحث د/محمد الدسوقي، ص١٠١، في كتاب دراسات استشراقية.

وقد سمى البعض هذه المرحلة بالمرحلة السياسية، ومن خلالها راوغ الاستشراق وتحايل لكي يجد له مكاناً وقبولاً بين المسلمين، فتراجع عن أسلوب الهجوم، واستعمل أسلوباً أشد مكراً وأسوأ سبيلاً وهو محاولة الدخول في الموضوعات من باب التقدير والمدح حتى يخدع القارئ ويكسب ثقته ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير شبهات خفية متتالية في إطار هذا التقدير العام الكاذب.(1)

حينئذ نشب الصراع الفكري بين علماء المسلمين وبعض المستشرقين، وشمّر علماء الإسلام عن سواعدهم وقابلوا افتراءات هؤلاء ببراهين ردت كيد المستشرقين إلى نحورهم، ثم حذر العلماء أبناء الأمة من هذا الخطر الجديد القادم من الغرب النصراني بأسلوبه الخادع الجديد.

وغالباً ما يكون هذا الأسلوب بعد دخول الاستشراق اليهودي إلى ساحة الاستشراق النصراني، ومن هؤلاء المستشرقين اليهود (ردونسون، وجاك بيرك، وجولد تسيهر) وغيرهم.

ومع وجود التحذير من الثقافات والأفكار الاستشراقية إلا أن هذا الفكر قد ترك تلاميذ تأثروا به إلى يوم الناس هذا بين جموع المسلمين، وعملوا على هدم الأمة والتقليل من حضارتها وتراثها.

يقول الأستاذ (الجندي): إن الاستشراق في المجال السياسي عمل على هدم الأمة العربية واللغة العربية والحضارة والتاريخ.(٣)

---

(١) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص١٣، نذير حمدان.

(٢) شبهات التغريب، ص ٩٢-٩٣.

خصائص الفكر الاستشراقي:

هذا ويتميز الفكر الاستشراقي بخصائص جوهرية تعتبر جزءاً لا يتجزأ من مفهوم الاستشراق ومن أهم هذه الخصائص ما يلي: -

١- الارتباط بالاستعمار:

وبخاصة الاستعمار البريطاني والفرنسي منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم بالاستعمار الأمريكي حتى الآن. فمتى توسع الاستعمار توسعت الدراسات الاستشراقية، فالقاعدة التي لا تتخلف هي أن الاستعمار يصحبه دائماً الاستشراق، إذ الارتباط بينهما ارتباط عضوي، وما من دولة استعمارية غربية إلا ولها مؤسسات استشراقية.(١)

٢- الارتباط بالتنصير:

إن تاريخ التنصير مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الاستشراق، وهما لا ينفصلان عن تاريخ الاستعمار السياسي الفكري والأخلاقي... وقد ظهر هذا الارتباط بين الاستشراق والتنصير والاستعمار في كتابات (ريمو ندلول) و(زويمر) أكبر منصر في الشرق و(الكونت فولني) في كتابه (رحلات إلى مصر وسورية) والذي ظهر عام ١٧٨٧م، وقد أظهر هذا الرجل عداءً جارفاً للإسلام.. ومن ثم مهد السبيل لنابليون لاحتلال مصر.(٢)

ولقد تعاون المستشرقون النصارى مع المستشرقين اليهود في دراسات مشتركة حول الكتاب المقدس (أي العهدين الجديد والقديم)، ثم في دراسات حول الإسلام والمسلمين لكي يتعرفوا سوياً على ثغرات يمكن من خلالها بث الفرقة والفتنة بين المسلمين وتشكيكهم في دينهم تمهيداً لردتهم عنه. وبعضهم كان أو ما زال يمارس فعلاً النشاطات الاستشراقية والتنصيرية بصورة مختلفة ودرجات متفاوتة إلى يوم الناس هذا.(٣)

---

(١) راجع رؤية إسلامية للاستشراق، ص١٠، د/أحمد عبد الحميد غراب.

(٢) الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية. قاسم السامرائي ص٥٢، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - دار الرفاعة للنشر والطباعة والتوزيع.

(٣) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق، ص١٠.

٣- الارتباط الوثيق بصنع القرار السياسي ضد الإسلام والمسلمين :

إن التخطيط الاستشراقي لتنصير العالم الإسلامي أو تدميره جعل ارتباطاً وثيقاً بين الدراسات الاستشراقية وصنع القرار السياسي تجاه المسلمين، فكثير من المستشرقين كانوا أو ما زالوا يعملون مستشارين لحكوماتهم في التخطيط لسياستها الاستعمارية والتنصيرية، فعلى سبيل المثال :-

أ- كان (سنوك هرجر نجى) المستشرق الهولندي يعمل مستشاراً لهولندا في سياستها ضد أندونيسيا المسلمة. الأمر الذي شجع النشاطات التنصيرية وفرض القوانين العلمانية على مواطني هذا البلد المسلم.

ب- وكان (ماكدونالد) المستشرق البريطاني يعمل مستشاراً لحكومته في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شبه القارة الهندية.

جـ - أما (جب) كبير مستشرقي بريطانيا فقد كان مخططاً للسياسة البريطانية والأمريكية الموالية لإسرائيل والمعادية للعرب والمسلمين.

د - أما (ماسنيون) فقد كان مستشاراً للحكومة الفرنسية في تخطيط سياستها ضد المسلمين في شمال أفريقيا وخاصة الجزائر... وقد أدت استشاراته إلى استشهاد أكثر من مليون مسلم جزائري ضد فرنسا الصليبية.

هـ - وما زال (برنارد لويس) المستشرق اليهودي يعمل مستشاراً للحكومتين الأمريكية والإسرائيلية في تخطيط سياستها ضد العرب والمسلمين.

هذا بالإضافة إلى أن الصورة العامة التي كونها المستشرقون عن الإسلام والمسلمين ما زال لها أكبر الأثر على صانعي القرارات في الحكومات الغربية.[١]

---

(١) رؤية إسلامية للاستشراق، ص١١، ١٢.

٤- عدم الالتزام بالموضوعية :

وأيضاً من الخصائص التي يتميز بها الفكر الاستشراقي عن أي فكر آخر أنه غير ملتزم بالموضوعية ولا الأمانة العلمية ، خاصة إذا ما تعرض للإسلام بوجه خاص. ومهما ادعى المستشرقون الالتزام بالموضوعية فإن واقع دراستهم يكذب هذا الادعاء - كما سنرى فيما بعد إن شاء الله- ، ومن ثم رأيناهم يجنحون دائما إلى الحط من قدر الإسلام وتشويه صورته وإصدار أحكام وتعميمات تحقيريه بهدف تنفير المسلمين وإبعادهم عن الإسلام إلى ثقافة الغرب تحت شعار تطوير الإسلام أو الحداثة أو الحوار بين الحضارات أو التقارب بين الأديان[١]

وتحت ستار هذه الشعارت البراقة ضاعت الأمانة العلمية ، وابتعدوا عن الموضوعية ، ودسوا سمومهم في كتبهم ونشروها على أبناء المسلمين ليلوثوا عقولهم ويبعدوهم عن حقائق الإسلام ، وعليهم شهد شاهد من أهلهم وهو الأب (أنستاسي الكرملي) الذي قال : إن علم الاستشراق عرضة للنقد والتحقيق ، ولابد أن ينتقدوا الانتقاد الصحيح ولقد وجدنا هفوات لا تغتفر لهؤلاء المستشرقين في جميع الأمم وفي جميع التصانيف وما نشروه من الكتب.[٢]

ولعل الأسباب التي أدت إلى بعدهم عن الموضوعية وعدم الالتزام بالأمانة العلمية تنحصر في النقاط التالية :-

أولاً : رعاية الكنيسة ورجالها من الرهبان والقساوسة للاستشراق منذ نشأته وحتى الآن ، وعمل بعضهم في حقل هذا الفكر جعل هؤلاء لا يتخلصون من أفكارهم الموروثة تجاه الإسلام الذي كشف زيف الكنيسة وأبطل عقائدها ، وهاجم الرهبانية القائمة وحكم على القائمين عليها بالفسق والفجور ؛ قال عز شأنه :

---

(١) المصدر السابق ، ص١١.

(٢) مجلة المجتمع العلمي بدمشق ، ج١٤/٣٦٣ ، عام ١٩٣٦م ، نقلاً من المصدر السابق ص١٥.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (١)

لذلك قال بعض الباحثين : إن المستشرقين في كتاباتهم لا يستطيعون أن يتحرروا من أفكارهم السابقة ومشاعرهم الموروثة ، كما أن كثيراً منهم استهدف من دراساته الاستشراقية أغراضاً تبشيرية مسمومة. (٢)

ثانياً : مجافات المنهج العلمي بإهمال ملاحظة مبادئه الأولية له ؛ وذلك لانطلاق الفكر الاستشراقي من الزعم ببشرية القرآن وعدم صدق محمد ﷺ في نبوته. (٣)

ثالثاً : إهمال المصادر الإسلامية الأصلية والاحتفاء بدراسات غير أصيلة نبه على خطرها علماء الإسلام.

رابعاً : التمويه والتلبيس في البحث بالتظاهر بالموضوعية والاستيعاب ثم دس السم في الدسم وفق أسلوب يوحي بأن الفكر الاستشراقي يتسم بالجدة والدقة والصحة وهو ليس كذلك. (٤)

هذه هي أهم الأسباب التي حالت دون أن يكون الفكر الاستشراقي موضوعياً أو علمياً.

ومع ذلك نقول إحقاقاً للحق : إن هناك بعض المنصفين لم يبعدوا عن الموضوعية في أبحاثهم (وأقول البعض) لأنهم يعدون بمثابة استثناء أو شذوذ عن القاعدة العامة ، بل قادت الموضوعية والأمانة العلمية جزءاً منهم لكي يرتمي في أحضان الإسلام وهو يردد بكل يقين لا إله إلا الله محمد رسول الله. وسنقابل هؤلاء أثناء ردودنا على افتراءات الأكثرية المنحرفة من المستشرقين فيما بعد بمشيئة الله.

(١) سورة الحديد من الآية : ٢٧.

(٢) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ، ص١٦ - نذير حمدان.

(٣) سنناقش هذه المزاعم في موضعها إن شاء الله.

(٤) انظر دراسات استشراقية - بحث الفكر الاستشراقي في ميزان النقد العلمي د/أحمد الدسوقي ص١٢٦ ، ١٢٧

إذا كانت هذه هي تلك الخصائص والسمات التي يتسم بها الفكر الاستشراقي فما الأسباب التي أدت إلى نشأته وإعلان افتراءاته على الإسلام وأصوله؟

والجواب في السطور التالية.

المبحث الثاني

أسباب الاستشراق ودوافعه

هناك جملة من الأسباب دفعت المستشرقين إلى إطلاق افتراءاتهم على هذا الدين القويم ومن أهمها مايلي: -

أولاً: السبب الديني الكنسي:

وهذا السبب يحتل المرتبة الأولى من بين الأسباب الأخرى والتي سنذكر طرفاً منها.

فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار عميقة، إذ رأوا تفوقاً عسكرياً وحضارياً للمسلمين بالإضافة إلى السرعة المذهلة التي انتشر بها هذا الدين القويم بين أعداد كبيرة من المسيحيين، فتحولوا إليه باقتناع، كما أن كثيراً من المسيحيين ممن بقوا على نصرانيتهم أعجبوا في قرارة أنفسهم بالإسلام والمسلمين.

مما حمل الرهبان على قيادة حركة لدراسة اللغة العربية وترجمة التراث الإسلامي بقصد تشويهه وحجب محاسنه عن الجماهير المسيحية الخاضعة لنفوذهم.. ثم تطور هذا السبب فيما بعد إلى محاولة تشكيك المسلمين في المثل العليا للإسلام، والرغبة في التبشير بدينهم بين المسلمين ومحاولة تنصيرهم.[1]

---

(١) راجع أضواء على الاستشراق، ص٤٣، د/محمد عبد الفتاح عليان.

ومن ثم تعالت الصيحات في أوربا من المفكرين والرهبان تدعو إلى نقل المعركة من ساحة الحرب إلى ساحة الفكر والمعرفة، فصرخ القديس (بطرس) يقول: «إن القرآن منبع الزندقات وسبب الحركات الهدامة التي تهدد كيان المسيحية، فإذا أريد القضاء عليه فلابد من دراسته والدعوة إلى أنه كتاب تعارض وتناقض، وأن فيه ما يرفضه العقل».

ثم أعاد البابا (أينوسنت الثالث) نفس الهوس إلى أن دخلت في مناهج الدراسات الجامعية دراسة اللغة العربية لكونها وسيلة للتنصير، وكان ذلك ما نفذه مجمع ڤينا المنعقد سنة ١٣١٢ رسمياً وألزم به جميع جامعات أوربا.[١]

التحالف اليهودي:

ومعلوم أن اليهود دائماً وأبداً يحاولون الصيد في الماء العكر، وقد وجدوا أنفسهم أمام قوم في حاجة إلى معرفة اللغة العربية، وكان ذلك سهلاً عليهم؛ لأنهم في الأصل شرقيون ويسكنون في الغرب، فجمعوا بين الذهن الشرقي والمسكن الغربي فتحالفوا مع النصارى في الدخول إلى ساحة الاستشراق، .وقد كان السبب الديني من الأسباب الأولى التي دفعتهم إلى ذلك وإن كانوا لا يقصدون تنصيراً وإنما يحاولون إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات أفضلية اليهودية على الإسلام على حد تعبير الدكتور (البهي)[٢]

وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشراقية الأوربية النصرانية، ولم يرد اليهود أن يعملوا داخل هذه الحركة بوصفهم مستشرقين يهود حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل تأثيرهم؛ ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين وبذلك كسبوا مرتين.

---

(١) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص١٧٨، ١٧٩، د/ناصر الغفاري و ناصر العقل.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٤٣١، د/ محمد البهي.

الأولى: بفرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

والثانية: تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهذا ما يبتغيه غالبية المستشرقين النصارى.

ومن هنا نفثوا عن سمومهم ضد الإسلام ودخلوا هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم.[1]

ولا ننسى أيضاً انضمام بقية الملحدين إليهم من مفكري الغرب والشرق في وقتنا الحاضر لنفس الهدف، وهو إبعاد المسلمين عن دينهم وإطلاق افتراءات عليه من كل مكان، والكفر كله ملة واحدة.

ثانياً: سبب استعماري:

وإذا كان السبب الرئيس في ظهور الاستشراق دينياً كما رأينا فإن ذلك كان فيما بعد تمهيداً لاستعمار البلاد الإسلامية، وقد أشرنا من قبل إلى مدى ارتباط الاستشراق بالاستعمار. فقد وظف الأول نفسه في خدمة الثاني على اعتبار أن الثاني سيساعده في تحقيق ما يريد من تبشير وتنصير بين المسلمين.

لذلك جاء في المذكرة التي رفعها جمع من الأحبار سنة ١٦٢٩ إلى المسؤولين في جامعة (كمبردج) والتي طلبوا فيها إنشاء كرسي للدراسات الإسلامية والعربية ما يلي:

يضع المركز نصب عينية خدمة مصالح الملك والدولة وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية وتوسيع حدود الكنيسة في الوقت المناسب، ونشر هدى الدين المسيحي بين أولئك الذين يتخبطون في ظلمات الجهالة[2] (يقصد المسلمين) سبحان الله!

---

(١) راجع الاستشراق والخلفية الفكرية، ص٦٠، ٦١، د/حمدي زقزوق - والاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ص٢٦، ٢٧، د/ أحمد عبد الرحيم السايح.

(٢) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص١٧٩.

وبالفعل اعتمدت الحكومات الاستعمارية على المبشرين والمستشرقين، واتبعت توجيهاتهم، كما سهلت لهم مهمتهم وزودتهم بالمال والسلطان، لأن الأهداف الاستعمارية التقت مع مصالح المبشرين المستشرقين في نطاق حركة الاستشراق، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار.[1]

ثالثاً: سبب علمي:

وهناك نفر ليس بالكثير أقبلوا على الاستشراق بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وثقافاتها وعقائدها، فاستهواهم الاطلاع على كتب المسلمين لما رأوه من تقدم علمي لهم في بلاد الأندلس، وفي المقابل تأخر ظاهر في بلاد أوربا حيث كانت تعيش فترة من تاريخها يسمونها العصور الوسطى أو المظلمة، فأرد هؤلاء أن يقفوا على سر هذا التقدم من باب الهواية وحب الاطلاع لا غير.

لذلك كان هؤلاء أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يتعمدوا الدس والتحريف والتزموا بالموضوعية أكثر من غيرهم من جمهرة المستشرقين، بل منهم من كان متشككاً قبل البحث في عقيدته فتأكد بعد البحث من صدق تشككه، وتبين له حقيقة الإسلام فآمن بصدق ويقين.

على أن هذا الصنف من المستشرقين لا يوجد إلا حين يكون له من الموارد المالية الخاصة ما يمكنه من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص؛ لأن أبحاثه لا تلقى رواجاً لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة ولا عند الكثرة المتعصبة من القُراء المسيحيين، ومن ثم فهي لا تدر ربحاً ولا مالاً؛ ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.[2]

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٤٣٠.

(٢) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٩٧، عمر عودة الخطيب، والموجز في الأديان والمذاهب، ص١٨٠ ناصر الغفاري وناصر العقل.

رابعاً: سبب اقتصادي وتجاري

وبجوار الأسباب السابقة يوجد أيضاً سبب فرعي تمثل في الجانب الاقتصادي والتجاري، حيث دخل بعض الغربيين ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية.[1]

فلجأ هؤلاء إلى الشرق الغني بموارده الاقتصادية للحصول على المواد الخام وتصنيفها ثم تصديرها إليه مرة أخرى، وفي سبيل ذلك لابد من استكشاف البيئات الشرقية وإقامة الدراسات حولها، فكان لهذه الدراسات يد في خدمة الاقتصاد الأوربي ونهضته الصناعية التي عاشتها أوربا فيما بعد عصر النهضة.[2]

وذهب بعض الباحثين إلى القول: بأن من الدوافع الاقتصادية التجارية للاستشراق انشغال بعض المستشرقين بإبراز الجوانب الخرافية المنسوبة إلى الشرق في القصص والروايات المختلفة، فلجأ إلى الاتجار بهذه الجوانب والاسترزاق من ورائها فترجموا قصص مثل: (ألف ليلة وليلة) و(رباعيات الخيام) و (رسائل إخوان الصفا) وكتاب (كليلة ودمنة) وحللوا هذه الروايات والكتب وزادوا في السرد العجيب وإبراز المناظر السحرية والأسطورية التي رأوها عندما ارتادوا الشرق[3] ومن بين هذا الصنف أيضاً أناس لجؤوا إلى الاستشراق عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى، فدخلوه تغطية لعجزهم الفكري وطرق أبواب الرزق عن طريق الاستشراق.[4]

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث، ص٤٣٠

(٢) راجع بحث د/ علي النملة في كتاب دراسات استشراقية، ص٤٣.

(٣) انظر الغزو الفكري المفهوم. والوسائل. المحاولات، ص١٩٦، نذير حمدان - وأضواء على الاستشراق، ص٤٦، د/ محمد عليان.

(٤) راجع الفكر الإسلامي الحديث، ص٤٣١، د/محمد البهي.

المبحث الثالث

أهداف الاستشراق

ومن خلال ما ذكرنا من دوافع وأسباب أدت إلى قيام حركة الدراسات الاستشراقية تجاه الشرق عامة والإسلامي خاصة يمكننا أن نذكر أهداف هذه الدراسات في النقاط التالية: -

أولاً: كان الاستشراق يهدف منذ البداية إلى الحيلولة بين الشعوب النصرانية والدخول في الإسلام مركزاً على تشويه محاسنه لإقناع النصارى بعدم صلاحيته لهم.[1]

ثانياً: ثم اتجهت الدراسات الاستشراقية بعد ذلك إلى الأمة الإسلامية فأخذت في خلق الافتراءات على العقيدة والشريعة والمصدر لكي تضعف الروح الإسلامية عند المسلمين، وتبث الفرقة بينهم وتسعى بكل قوة إلى تنصيرهم.

ثالثاً: ثم ارتبطت بعد ذلك بالاستعمار في البلاد الإسلامية بهدف تمكينه لكي يخضع هذه البلاد لقبول أفكارهم وتمجيد القيم الغربية المادية الرأسمالية النصرانية وفي المقابل الحط من قدر الإسلام ومن يتمسك به.

وعن ذلك يقول الدكتور(البهي): لقد تركزت أهداف الدراسات الاستشراقية - مع تنوعها- في خلق التخاذل الروحي وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية.[2]

فأخذوا في إثبات تفوق المثل الغربية من جانب ثم إظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر.[3]

---

(١) الموجز في الأديان والمذاهب، ص١٨١.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث، ص٤٣١، د/محمد البهي.

(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٩٨، د/ عمر عودة الخطيب.

وغني عن القول أن هذه الأهداف التي حملها المبشرون والمستشرقون ما زال يتمسك بها تلاميذ المستشرقين في بلادنا إلى يوم الناس هذا، ظانين أنه لا تقدم ولا مدنية إلا باتباع المثل الغربية والبعد عن الإسلام المتمثل من وجهة نظرهم في الدروشة والمسبحة.

ونذكرهؤلاء بما قاله المستشرق الفرنسي (ماسينون) في محاولة مسخ شخصية هؤلاء التلاميذ: «إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية»(١)

ثم يكشف للجميع عن هدفه قائلاً: «لم نبحث في الشرق إلا عن منفعتنا، لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم ولا رغبة لنا إلا أن نبعثهم ضعفاء».(٢)

وبالفعل اتخذ هؤلاء منهجاً في التشكيك والمغالطة وتشويه الحقائق والافتراء والتزوير، وهو منهج لم يسلم منه أو من بعضه إلا عدد يسير منهم. كل ذلك لكي يضعفوا المسلمين ويجعلونهم آلة طيعة في أيديهم لقبول التبشير والتحول إلى التنصير، وسنناقش طرفاً من افتراءاتهم على الإسلام فيما بعد إن شاء الله.

وسائل المستشرقين:

وقد علم المستشرقون أن المسلم لا يضعف ولا يخذل إلا إذا بعد عن عقيدته وكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ فاتخذوا في سبيل تحقيق ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ومن أهمها مايلي: -

أولاً: في مجال التأليف:

أ: قاموا بتأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه، وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو إبتارها وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها. (٣)

---

(١) الغزو الفكري أبعاده ومواجهته، ص ٤٧، د/ عبد العزيز تمام.

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب، ص١٨٢.

(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص٢٠٦.

ب : كما قاموا بالتكاتف والتعاون في انتشار الموسوعة المعروفة (بدائرة المعارف الإسلامية) وأصدروها بعدة لغات، وكذلك أصدروا موجزاً لها بنفس اللغات الحية التي صدرت بها الدائرة، والآن تصدر في أجزاء، وقد وصف الباحثون هذه الموسوعة بأنها أخطر عمل يقوم به المستشرقون للوصول إلى تحقيق أهدافهم تجاه الإسلام، ومصدر الخطورة في هذا العمل هو أن المستشرقين عبؤوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة، كما أنها -للأسف- أصبحت اليوم مرجعاً لكثير من الباحثين المسلمين في دراستهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين.(١)

ثانياً: في الأوساط التعليمية والتربوية:

اتجه المستشرقون إلى الأوساط التعليمية والتربوية واستغلوها في تحقيق أهدافهم استغلالاً كاملاً محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس البراعم الصغيرة من أبناء المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية.(٢)

كما قاموا بإلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية الإسلامية، ومن المؤسف أن أشد هؤلاء خطراً كان يستدعى ويستضاف على نفقة هذه الجامعات في القاهرة ودمشق وبغداد وكراتشي ولاهور وغيرها من البلاد الإسلامية لكي يحاضر لأبناء المسلمين عن الإسلام(٣) ، وتلك من تقلبات الدهر حيث نأخذ ديننا من أفواه أعدائنا، وأعداؤنا لا يمكن أن يتقبلوا مجرد مقال أو بحث تتحدث فيه عن دينهم!

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٠٦.

(٢) مجلة الإسلام الصادرة في ١٦/٣/١٩٥٨م نقلاً عن الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٣٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٣٣، ولمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

هذا ولم يكتف المستشرقون باستغلال الجامعات الإسلامية، بل أرادوا وسيلة أسرع من ذلك لتحقيق ما يبغون وتكون جارية بأعينهم ومرسومة بأيديهم، فتحالفوا مع المبشرين وبإشراف إخوانهم المستعمرين وأنشؤوا جامعات نصرانية جسماً وروحاً على أرض أهل الإسلام منها على سبيل المثال :-

١- **الجامعة الأمريكية بالقاهرة** لتكون قريبة من الأزهر قلعة المسلمين في مصر ومنافسة له، وكل عام تخرج المدرسين المبشرين للمدارس الأمريكية المنشورة في الشرق الأدنى كله.

٢- كما أنشئت أيضاً **الجامعة الأمريكية في بيروت** وكانت تسمى بالكلية السورية الإنجلية، ثم كلية بيروت، وقد تم إنشاؤها عام ١٨٦٥م وهي جامعة بروتستانتية.

ومعلوم أن هذه الجامعة وشقيقتها في القاهرة تجبران أبناء المسلمين الذين يلتحقون بهما على دخول الكنيسة، وإذا احتج أحد يلزمه المسؤولون باللائحة التي تقول: «لابد من عرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ، وأن الإنجيل من المواد الأساسية، وعلى كل طالب يلتحق بمؤسستنا أن يعلم مسبقاً ماذا يطلب منه»[١]!

ومع ذلك فالتنافس على هاتين الجامعتين من أبناء أمة محمد ﷺ ما زال مستمراً ليتخرج الطالب في النهاية بشهادة مكتوب عليها (باسم الآب والابن والروح القدس إلهاً واحداً)!

-لا إله إلا الله- الواحد الأحد الذي يقول في كتابه﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[٢] ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[٣]

٣- **الجامعة الأمريكية باستنبول**... وقد أنشأها مبشر ولا زالت رئاستها تؤول إلى المبشرين.

---

(١) انظر المصدر السابق ص١٠٥

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

٤- **الكلية الفرنسية في لاهور** بإعتبار أن هذا البلد يكاد يكون مثالاً للبلد الإسلامي في شبه القارة الهندية.

٥- **كلية غوردون في الخرطوم** أسسها الإنجليز سنة ١٩٠٣م وسموها على اسم ضابط إنجليزي هو (تشارلس غوردون) الذي قتلته الثورة المهدية السودانية سنة ١٨٨٥م.

٦- **جامعة القديس بولس في لبنان** وهي جامعة بابوية كاثولوكية تعرف الآن بالجامعة اليسوعية.[١]

كل هذه الجامعات وغيرها من المؤسسات التربوية كمدارس اللغات النصرانية تساعد على نشر أهداف الاستشراق، وتجاهد صباح مساء في محاولات يائسة لهدم النشأ الإسلامي والقيم العليا لهذا الدين القويم.

ثالثاً: في المجال الاجتماعي والخدمات الإنسانية:

حيث قام المبشرون بإرساليات لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات وإنشاء المدارس والملاجئ والمياتم ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهها.[٢]

رابعاً: المؤتمرات والمجتمعات

شهد القرن التاسع عشر بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين، وقد أتاحت هذه المؤتمرات للمستشرقين في كل مكان الفرصة لزيادة التنسيق وتوثيق أواصر التعاون وتجنب العمل المزدوج حرصاً على تجميع الجهود وعدم تبديدها في أعمال مكررة. وقد تم عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م.

---

(١) راجع المصدر السابق، ص٩٤، ٩٩، وأضواء على الاستشراق، ص٣٨، د/محمد عليان.

(٢) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص٢٠٦.

ثم تتابعت المؤتمرات بعد ذلك بصورة منتظمة حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمراً دولياً فضلاً عن الندوات واللقاءات الإقليمية الكثيرة والخاصة بكل دولة، والذي يرجع بعضها إلى تاريخ أقدم من تاريخ المؤتمرات الدولية.

فمثلاً عقد أول مؤتمر إقليمي للمستشرقين الألمان في مدينة درسدن بألمانيا عام ١٨٤٩م، وحتى الآن ما زالت هذه المؤتمرات مستمرة.

أما عن مدى الاستجابة لحضور هذه المؤتمرات فقد كانت سريعة ومجابة من المئات من علماء الاستشراق، فمثلاً مؤتمر أكسفورد استجاب لحضوره تسعمئة عالم من خمس وعشرين دولة وثمانين جامعة وتسع وستين جمعية علمية.(١)

وبجوار ذلك كان هناك العديد من الجمعيات الاستشراقية كالجمعية الآسيوية في باريس والتي تأسست عام ١٨٢٢م، والجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا، وإيرلندا عام ١٨٢٣م، والجمعية الشرقية الأمريكية عام ١٩٤٢م، والجمعية الشرقية الألمانية ١٨٤٥م.

خامساً: المجلات الاستشراقية:

ولقد نشطت هذه الجمعيات وغيرها في إصدار المجلات والدوريات بأعداد هائلة ومتنوعة، بلغت ما يزيد على ثلاثمئة مجلة بمختلف اللغات، نذكر منها على سبيل المثال:

١- مجلة (ينابيع الشرق). وهي أول مجلة استشراقية متخصصة أصدرها (هامر برجشتال) في (فينا) من عام ١٨٠٩م إلى ١٨١٨م.

٢- مجلة (الإسلام) عام ١٨٩٥م ثم خلفتها مجلة (العالم الإسلامي) ١٩٠٦م، وقد صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، بعد ذلك تحولت إلى مجلة (الدراسات الإسلامية).

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٥٣، ٥٤، د/ حمدي زقزوق.

٣- وفي عام ١٩١٠م ظهرت مجلة (الإسلام) الألمانية DERLSLAM.

٤- وفي بطرسبرج بروسيا ظهرت مجلة (عالم الإسلام) MIRLSLAMA عام ١٩١٢م لكنها لم تعمر طويلاً.

٥- وفي بريطانيا سنة ١٩١١م صدرت أخطر مجلة استشراقية تسمى أيضاً (العالم الإسلامي) THE MUSLIM WORLD أنشأها «صمويل زويمر» ت ١٩٥٢م، وقد كان «زويمر» هذا أكبر مبشر في الشرق الأوسط.[1] والآن تصدر عن «هارتفورد» بأمريكا وطابعها تبشيري سافر.[2]

تلك هي أهم وسائل الفكر الاستشراقي والتي يستخدمها حتى الآن في طمس معالم عقيدتنا الغراء -إن استطاع- ولن يكون له ذلك بإذن الله ؛ لأن هذا الدين تحرسه عناية الله ويحفظ بقدرته عز وجل، لأنه الحافظ لمصدره الكتاب العزيز المنزل من قبل أحكم الحاكمين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[3]

ولكن يحزن المرء ما يراه من هذا الاهتمام الذي لا نظير له تجاه أي دين آخر من قبل دعاة الاستشراق، فالمؤتمرات والجمعيات والمجلات والأموال تتدفق من كل مكان على المستشرقين لكي يحققوا ما يريدون ويصلوا إلى ما يبغون، أما كان أولى بهؤلاء أن يتركونا وديننا، أن يَدَعُونا وكتاب ربنا وسنة نبينا، لماذا يفعلون ذلك كله؟ وماذا فعل الإسلام حتى يحقدوا عليه هذا الحقد الهائل الذي لا نظير له؟؟

إن كل ما فعله الإسلام أنه وضّح حقيقة الأديان السابقة وصحح ما قيل عنها، وأخذ بحاجز البشرية عن عبادة غير الله، وقال قولة الحق في عيسى وأمه عليهما السلام وكشف كذب أقوال اليهود في أنبياء الله المصطفين ليحق الحق ويبطل الباطل،

(١) انظر: الاستشراق، ص ٥١، ٥٢، والموسوعة الميسرة، ج٢، ص ٧٠٣.

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٤٧١، الشيخ أحمد بشير، والاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، ص ٣٥، د/ السايح.

(٣) سورة الحجر الآية: ٩.

فهل دين يفعل ذلك يحارب بهذه الجيوش الجرارة من الوسائل المختلفة التي يتحرك بها القوم علينا كل مطلع شمس؟!

أما كان يحق لهؤلاء أن يتعقلوا بعقولهم ويشكروا ولا يكفروا؟ والحق أن منهم طائفة كما أشرنا من قبل قليلة فهمت ذلك وحكمت عقولها وآمنت بربها وأنصفت هذا الدين.

لكن الأكثرية الظاهرة على السطح والتي تُمسك بزمام الأمور في مركب الاستشراق وتوجه الاستعمار كيفما تشاء وتصدر المجلات وتعقد المؤتمرات هذه الأكثرية لا تعترف بهؤلاء ولا تقيم لهم وزناً؛ لذلك نرى أن هذه الأكثرية هي الخطر الدائم على ديننا مهما غيروا في أساليبهم ومعاملاتهم.

وبناءً على ذلك نتحدث بإيجاز الآن عن هذين الصنفين: المستشرقين الخطرين ونذكر بعضاً من أسمائهم من باب التحذير منهم، كما نذكر بعضاً من المنصفين من باب الإشادة والعرفان والالتزام بالموضوعية العلمية التي يجب أن يلتزم بها الباحث ليعطي كل ذي حق حقه.

المبحث الرابع:

أصناف المستشرقين

مستشرقون خطرون: أسماؤهم وأهم كتبهم

من أشد هؤلاء خطراً **على الإسلام محرري دائرة المعارف ومنهم:**

١- أ. ج. أربري .D.A. Arberry إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين، ومن المؤسف أنه درّس لكثير من المسلمين الذين تخرجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية في إنجلترا. ومن كتبه:

أ- **الإسلام اليوم**، صدر في عام ١٩٤٣م.

ب- **مقدمة لتاريخ التصوف**، صدر في عام ١٩٤٧م.

جـ- **التصوف**، صدر في عام ١٩٥٠م.

د- **ترجمة القرآن**، صدر في عام ١٩٥٠م[١].

٢- د.س مرجليوت S.D. Margolouth. إنجليزي أيضاً متعصب ضد الإسلام. كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق. ومن كتبه:

محمد ومطلع الإسلام[٢]

٣- جب H.A Rclbb من أكبر مستشرقي إنجلترا ومن كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية. له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة. ومن كتبه:

أ- **طريق الإسلام**، ألفه بالاشتراك مع آخرين.

ب- **الاتجاهات الحديثة**، في الإسلام صدر في عام ١٩٤٧م.

جـ- **المذهب المحمدي**، صدر في عام ١٩٤٧م وأعيد طبعه.

د- **الإسلام والمجتمع الغربي**، صدر في أجزاء واشترك معه آخرون.

هـ- **مقالات أخرى متفرقة**[٣].

٤ - أ. ج. فينسنك A.J VENSINK. عدو لدود للإسلام وأهله، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، ثم خرج منه بعد ما كشف أمره تجاه الإسلام. من كتبه:

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث، ص٤٤٧ - د/ البهي.

(٢) الموجز في الأديان والمذاهب، ص١٨٢.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث، ص٤٤٨ - د/ البهي.

عقيدة الإسلام ١٩٣٢م، وهو ناشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في لغته الأولى[١]

٥- ماكدونالد. D.B Mocdonold أمريكي من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة. له كتب من أشهرها:

أ- **تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام** صدر عام ١٩٠٣م.

ب- **الموقف الديني والحياة في الإسلام**، صدر عام ١٩٠٨م، كما يعد من كبار محرري الدائرة

٦- زويمر Zweimer مستشرق مبشر ومؤلف لكتاب (**الإسلام تحد لعقيدة**) صدر عام ١٩٠٨م، وناشر كتب الإسلام ومؤسس مجلة العالم الإسلامي[٢].

٧- ومن المستشرقين اليهود جولد زيهر COLDI Zher وهو مجري يهودي (١٨٥٠- ١٩٢٠). ومن كتبه تاريخ **مذاهب التفسير الإسلامي والعقيدة والشريعة**. وقد أصبح زعيم الإسلاميات في أوربا بلا منازع ومن محرري الدائرة.

٨- غ. فون جرونباوم . C.Von Crunbaum وهو يهودي من أصل ألماني وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو ومن ألد أعداء الإسلام. يكتب كتابين:

أ- **إسلام العصور الوسطى.**

ب- **محاولات في شرح الإسلام المعاصر**[٣] ظناً منه أن الإسلام يتعدد ويتطور قاتله الله.

وغير هؤلاء كثير ستقابلنا آرائهم فيما بعد منهم: «هكسلي Huxley» المستشرق الملحد الذي كتب كتاباً ينكر فيه وجود الخالق اسمه «**الإنسان يقوم وحده**».

---

(١) الموسوعة الميسرة، ج٢ ص٧٠٠، والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، ص١٣، د/عبد الرحمن عميرة.

(٢) الفكر الإسلامي، ص٤٤٨- ٤٥١.

(٣) المذاهب المعاصرة، ص١٤ د/عميرة.

وقد رد عليه عالم من ملته اسمه (أكريستي مدريسون) بكتاب اسمه (**الإنسان لا يقوم وحده**) وترجم إلى العربية تحت عنوان (**العلم يدعو إلى الإيمان**).

كما سيقابلنا أيضاً المستشرق (**نيكولسن**) في مفترياته الكثيرة على الإسلام.

وأيضاً (بروكلمان) صاحب كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية و (أرفنج) الأمريكي الأصل وغيرهم كثير[٢] اجتمعوا جميعاً يفترون على الله الكذب وهم يعلمون، فلنحذر ونستيقظ ونفيق فهل نحن فاعلون!؟

ثانياً: مستشرقون منصفون:

وهؤلاء ينقسمون إلى فريقين:

فريق أعلن إسلامه في غير لبس ولا مراء وجابه الرأي العام في بيئته بعقيدته ثم أخذ يدعو إليها مكرساً وقته وجهده لنشرها.

وفريق أحب الإسلام ومدحه ولا ندري ماذا أسر في نفسه. وعن هؤلاء يقول «اللورد هدلي»: إنني أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء أيضاً مسلمون قلباً ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم[٢].

وهو يشير بذلك إلى انتقام فئة المتعصبين ومن ورائهم الكنيسة إذ كانوا لا يراعون إلاً ولا ذمة فيمن اعتنق الإسلام أو رأوا أنه قد مال مجرد ميل إليه.

وسواء اعتنقه هؤلاء أم أحبوه فسنذكر كما أشرت طرفاً من أسماء أعلامهم الذين كانت لهم شهرة عالمية.

---

(١) للمزيد يراجع فصل المبشرون والمستشرقون في كتاب الفكر الإسلامي د/البهي

(٢) أوربا والإسلام، ص٣٨، د/عبد الحليم محمود

آ- فممن مالوا إلى الإسلام ولم يعتنقوه منهم :

١- الكونت هنري دي كاستري :

درس الإسلام دراسة عميقة وله كتاب اسمه الإسلام سوانح وخواطر، وفي هذا الكتاب الطريف تحدث عن كثير من جوانب الإسلام الكثيرة، كما جند نفسه في الرد على كثير من افتراءات المستشرقين تجاه القرآن الكريم والرسول ﷺ وقد حكى الدكتور (عبد الحليم محمود) في كتابه (أوربا والإسلام) قصة تفكيره في دراسة الإسلام وطرفاً من ردوده على هذه الافتراءات.[١]

٢- يوهان ج - رايسكه (١٧١٦-١٧٧٤م):

وهو مستشرق ألماني جدير بالذكر، اتهم بالزندقة[٢] لموقفه الإيجابي من الإسلام، عاش بائساً ومات مسلولاً، وإليه يرجع الفضل. في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا.[٣]

٣- توماس أرنولد (١٨٦٤-١٩٣٠م):

إنجليزي الأصل له كتاب **الدعوة إلى الإسلام** **THE Bre Ching Islam** ترجم إلى التركية والأوردية ونقله إلى العربية الأستاذ (حسن إبراهيم حسن) وآخرون.[٤]

وفيه برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين على عكس مخالفيهم معهم، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب فيه من الوثائق ما يدلل على

---

(١) أوربا والإسلام راجع من ص ٣٩-٤٥.

(٢) لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعرِّب.. ثم أطلق على كل من أسر الكفر وأظهر الإسلام من المنافقين. للمزيد راجع بغية المرتاد (السبعينية) ص٣٣٨ شيخ الإسلام ابن تيمية ومقالات في المذاهب والفرق، ص٢٧ د/عبد العزيز محمد العبد اللطيف والموسوعة الميسرة، ج٢، ص١٠٧٥.

(٣) الموسوعة الميسرة، ج٢، ص٦٩٩.

(٤) انظر: أضواء على الاستشراق هامش ص٤٩ - د/ محمد عليان، والموسوعة الميسرة، ج٢، ص٦٩٩.

صحة كل حادثة، ومصادره في أكثرها لا غبار عليها إلا أن المستشرقين المتعصبين - وبخاصة المبشرين منهم- يزعمون أن مؤلفه كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب نحو المسلمين.[1]

٤- غوستاف لوبون:

مستشرق وفيلسوف مادي لا يؤمن بالأديان مطلقاً، جاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره.

وغير هؤلاء كثير منهم (الكاتب) الأنجليزي (كاريل) وأيضاً (جاك بيرك) و(رينيه جينو) والدكتور (جرينيه وجوته الألماني)[2]

هؤلاء اعتدلوا في أكثر كتاباتهم،[3] والتزموا فيها بالموضوعية فهوجموا وقلَّ ميزانهم الأدبي من وجهة نظر المتعصبين من المستشرقين.

ب- الذين أسلموا واعتنقوا الإسلام باقتناع:

فقد رفضوا تماماً من قبل تلك الفئة التي لا تريد أن يرى أحد غيرما ترى أو يحكم بغير ما تحكم مع أنهم دعاة الحرية الفكرية والعقدية في المجتمع المعاصر كما يزعمون وتلاميذهم في بلادنا عنهم يتحدثون. ولا أدري لماذا لم تطبق تلك الدعوة على هؤلاء الذين نقبوا وبحثوا وأعلنوا غير مقهورين صحة دين الإسلام؛ ولذا اعتنقوه بيقين وبرهان أم أن هذه الدعوة لا يجب تطبيقها إلا على بعض من أبناء الأمة الإسلامية الذين اغتروا بفكر هؤلاء وأظهروا تمرداً على هذا الدين، وهم والحمد لله شرذمة

---

(١) لمحات من الثقافة الإسلامية، ص ٢٠٦، عمر عودة الخطيب.

(٢) راجع أوربا والإسلام، ص٤٥، والموسوعة الميسرة، ج٢ ص٦٩٩.

(٣) مع تحفظنا على بعض من آرائهم التي تحتاج تقويماً، فلتكن القراءة لهم مهما كانت كتبهم دائماً أبداً موضع نظر.

قليلون لا يعبأ بهم جمهرة المسلمين، بل سرعان ما يلفظونهم وفي سلة التاريخ يلقونهم.[1]

أقول تعالوا لنتعرف على بعض من الأسماء الذين تركوا الباطل وارتموا في أحضان الحق من المستشرقين ومنهم:

١- اللورد هيدلي. الإنجليزي

حكى عنه الدكتور «عبد الحليم محمود» (رحمه الله) في كتابه أوربا والإسلام قائلاً: كان لإسلام «اللورد هيدلي» ضجة كبيرة في أوربا لمركزه ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج في التفكير وتروٍّ في الأمور، وقد تحدث الرجل عن سبب إسلامه قائلاً: عندما كنت أقضي -أنا نفسي- الزمن الطويل من حياتي الأولى في جو المسيحية كنت أشعر دائماً أن الدين الإسلامي به الحسن والسهولة، وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت!!

وثبتني في هذا الاعتقاد زيارتي للشرق التي أعقبت ذلك ودراستي للقرآن المجيد.

لعلك تلاحظ معي أن الرجل لما عكف على كتاب الله في الإسلام أيقن أنه دين لا نظير له من الأديان الوثنية أو النصرانية المعاصرة، وهي أديان لا توصل إلى الحق؛ لذلك قال الرجل: فكرت وصليت أربعين سنة كي أصل إلى حل صحيح.. وفي النهاية رأيت أن الدين الإسلامي هو الذي يجمع العالم الإنساني على عبادة الله الواحد الحقيقي.. بطريقة سهلة خالية من الحشو والتلبيك.

ثم يشكر الله على هدايته قائلاً: روح الشكر هي خلاصة الدين الإسلامي، والابتهال أصل في طلب القيادة والإرشاد من الله.. والحق أنني بعدما تحققت من

---

(١) وآخر هؤلاء نصر أبو زيد - الذي حكم عليه بالردة، والشاهد على أفكاره كتابه نقد الخطاب الديني، وأيضاً مفهوم النص..

سلاسة وضياء وعظمة الإسلام ومجده أصبحت كرجل فر من سرداب مظلم إلى فسيح من الأرض يضيئه شمس النهار... ثم رد الرجل على كثير من افتراءات الآخرين في شجاعة وقوة تحسب له[1] وهو يعلم أن ذلك ستضيق به صدور المخالفين.

٢- الفونس اتيين دينيه:

فرنسي الأصل ولد في باريس ١٨٦١م وتوفي ١٩٢٩م. فنان كبير له كتاب في تفسير السيرة النبوية عبارة عن مجلد كبير وضعه باللغة الفرنسية وزينه بالصور الملونة البديعة المتعددة من ريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الإسلامية.

كان يحب العرب حباً كبيراً، لذا ذهب إلى الجزائر وعاش بين أهلها وأسلم باقتناع ويقين، وأعلن ذلك رسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر ١٩٢٧م.وطلب أن يدفن في قبره مسلماً حنيفياً[2].

له كتاب **أشعة خاصة بنور الإسلام**.

من خلاله عرفه القارئ العربي ومن خلاله أيضاً أضاء الطريق لكثير من المستشرقين لكي يسيروا سيره ويعتقدوا معتقده ومن أقواله:

«إن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير، فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير»[3] -وطبعاً هذا غير موجود في المسيحية التي كان يعتنقها من قبل فهناك إيمان بلا نقاش ولا تعقل-

---

(١) راجع أوروبا والإسلام، ص ٥٠ - ٥٣.

(٢) انظر مقال الأديب راشد رستم - جريدة الأهرام في ١٩٢٩/١٢/١٩م نقلاً عن المصدر السابق هامش ٤٣-٥٧.

(٣) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص٣٨ ترجمة الأستاذ/ راشد رستم (ومعلوم أن حرية الفكر لا تقتضي أن يكون المرء منكراً لوجود الخالق).

ثم يقول: «وكما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس - يقصد الإشارة إلى عالمية الإسلام- فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع المدنيات».

لذلك رأينا الذين يعتنقون الإسلام في وقتنا هذا من المسيحيين وغيرهم فإنما هم من الخاصة.. وإخلاصهم في ذلك لا شك فيه، فهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية.[١]

وسنرى للرجل بعد ذلك آراء سنصطحبها في الرد على المفترين من المستشرقين أحياناً.

٣- الكاتبة الأمريكية مريم جميلة.

هي من أصل يهودي، بحثت عن العقيدة الصحيحة في اليهودية والنصرانية فلم تقف عليها، وأخيراً اتجهت إلى الإسلام فرأت عقيدته صافية نقية فاتخذته ديناً خالصاً وأسلمت وجهها لله رب العلمين، ثم كتبت كتاباً بعنوان «**الإسلام في مواجهة أهل الكتاب**».

بينت فيه مدى الانحراف والضلال في الأديان الأخرى ثم جعلت كثيراً من الشباب المسيحي الضائع يعلن عقيدة التوحيد بكل اقتناع ورضا.[٢]

وغير هؤلاء كثير يحتضنهم الإسلام كل صباح.[٣]

وهكذا أراد هؤلاء غزو الإسلام وتحطيم حقائقه فغزاهم الإسلام في قلوبهم وحطم الأباطيل الموروثة لديهم، وسيبقى الإسلام دين الله هو الدين الساطع في دنيا

---

(١) المصدر السابق، ص٣٨، ٣٩.

(٢) للمزيد راجع المسيحية بين التوحيد والتثليث، وموقف الإسلام منها للمؤلف، ص٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) لمعرفة المزيد راجع أوربا والإسلام والمصدر السابق.

الناس يضيء لهم الطريق ويهديهم إلى صراط الله العزيز الحكيم:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1]

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2]

وبعد

فدفاعاً عن هذا الدين وجهاداً مع المجاهدين الذين هداهم الله سبله -عسى أن نكون معهم فهو على كل شيء قدير- سنقف الآن عند آراء المفترين من المستشرقين المارقين التي أطلقوها على هذا الدين بكل عقائده النيرة. مفندين لها منبهين عليها محذرين منها عسى أن يعلم أولئك أن أبناء الأمة لم يعدوا في سبات كما يرجون.

وأن الأجيال القادمة بإذن أحكم الحاكمين قادرة من غير شك على حماية دينها والدفاع عن كتاب ربها وإقامة البراهين على صدق نبيها ﷺ.

وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حين قال: «**من لم يجادل أهل الباطل ليقمع باطلهم لم يكن أوفى الإسلام حقه فيقمع باطلهم بالعقل ويبين صحة مذهبه بالعقل والنقل**» فهل ينتبه شبابنا رعاهم الله إلى ذلك؟. إنا لآملون.

❀ ❀ ❀

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

الفصل الثاني

الأصول العقدية في الإسلام

وافتراءات المستشرقين عليها

الفصل الثاني

الأصول العقدية في الإسلام وافتراءات المستشرقين عليها

أ-تعريف بأصول الاعتقاد في الإسلام:

الإيمان في الإسلام يرتكز على أركان وأصول ستة :

أولها : الإيمان بالله وحده.

وثانيها : الإيمان بالملائكة.

وثالثها : الإيمان بالكتب المنزلة على الرسل.

ورابعها : الإيمان بالرسل -عليهم السلام-.

وخامسها : الإيمان باليوم الآخر.

وسادسها : الإيمان بالقدر خيره وشره.

«وهذه الأصول الستة يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب»[١]

وقد أشارت إلى هذه الأصول الإيمانية آيات كثيرة في الكتاب العزيز وكذا أحاديث وفيرة في السنة المطهرة ومن الكتاب الكريم جاء قوله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[٢] وقوله تبارك اسمه :

(١) راجع العقيدة الصحيحة وما يضادها، ص٥٠ - الشيخ عبد العزيز بن باز.

(٢) سورة البقرة من الآية : ٢٨٥.

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1]

أما في السنة الشريفة فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: **أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالقدر**[2] فقال: صدقت.

وفي هذا بيان على أن جبريل عليه السلام كان يصدق على إجابة النبي ﷺ، لأنه كان يعرف الإجابة مسبقاً، فأراد التأكيد على صدق النبي ﷺ، ولذلك لما عجب الصحابة الكرام من السائل وتصديقه قال النبي ﷺ لهم: **هذا جبريل جاء يعلمكم أمور دينكم**[3]

إذن فهذه الأصول عليها يرتكز الإيمان في الإسلام، وأي تشكيك في ركن منها يؤدي إلى نقص الإيمان إن لم يكن انتفاءه.

لذلك وجه المستشرقون سهامهم وأطلقوا افتراءاتهم على هذه الأركان لكي يهدموا بنيان الإسلام في قلوب المسلمين ويبعدوهم عن منهج رب العالمين حتى يكون لهم القوة الفكرية بعد ذلك في التوجيه والتقويم.

ب - منهج المستشرقين في الافتراء على عقيدة المسلمين في الوحدانية والصفات.

الوحدانية في الإسلام:

معلوم أن الوحدانية في الإسلام هي وحدانية خالصة ومتكاملة من كل جوانبها. فالله واحد لا يعبد غيره ولا يتوجه إلى أحد سواه بالدعاء والخضوع، ويجب أن يكون

---

(١) سورة البقرة من الآية: ١٧٧.

(٢) صحيح مسلم ج١ كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضى الله عنه، ص٤٠.

(٣) وكان جبريل عليه السلام قد جاء للنبي ﷺ وهو وسط الصحابة الكرام في صورة دحية الكلبي؛ لذا كشف النبي عن شخصيته. راجع رداً على الملاحدة والعلمانيين، ص٦٠ فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

ذلك بإخلاص ويقين. قال جل شأنه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1] وهذا يسمى توحيد العبودية في الإسلام.

ثم هناك أيضاً وحدانية الربوبية والتكوين وهى تقرر أن هذا المعبود هو وحده خالق الوجود ومكونه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾.[2]

فلا المادة ولا الصدفة ولا غيرها كوّن هذا الكون بل هو الله وحده.

كما أن هناك وحدانية في الذات والصفات فذاته ـ جل شأنه، وتقدس اسمه ـ غير مركبة من أجزاء، ومنزهة عن مشابهة الحوادث. وكذا صفاته لا تعادلها صفات ولا يساويها أحد من خلقه لأنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[3]

توحيد خالص متكامل بكل شعبه تفرد به هذا الدين القويم عن سائر الأديان. ومع ذلك فهذا التوحيد لم يسلم من افتراءات الحاقدين من المستشرقين إذ زعموا زوراً وبهتاناً أن ما أخبر به نبي الإسلام عن وحدانية الرحمن وأسمائه وصفاته هو مقتبس من البيئات والديانات الأخرى، فهو بمثابة تحصيل حاصل ولا جديد فيه.

ج- المنهج الاستشراقي المستخدم في الافتراء على العقيدة في الله تعالى:

وقبل عرض أمثلة من أقوالهم في ذلك ومناقشتها يستحسن أن نشير إلى أن هؤلاء قد استخدموا في دراسة الإسلام وعقيدته مناهج علماء الاجتماع التي تربط نشأة المعتقدات الوثنية بالبيئات والمجتمعات، وممن كتب في هذا المنهج من علماء الاجتماع (جون امبتي J.Mbiti) فقد كتب أن المعتقدات القبلية الوثنية في إفريقيا قد نشأت بسبب ارتباط السكان بعوامل بيئية واجتماعية، ولهذا لا يعرف أول من تبناها، ولكنها-كما

(١) سورة البينة الآية: ٥.
(٢) سورة الزمر الآية: ٦٢.
(٣) سورة الشورى الآية: ١١.

يذكر- قد تطورت تدريجياً عبر القرون بسبب وجود الصحاري والجبال والأنهار وغير ذلك من القوى الكونية والحوادث التاريخية كالحروب والمجاعات.

وعلى الجملة فهذه المعتقدات الوثنية القبلية هي وليدة الظروف الخارجية التي يفرزها واقع البيئة على الإنسان ومن ثم يحاول أن يكيف حياته إزاءها.(١)

ثم جاء (مونتجمري واط) فلم يخرج عن هذا المنهج في ربط المعتقدات بالمجتمع. فقال: إن ذكر الحوادث التاريخية ليس بعيداً عن الاهتمام العقدي، فإن مؤيدي علم الاجتماع المعرفي يرون أن كل الأفكار العقدية والفلسفية ذات مرجع سياسي أو اجتماعي.(٢)

ولما جاء (سكوبي) صفق لهذا المنهج وقرر أنه قد تم تطبيقه لا على الديانات الوثنية فقط بل على النصرانية.

إن هناك بعض الدراسات في المعتقدات النصرانية والسلوك الديني أثبتت أن بعض الأوضاع الاجتماعية يمكنها أن تؤثر في الدين.(٣)

ثم توجهوا بعد ذلك إلى تطبيق هذا المنهج في الإسلام وعقيدته فماذا قالوا؟

د-عرض إجمالي لأقوالهم وافتراءاتهم عن الوحدانية والصفات:

أولاً: أقوالهم عن الوحدانية في الله:

١- يقول (مونتجمري واط): إن الإسلام بعقيدته عبارة عن إبداع إنساني ونتاج بيئة من حيث الزمان والمكان(٤) وهو بهذا يحاول تطبيق المنهج السابق.

---

(١) راجع بحث د/ محجوب أحمد كردي - في كتاب دراسات استشراقية، ص١٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٨.

(٣) نفسه ص١٤١.

(٤) المصدر السابق، ص١٤٤.

٢- ثم تقول دائرة المعارف الإسلامية في مقال كتبه (ماكدونالد) تحت عنوان «الله الكائن الأعلى عند المسلمين» مما لا شك فيه أن العرب قبل محمد قالوا بوجود إله على نحو ما سموه (الله)... وكانوا يعترفون بالله ويقسمون به جهد أيمانهم... وليس من السهل دائماً إن نميز بين آرائهم وبين تفسير محمد لهذا الرأي.. وقد اعتبروا بعض الإلهة (الملائكة) بنات الله.[١]

وعليه (فمكدونالد) لم يخرج أيضاً عن القول بأن البيئة أثرت في عقيدة محمد ﷺ وعقائد بيئته واضحة.

٣- ثم يعلن (واط) بكل سذاجة أن محمداً ﷺ في عقيدته تأثر بالتقاليد العربية الشركية (في الجاهلية) واستدل على ذلك بقصة الغرانيق العلى التي ذكرها الطبري[٢] دون طعن فيها.

ثم زعم أن الإسلام قد احتوى على هذه الشركيات وقبلها.[٣] وقد أيده في ذلك (بروكلمان)[٤] الذي قال: إنه على ما يظهر (أي للكاتب) أن محمداً اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاثة اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، وقد أشار إليها في إحدى الآيات الموحاه إليه بقوله (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى)[٥]

ثم ينتقل الأمر بعد ذلك إلى القول بالاقتباس لهذه العقيدة الغراء من اليهودية والنصرانية وانظر إلى الكذب والافتراء في ذلك.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢ ص٥٥٨، ترجمة /محمد ثابت الفندي وآخرون.

(٢) راجع تاريخ الطبري، ج٢ ص٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) دراسات استشراقية .البحث السابق ص١٤٨.

(٤) ينخدع كثير من المسلمين في بركلمان هذا مع العلم أنه يضع السم في الدسم كما نرى الآن.

(٥) راجع تاريخ الشعوب الإسلامية، ج١ ص٤٣ وما بعدها.

٤- يقول: (جولد تسيهر) اليهودي المجري الأصل: «إن العقيدة الإسلامية قد تطورت عبر عدة مراحل وأخذت من عدة روافد أجنبية كاليهودية والهلينسية وغيرها، وأن الإسلام استطاع أن يمتص هذه الآراء الأجنبية ويتمثلها وكأنها جزء أصيل من تعاليمه»[١]

٥- ثم ينتهز (فنسنك) الفرصة أيضاً بعد ذلك ويقول: «إن مفهوم المسلمين للإله يلتقي في نقاط عديدة مع وصف (يوحنا الدمشقي) وشرحه للذات الإلهية.»[٢]

وهذا يعني أن النصرانية لها تأثير في العقيدة الإسلامية «لأن محمداً كان منتخباً لتعاليمه عن أديان سابقة ومنها النصرانية». [٣]

ثانياً - أما عن أسماء الله تعالى وصفاته:

والتي قد جاء ذكرها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فقد استخدم المستشرقون معها المنهج نفسه والمنطق المعوج سالف الذكر.

وهاك دائرة المعارف الإسلامية تذكر أقوالاً تدل على عدم اتزان أصحابها عقلياً ومنها ما يلي: -

١- الادعاء بأن لوازم السجع حملت محمداً ﷺ على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها في القرآن، وهي تعبر عن حقيقة إله محمد لكنها عبارات مبعثرة ومتناقضة، أما أسماء الله فتبدو لأول وهلة خليطاً غريباً من الألفاظ الدالة على التجسيم والعبارات الميتافيزيقية[٤]

---

(١) انظر العقيدة والشريعة في الإسلام جولد تسهير، ص١١، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون.

(١) دراسات استشراقية، ص١٥٠.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢٤.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢ ص٥٦١.

٢- ثم تزعم الدائرة مرة أخرى أن النبي ﷺ قد اختلق هذه الصفات من خياله ومرة اقتبسها من النصرانية.

فعن الأولى تقول : - وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينة مثل : الأول والآخر والظاهر والباطن..الخ

وهكذا كان بعض شعراء العرب من قبل قد أظهروا مقدرة فائقة في استعمال الصفات[1] وفي هذا إيحاء بأنه يماثلهم في التخيل وبهم متأثر -حاشاه- ﷺ.

وعن الثانية تقول : إن جذور هذه الصفات يعود للنصرانية أكثر من غيرها فمن صفاته كذلك صفة البر (سورة الطور آية ٢٨) ونور السموات والأرض (سورة النور آية٣٥).

ويظهر من سياق الكلام أنه يشير إلى عبادة النصارى في كنائسهم وأديرتهم ، وعلى هذا تكون الصورة الوصفية التي وردت في الآيات مأخوذة من صورة المذبح المضاء وتذكرنا هذه الآيات أيضاً بعبارة (نور العالم) التي وردت في الإنجيل «ونور الأنوار التي جاءت في العقيدة النيقية».[2]

٣- ثم تقول الدائرة :

وما صفة الباري فقد أخذها محمد من العبرية واستعملها دون أن يقصد معنى خاصاً[3]

وهذا يعني من وجهة نظر كتاب الدائرة أن نبينا ﷺ كان يقول بصفات عن ربه وهو لا يعرف معناها.

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص٥٦٢.

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ص٥٦٣ ، والنيقية إشارة إلى قرار مجمع نيقيه سنة٣٢٥ والذي جاء بقانون إيمان فيه تأليه للمسيح -عليه السلام- والمسيح براء من هذا القانون الأيماني وعقيدته ، فزمنه ومكانه يدلان على تبرئة المسيح مما نسب إليه في هذا القانون. للمزيد راجع المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها ، ص١٠٠ للمؤلف .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ، ج٢ ص٥٦٤.

٤- وأما صفتي الرحمن الرحيم فتقول: يظهر أن محمداً قد أخذ هذه الصيغة عن جنوبي بلاد العرب.(١)

ثم يقوم كتاب الدائرة بعد ذلك بهجوم شرس حاقد على بعض هذه الصفات ليبعدوا المسلمين عن الاعتقاد بصدقها ما أمكن فيقولوا:

٥- إن هناك بعض الصفات التي أطلقت على ذات الله في الإسلام ولكنها تدل على الذم إذا أطلقت على غيره من الأفراد مثل صفتي: المتكبر والجبار.(٢)

وفي هذا إيهام بأن النبي ﷺ كان يطلق صفات الذم على الله عز وجل علماً بأن المخلوق لا يقبلها.

٦- ثم يقولون: كما أن هناك تناقض بين الصفات مثل: المعز والمذل، والقابض والباسط، والمؤخر والمقدم، وعبارات محمد ﷺ في هذا المجال مبعثرة.(٣)

٧- ثم ينتهون إلى هذه الفرية الكبرى التي قالها كبراؤهم من أمثال «نيكولسن» وغيره وفيها: إن هذه الصفات التي قال بها محمد في الله جعلت إله الإسلام جباراً مخوفاً لا تكن له القلوب إلا الوجل والاستسلام؛ لأن الإسلام نفسه انقياد وشعور بالتبعية.

أما الإله في النصرانية فهو رحيم أرسل ابنه الوحيد لينتحر على الصليب، ومن ثم فصلة المسلمين بربهم قوامها الرهبة وطابعها العبودية الذليلة.(٤)

---

(١) ج٢ ص ٥٦٥، ٥٦٦ المصدر السابق.

(٢) راجع المصدر السابق، ج٢ ص٥٦٢، ٥٦٤.

(٣) نفس المصدر السابق، ج٢ ص٥٦١.

(٤) راجع المستشرق (نيكولسن) ومفترياته على الإسلام، ص٢٥٧- محمد يوسف الكباشي، ودفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ص١٨، ١٩ الشيخ محمد الغزالي.

تلك هي بعض افتراءاتهم على عقيدتنا الغراء التي تأمرنا بتوحيد الإله جل وعلا والتصديق بأسمائه وصفاته دون تشبيه ولا تمثيل لأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

هذا ويمكن بعد العرض السابق لافتراءات وأقوال المستشرقين إجمالاً حول العقيدة الإسلامية في الله تعالى وصفاته: أن نجمل النقاط التي يمكن أن نناقشهم فيها ونتبعها بالنقد الموضوعي وأهم هذه النقاط التي يمكن التركيز عليها مايلي: -

١- المنهج الاستشراقي وسلبياته.

٢- ادعاء الاقتباس للعقيدة الغراء من البيئة العربية.

٣- ادعاء الاقتباس للعقيدة الغراء من البيئة اليهودية.

٤- ادعاء الاقتباس للعقيدة الغراء من البيئة النصرانية.

٥- ما قالوه في الصفات الإلهية إجمالاً وتفصيلاً، وسنقوم بالرد على هذه النقاط في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الشورى من الآية: ١١.

الفصل الثالث

نقد المنهج والافتراءات الاستشراقية حول القعيدة في الله عز وجل وصفاته تعالى

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: نقد المنهج.

المبحث الثاني: نقد فريتهم القائلة إن العقيدة الإسلامية تأثرت بالشركيات البيئية والعربية.

المبحث الثالث: نقد الفرية القائلة إن العقيدة الإسلامية في الله تم الاقتباس لها من اليهودية والنصرانية.

المبحث الرابع: نقد الافتراءات الاستشراقية في قضية الأسماء والصفات الإلهية.

الفصل الثالث

نقد المنهج والافتراءات الاستشراقية حول العقيدة في الله عز وجل وصفاته تعالى

المبحث الأول : نقد المنهج:

١ - إن المنهج الذي استخدمه المستشرقون وتبنوه هو منهج علماء الاجتماع الذين كتبوا عن وجود المعتقدات في إفريقيا وغيرها ، وهو منهج مادي بحت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشاهدات والوقائع ، وهو إن صح تطبيقه كلياً على الأديان البدائية الوثنية أو جزئياً على الأديان السماوية المنحرفة كاليهودية والنصرانية ، فلا يصح تطبيقه مطلقاً على الإسلام الدين الحق لسبب بسيط وواضح وهو أن الإسلام له مصدران محفوظان من التحريف والمغالطة.

أما الأول فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي طمأن المولى عز وجل هذه الأمة بحفظه له : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[1] ،

وأما الثاني فهو السنة الغراء الشارحة لكتاب الله والمبينة لمجمله في تفصيل وإيضاح ، وقد قيض الله علماء أجلاء وحفَّاظاً أوفياءَ أبعدوا الدخيل عليها وحافظوا على صحيحها عبر القرون والأزمان وإلى يوم الناس هذا ، وذلك كله غير موجود عند أهل الوثن ولا عند السابقين من أهل الكتاب ، ومن هنا تعرضت هذه الأديان لمؤثرات بيئية من غير شك ورفعت عن مصادرها صفة الربانية ، فإن جاء مستشرق وطبق منهجاً اجتماعياً عليها فقد يكون مقبولاً شيئاً ما ، أما الإسلام فصفة الربانية

---

(١) سورة الحجر الآية : ٩.

ملازمة له ولا يصح رفعها كما يزعم الزاعمون ؛ لأن استقلاليته عن غيره بينة وذاتيته واضحة وعقيدته لا شبهة فيها ولا مجاملة، فهو يدعو الناس لا إلى عبادة بشر أو حجر أو شجر بل إلى خالق هذه الأشياء كلها، ويخبرهم أن الوسائط بينه وبين خلقه من الناس مرفوعة وممنوعة، فإذا قال العبد يارب قال الرب لبيك ياعبد، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] فأين أوجه المشابهة وكيف يطبق عليه منهجاً أرضياً وهو عقيدة إلهية سماوية.

٢- ثم إن ارتباط المنهج بالمشاهدات والوقائع التاريخية وجعلها سبباً في نشأة العقيدة الإسلامية أو ما قبلها من عقائد كانت صحيحة هو أمر بعيد عن الموضوعية ؛ ولذا فتحيز المستشرقون له أمر عجيب ومرفوض ؛ لأن معنى ذلك إسقاط مفهوم الغيبيات ومنها الوحي الإلهي بالكلية، وغير مقبول لا عقلاً ولا منطقاً الحكم على كل ما غاب عن المشاهدات بأنه غير موجود. فكم من الأشياء غير مشاهدة ومع ذلك فهي موجودة.

فمثلاً الروح التي هي سبب حركة البدن هل رآها هؤلاء المستشرقون؟ بالطبع لا فهل يقبلون الحكم بعدم وجودها؟!

العقل الذي بسببه نحكم أننا عقلاء هل أبصره هؤلاء؟ وهل يستطيعون أن يحكموا بعدم وجوده عندهم أم لا؟

بناء على منطقهم المعوج هو غير مشاهد، ومن ثم فهو غير موجود، وهؤلاء غير عقلاء، ويجب أن يحولوا فوراً إلى أقرب مستشفى عقلي لعلهم يعقلون، وإلا فليرجعوا عن هذا المنهج المادي.

٣- هذا بالإضافة إلى أن تطبيق المستشرقين لهذا المنهج على العقيدة الإسلامية وتعاليمها لا يصحبه دليل مقنع ولا برهان ساطع يعضد أقوال أصحابه ؛ لذا كان هذا المنهج مثار نقد عند كثير من الباحثين الاجتماعيين بالذات خاصة الغربيين ومن هؤلاء:

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

إيفانز برتشارد Evans. Pritcherd

عالم الاجتماع البريطاني الذي ذكر بأن من فعل ذلك فقد انطلق من منطلق إلحادي أو عدائي إزاء الأديان السماوية. كما انتقدت أيضاً السيدة (مريم جميلة) هذا المنهج في دراستها للإسلام.

وكتب (أدوارد سعيد) في معرض حديثه عن الاستشراق الأمريكي المعاصر بأن هذا المنهج الاجتماعي في تناوله للإسلام قد أتى بدراسات متحيّزة وغير دقيقة وضرب أمثلة كثيرة على ذلك[1]

وفي النهاية أقول:

إن منطلق المسلمين العقدي يقوم على التسليم بأن العقيدة الإسلامية ثبتت بالوحي الإلهي الرباني، ولا أثر للبيئة والمجتمعات في إيجاد هذه العقيدة الغراء، وأن محمداً ﷺ عرّف بربه كما أخبره ربه بذلك وبلغ للناس هذا التعريف ورسم لهم الطريق الصحيح ليتبعوه ولا يتبعوا السبل التي تفرقهم وتبعدهم عن ربهم خالقهم ورازقهم، وقد كملت هذه العقيدة في عهده ﷺ، ومصادرها باقية معنا إلى يومنا هذا، فإن انحرف المسلمون عنها قليلاً فلا يجب أن يحسب ذلك على الإسلام بل يجب أن تكون المرجعية إلى مصادر الإسلام المتمثلة في الكتاب والسنة لا المسلمين ولا البيئات ولا الأحداث التاريخية، فإن فطن المستشرقون إلى ذلك كانت أحكامهم موضوعية ومناهجهم صحيحة، وإن خالفوا وحكموا المناهج الأرضية وأصروا على المؤثرات الخارجية فحسب فأقوالهم لا يصح أن تصبغ بالصبغة العلمية، وللأسف فالخط الأخير هو الذي سار عليه المستشرقون.

وعليه بنوا افتراءاتهم حول العقيدة، ولنضع الآن هذه الافتراءات في ميزان النقد كما أسلفنا ذكراً.

---

(١) راجع دراسات استشراقية - بحث د/ محجوب كردي. ص١٦٤-١٦٦ بتصرف.

المبحث الثاني

نقد فريتهم القائلة إن العقيدة الإسلامية تأثرت بالشركيات البيئية والعربية

أشرنا من قبل أن الذي افترى ذلك هو كل من (مونتجمري واط وماكدونالد وبروكلمان) وقد جاؤوا بأقوال بنيت على المنهج السابق، وهذا المنهج قد ثبت بطلانه، وإليه وجهت انتقادات وما بني على باطل فهو باطل.

ودليل بطلان هذه الافتراءات والأقوال قد ينحصر بعد ذلك في أمرين :-

الأمر الأول : هو واقع العقيدة الإسلامية.

الأمر الثاني : فساد الدليل الذي ساقوه.

أما عن الأول: فإن واقع العقيدة الإسلامية يخالف تماماً عقائد أهل مكة وبقية بلاد العرب وقت بعثة النبي الأكرم محمد ﷺ فها هي الكعبة المشرفة يوضع على ظهرها الصنم الأعظم عندهم وهو هبل وسواع قد اتخذته قبيلة هذيل، ويغوث كان لقبيلة مذحج ويعوق كان لقبيلة همدان، واللات كان لقبيلة ثقيف، والعزى كان لقبيلة قريش، ومناة كان لقبيلة الأوس. والجميع لهذه الأصنام يسجدون ظناً منهم بأنها تقربهم إلى الإله الخالق مع إقرارهم بأنه خالق: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [1]

وبجوار هؤلاء كانت طوائف تقر أيضاً بالله الخالق لكنها تنكر البعث والنشور ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)﴾ [2].

[2]كما وجد بين العرب من لا يقبل الاعتقاد بوجود الخالق سبحانه وينكر البعث والإعادة ويزعم أن الدهر وحده هو سبب ذلك: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا

---

(١) سورة الزمر الآية: ٣.

(٢) سورة يس الآية: ٧٨، ٧٩.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[1] إلى غير ذلك من العقائد التي كانت تعج بها مكة وبلاد العرب.[2]

فلما بعث النبي ﷺ بالعقيدة السماوية جاءت بواقع يخالف ما عليه واقع أهل بيئته، وحاربت ما عليه هؤلاء، وأثبتت أن الله واحد لا شريك له وهو المعبود بدون وسائط ولا شفعاء: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[3]

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[4]

ثم سخرت من الدهرين المنكرين للخالق والمنكرين للبعث والإعادة وأخبرت أن الله هو منشئ الخلق ولا شريك معه، وهو الذي يعيده ولا مشقة عليه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[5] إلى غير ذلك من العقائد.

إذن فلا يوجد مجرد وجه شبه بين العقيدة في الإسلام وبين العقائد البيئية وقت مجيء الإسلام.

ولو وجد لرأينا حتى مجرد أثر لتلك المؤثرات، فالأثر يدل على المؤثر، فهل تشم رائحة هذا الأثر في العقيدة الإسلامية التي تمنع الوسطاء وتوحد الله وتبين أنه وحده الخالق دون سواه؟

ثم هل أثبت كتاب واحد من كتب التاريخ أن النبي ﷺ شوهد يوماً ما ساجداً أمام صنم، أو راكعاً أمام حجر، أو معتقداً في شمس أو قمر أو شجر، أو رافعاً يديه لغير الخالق جل وعلا؟

---

(١) سورة الجاثية الآية: ٢٤.

(٢) راجع الملل والنحل للشهرستاني، ص٢٣٥، ٢٣٦.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٥٩.

(٤) سورة النجم الآية: ٢٦.

(٥) سورة الروم الآية: ٢٧.

كل ذلك لم يكن بل أهل مكة أنفسهم لا المستشرقون لم يرو أثراً لذلك قط.

فكيف رأى السادة المستشرقون ما لم يحكيه التاريخ وما لم يشاهده أهل مكة قومه وأهله، ومالم يقره واقع العقيدة الإسلامية الموحى بها من قبل السماء؟؟

إن الثابت حقاً وصدقاً أنه خالف الشركيات بكل أنواعها وحطم الأصنام وعلى رأسها كبيرها وردد وقت ذاك قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.[1]

وأما الأمر الثاني: وهو فساد الدليل القائم على إيراد قصة الغرانيق.

والغرانيق هي الطير البيض، وإحداها غرنوق كزنبود وفردوس، وفيه لغات غير ذلك.[2]

وفي عهد رسول الله ﷺ كان المشركون يطلقون هذا الاسم على أصنامهم زعماً منهم أن الأصنام ترتفع إلى الله تعالى كالطير البيض فتشفع عنده لعابديها.[3]

وقديماً زعم المشركون أن النبي ﷺ قد ذكر هذه الغرانيق (الأصنام) في بعض قراءته بخير.

وحديثاً جاء المستشرقون ليرددوا المزاعم نفسها حول القصة ويفتروا القول بأن محمداً -عليه الصلاة والسلام- قد جامل المشركين في عقائدهم وأدخل على عقيدته جزءاً من شركياتهم حين ذكر الغرانيق.

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٨١.

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيزوآبادي. مادة غرنق، ص١١٨٠ مؤسسة الرسالة.

(٣) أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن - للشنقيطي ج٥ ص٧٣٢ . عالم الكتب - بيروت.

ادعى ذلك (بروكلمان وواط) في أقوالهما السابقة ظناً منهما أن ذلك دليل وبرهان على صدق ما يفترون.

وكذب الجميع فيما ذكروا وما صدقوا، لأن القصة من أساسها باطلة ودخيلة وهي من كيد المشركين والشيطان.

وإذا كان بعض المفسرين كالطبري - رحمه الله وغيره قد أوردها- بدون تعليق تحت تفسير قوله تعالى من سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾﴾ (١)

فإن الأكثرية من علماء الحديث والتفسير في القديم والحديث قد اثبتوا فسادها وأنها نسبت زوراً إلى قراءة رسول الله ﷺ وأن الشيطان هو الذي أوحى إلى أوليائه من المشركين بأن النبي الأكرم ﷺ قد ذكر أصنامهم بخير في قراءته.

مضمون هذه القصة:

أن النبي ﷺ كان يقرأ سورة النجم بمكة فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾. (٢)

ألقى الشيطان على لسانه -تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى- فلما بلغ آخر السورة سجد وسجد معه المشركون والمسلمون، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم. ومضوا فرحين مسرورين، ثم شاع في الناس أن أهل مكة أسلموا حتى رجع كثير من المهاجرين إلى الحبشة ظناً منهم أن قومهم أسلموا فوجدوهم على كفرهم، وبسبب ذلك حزن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ فنزلت آية الحج التي نحن بصددها.

---

(١) سورة الحج الآية: ٥٢. (٢) سورة النجم، الآية: ١٩ـ٢٠.

وهاك طرفاً من ردود العلماء على القصة :

أولاً : نقد الروايات التي جاءت بها القصة :

١- يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله- إن ما ذكر من قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا قد جاءت من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، ثم ذكر هذه الطرق وأثبت في عقب كل واحدة منهن صحة حكمه[(١)].

٢- ويقول الإمام الشوكاني بعد سياقه لهذه القصة :

ولم يصح شيء من هذا ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المشككون بكتاب الله سبحانه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣)﴾[(٣)] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤)﴾[(٤)]

فنفى المقارنة للركون فضلاً عن الركون.

ثم ذكر الشوكاني عن البزار: أن هذه الرواية لم ترو بإسناد متصل، وعن البيهقي أنه قال: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وأن رواتها مطعون فيهم، وذكر عن عن إمام الأئمة ابن خزيمة: أن هذه القصة من وضع الزنادقة.[(٥)]

٣- أما صاحب أضواء البيان فيقول: اعلم أن مسألة الغرانيق مع استحالتها شرعاً ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج وصرح بعدم

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ج٣ ص٢٣٩، دار التراث العربي - القاهرة.

(٢) سورة الحاقة الآية: ٤٤، ٤٥، ٤٦.

(٣) سورة النجم الآية: ٣.

(٤) سورة الإسراء الآية: ٧٤.

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني، ج٣ ص ٥٢٠ - المكتبة التجارية . مكة المكرمة.

ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب، والمفسرون يرون هذه القصة عن ابن عباس عن طريق الكلبي... ومعلوم أن الكلبي متروك..

وقد اعترف الحافظ ابن حجر مع انتصاره لثبوت هذه القصة بأن طرقها كلها إما منقطعة أو ضعيفه إلا طريق سعيد بن جبير.

وإذا علمت ذلك فاعلم أن طريق سعيد بن جبير لم يروها بها أحد متصلة إلا أمية ابن خالد، وهو وإن كان ثقة فقد شك في وصلها.. فالراوي شك في الوصل ومعلوم أن ما كان كذلك لا يحتج به لظهور ضعفه. ثم انتهى إلى القول... وقراءته ﷺ وسجود المشركين ثابت في الصحيح ولم يذكر فيه شيء من قصة الغرانيق وعلى هذا القول الصحيح وهو أنها باطلة.(١)

تلك هي بعض الأقوال التي جاءت لتبين أمامنا أن جميع طرق الرواية التي جاءت بها القصة غير صحيحة، فمن احتج بثبوتها من المستشرقين وأمثالهم فإنه لا يملك دليلاً يقوي احتجاجه على ذلك؛ لأن العلماء الذين تتبعوا الرواية لم يتركوا له مجالاً وهم حجة لأنهم أهل التخصص في هذا الفن.

ثانياً: نقد القصة بتفسير الآية:

وطالما تقرر أمامنا بطلان تلك الروايات التي تزعم بأن النبي ﷺ قد أثنى على الغرانيق في قراءته فلنتعرف على تفسير الآية الكريمة من سورة الحج: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ [الآية: ٥٢]

١ -يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: معنى قوله تمنى في هذه الآية الكريمة للعلماء فيه قولان: أن تمنى بمعنى قرأ وتلا ومنه قول حسان في عثمان بن عفان رضي الله عنه:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

(١) أضواء البيان، ج٥ ص٧٣٠، ٧٣١.

والقول الثاني: أن تمنى في الآية من التمني المعروف وهو تمنيه إسلام أمته وطاعتهم لله ولرسوله، ومفعول ألقى محذوف فعلى أن تمنى بمعنى أحب إيمان أمته وعلق أمله بذلك. فمفعول ألقى يظهر أنه من جنس الوساوس والصد عن دين الله حتى لا يتم للنبي أو للرسول ما تمنى.

ومعنى كون الإلقاء في أمنيته أن الشيطان يلقي وساوسه وشبهه ليصد بها عما تمناه الرسول.(١)

والشيخ يريد أن يقول إن الشيطان كان يلقي بالوساوس في أسماع الناس لكي يصدهم عن تحقيق أمنية رسول الله ﷺ، ومن هذه الوساوس تلك القصة التي أشاعها المشركون على رسول الله بأنه ذكر آلهتهم بخير. وهو منها -براء- عليه الصلاة والسلام.

٢- يوضح ذلك جيداً صاحب كتاب (فتح القدير) فيقول: إن الشيطان أوقع في مسامع المشركين -ذلك- أي تلك الغرانيق العلى إلخ.. من دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ ولا جرى على لسانه. فتكون هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ. أي لا يهولنك ذلك أي -ما أشاعه عنك المشركون- ولا يحزنك فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء..

قال ابن عطية: لا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة وقعت بها الفتنة.. وإن ذلك لن يستمر: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي يبطله ويجعله ذاهباً غير ثابت، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي يثبتها، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي كثير العلم والحكمة في كل أقواله وأفعاله.(٢)

وبهذا تكون الآية الكريمة بمثابة ترويح ودفع للحزن الذي أصاب رسول الله ﷺ بسبب ما أشاعة القوم عنه، وأنه عليه الصلاة والسلام بريء مما نسب إليه براءة الشمس من اللمس.

---

(١) أضواء البيان، ج٥ ص ٧٢٧، ٧٢٨.

(٢) راجع فتح القدير، ج٣ص٥٢١ - للشوكاني.

ثالثاً: نقد الرواية عقدياً:

فقد أثبت علماء العقيدة في الإسلام -ومعهم علماء الأمة جمعاء- أن وصول الوحي إلى الأنبياء محوط بضمان إلهي يمنع التزايد على النص ويحول دون التدخل الشيطاني في التبليغ.[1]

قال سبحانه وتعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا (٢٨)﴾[2] ومن هذه الضمانات عصمته ﷺ من الخطأ والنسيان فيما أخبر به عن ربه.

١- وفي ذلك يقول القاضي عياض في الشفاء: إن الأمة اجتمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الأخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً.[3]

وما قاله القاضي عياض يفهم أنه لوظن شخص أن الثناء على الغرانيق يمكن أن يكون وقع على لسان النبي ﷺ ولو سهواً أو نسياناً وهما مجوزان على الأنبياء عند البعض. فإن ذلك الظن لا يقبل أبداً؛ لأن السهو والنسيان فيما طريقه البلاغ غير جائز كما هو مقرر في كتب العقيدة وصدق القاضي في حكمه؛ لأن المسأله مسألة تبليغ، والنبي بلغنا بأن هذه الأصنام مذمومة فكيف يبلغنا بعد ذلك بغير ما هو عليه.

٢- والإمام الرازي له كلام نفيس في هذه المسألة إذ هو يذكر أن الكلام الموحى به إلى الرسول ﷺ والمبلغ منه إلى الناس محوط بمعجزة تبين للرسول أن الذي بلغه ملك

---

(١) في نور العقيدة الإسلامية، ص١٨ - د/ سيد أحمد المسير ج١. وزارة الأوقاف المصرية.

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٦-٢٨.

(٣) نقلاً عن فتح القدير، ص٥٢٠.

معصوم لا شيطان مضل، والملك نفسه إذا سمع كلام الله فلابد له من معجزة تدل على أن ذلك الكلام كلام الله تعالى، فإذا أوصل الرسول هذا الكلام إلى الأمة لابد أن يؤكد على صدق ذلك بمعجزة، فثبت أن التكليف لا يتوجه إلى الخلق إلا بعد وقوع هذه المراتب الثلاث.[1]

فأمر الموحى به إذن محكم وفيه تيقن من صدق وعصمة المبلغ للمبلَغ.

٣- وعلى نسق (القاضي عياض) و (الرازي) جاء أيضاً كلام للعلامة (أبو بكر بن عربي) -رحمه الله- يؤكد فيه على عصمة النبي ﷺ والضمان الإلهي في مسألة الموحي به وإبطال ما نسب إلى المصطفى -عليه الصلاة والسلام- في هذه القصة.

وفي ذلك يقول: إن النبي ﷺ إذا أرسل الله إليه الملك بوحيه فإنه يخلق فيه العلم به حتى يتحقق أنه رسول من عنده، ولولا ذلك ما صحت الرسالة ولا تبينت النبوة. فإذا خلق الله العلم به تميز عنده من غيره وثبت اليقين واستقام سبيل الدين.

ولوكان النبي إذا شافهه الملك بالوحي لا يدري أملك هو أم إنسان أم صورة مخالفة لهذه الأجناس ألقت عليه كلاماً أو بلغت إليه قولاً لم يصح له أن يقول إنه من عند الله، ولا ثبت عندنا أنه أمر الله، فهذه سبيل متيقنة وحاله متحققة لا بد منها، ولا خلاف في المنقول ولا في المعقول فيها. ولو جاز للشيطان أن يتمثل فيها أو يشتبه بها ما أمناه على آية ولا عرفنا منه باطلاً من حقيقة، فارتفع بهذا اللبس وصح اليقين.[2]

من خلال هذا العرض الموجز السابق:

يتبين أمامنا أن ما زعمه المستشرقون والمشركون من قبل في قصة الغرانيق وثناء رسول الله ﷺ عليها زعم خاطئ ولا برهان عليه.

(١) راجع التفسير الكبير، ج٢٧ ص١٨٩، دار احياء التراث العربي.

(٢) أحكام القرآن، ج٣ ص١٣٠٠-١٠٠٣ .أبو بكر بن العربي. دار المعرفة - بيروت ١٩٧٢م.

١- لأن العلماء المحققون أفادوا بأن الرويات التي حملت هذا الثناء في القصة روايات مشكوك في نقلها وباطلة وإن كان هناك ثبوت فهو لجزء من القصة وهو قراءة سورة النجم وسجوده ﷺ في آخرها وكذا المشركون كما جاء في الصحيح وعند المفسرين ولا وجود لهذا الثناء البتة.

٢-أما ما أشيع فهو من كيد الشيطان ووساوسه لاتباعه جماعة المشركين كما قال المفسرون. أو إن كانت عبارة الثناء قد سمعها المشركون حقاً فهي من تلفظ الشيطان وزيادته في صد الناس عن تحقيق أمنية رسول الله ﷺ في إسلامهم(١) ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.(٢)
فيصدقه هؤلاء الأشقياء وهو لهم فتنة ويكذبه العلماء والمؤمنون في كل زمان ومكان.

٣- ومستحيل أن يكون هذا التلفظ من نطق النبي الأكرم -عليه صلوات الله وسلامه- ولو سهواً أو نسياناً لعصمته عن ذلك في التبليغ كما أفاد علماء العقيدة.

وتصديقاً لهذه الإفادة وما سبقها وتكذيباً لافتراءات المستشرقين ومن سبقهم من أتباع الشياطين وإعلاناً للمسلمين أجمع في كل زمان ومكان ليتنبهوا إلى كيد الكائدين نفيد بما يلي :-

أ- أن سورة النجم تلك التي قيل إنها احتوت ثناءً على الغرانيق وآلهة المشركين ها هي بين أيدينا غضة طرية كما نزلت على رسول الله ﷺ منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ليس فيها إلا ذماً لآلهة المشركين، وهذا الذم جاء بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل(في اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ونصه كما أوحى به إلى رسول الله ﷺ في السورة ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾(٣) وتلك قرينة مانعة من صدق الخبر المزعوم ؛ لأنه لا يعقل أن يجتمع

(١) انظر فتح القدير ج٥ ص٧٣٢.
(٢) سورة الحج من الآية : ٥٣.
(٣) سورة النجم الآية : ٢٣.

الذم والمدح في آن واحد، وقد ورد أن المشركين سجدوا مع رسول الله ﷺ وبقية المسلمين، فبالله لو كان هناك مدح ثم تلاه ذم في موضع واحد وموقف واحد وزمان واحد أما كان ذلك يغضب المشركين ويجعلهم يتبادرون بالرد في الحال؟ لكن حالتهم أنهم سجدوا وسجودهم لم يكن لله بل لآلهتهم تعظيماً لها كما سجد الرسول الأكرم تعظيماً لسيده وخالقه سبحانه وتعالى.

فما أكذب القول بأن في السورة ثناء على عقائد المشركين.

ب- إن الشيطان يمكنه بالفعل أن يضلل المشركين عن الصراط المستقيم ولا يمكنه أبداً أن يضلل رسول الله ﷺ فيما أوحى إليه؛ لأنه لا يملك قدرة أو سلطاناً بذلك. بل لا يملك سلطاناً على المؤمنين فكيف بمن دلّ الناس على اليقين وهو سيد المرسلين عليه من الله الصلاة والتسليم.؟! وهاك آيات كثيرة في الكتاب المجيد تصدق ذلك منها: -

قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[1]

وقوله تبارك اسمه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾[2]

وقوله عز شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾[3]

فليس إذن في مقدور إبليس وأعوانه من الشياطين أن يخدع النبي الكريم أو يتنزل عليه بقول ما؛ لأن ذلك لا يكون إلا مع الأفاكين وليس الصادق الآمين.

---

(١) سورة النحل الآيات: ٩٩، ١٠٠.

(٢) سورة الحجر الآية: ٤٢.

(٣) سورة سبأ الآية: ٢١.

قال تبارك وتعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾[1]

فهل قرأ الأفاكون المستشرقون أن نبي الإسلام عليه من الله الصلاة والسلام جُرِّب عليه الإفك أو الأثم يوماً ما؟

لا يستطيع واحد منهم أن يثبت لنا ذلك في أي كتاب من كتب الدنيا كلها، ومع ذلك تمادوا في الحقد والافتراء.

والخلاصة :-

إن دليل المستشرقين في اقتباس رسول الله لعقيدته الصافية من عقائد المشركين والزعم بأنه متأثر ببيئته استناداً على قصة الغرانيق يكذبه واقع الدليل وآيات الكتاب الحكيم وسيرة سيد المرسلين ـ عليه من الله الصلاة والتسليم ـ في محاربة الشرك بكل صوره.

المبحث الثالث

نقد الفرية القائلة إن العقيدة الإسلامية في الله تم الاقتباس لها من اليهودية والنصراينة

ويتحمل إثم هذه الفرية كثير من المستشرقين وعلى رأسهم (جولد تسيهر) اليهودي المجري و (فنسنك).

أما الأول: فقد ذكرنا قوله الذي أشار فيه إلى أن العقيدة في الإسلام قد تطورت عبر عدة مراحل وأخذت من عدة روافد أجنبية كاليهودية والهلينسية وغيرهما. وأن الإسلام استطاع أن يمتص هذه الآراء الأجنبية ويتمثلها وكأنها جزء أصيل من تعاليمه. ثم جاء قوله: ومع ذلك فإن فكرة محمد عن الله أدنى من فكرة الأديان السابقة- وأولها اليهودية.[2]

(١) سورة الشعراء الآية: ٢٢١-٢٢٢.

(٢) راجع العقيدة والشريعة في الإسلام، ص١٢، ٢٤، ٢٦، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون.

أما الثاني فيقول: إن مفهوم المسلمين للإله يلتقي في نقاط عديدة مع وصف يوحنا الدمشقي وشرحه للذات الإلهية.[1]

وهذا يعني أن النصرانية لها تأثير في العقيدة الإسلامية في الله «لأن محمداً كان منتخباً لتعاليمه من عدة أديان سبقته ومنها النصرانية»[2]

وللرد على الفرية الأولى فيما يتعلق بالاقتباس من اليهودية أقول: -

إن القول الذي ساقه (جولد تسيهر) لهو ضرب من الهلوسة الفكرية التي ألمت بذهن الرجل لما يلي: -

أولاً: إن التاريخ والواقع القرآني يقرران أن الإسلام بعقيدته الصافية قد كمل بنيانه وبلغ تمامه في عهد المصطفى ﷺ والمسلمون مجمعون على رفض أية إضافة تجيء بعده، ويعتبرونها ضلالاً، وكتاب ربنا جل وعلا أكد على هذا الإكمال في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3]

فنظرية التطور في العقيدة والإسلام بعد النبي ﷺ أمر غير وارد عندنا جماعة المسلمين؛ لأن هذه العقيدة لم ينشئها بشر، إنما أوحى بها رب البشر، ولا وحي ينزل على أحد بعد رسول الله عليه الصلاة وأتم السلام، فمن ذا الذي يستطيع أن يطور أو يبدل فيما جاء من قبل السماء بعد الرسول الأكرم - صلوات ربي وسلامه عليه.

ثم إن العقل لم يقبل هذا الإكمال؛ لأنه لا يوجد رسل بعد رسول الله ﷺ.

(١) دراسات استشراقية وحضارية، ص١٥٠.
(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢٤.
(٣) سورة المائدة من: الآية ٣.

ثانياً: أما القول بأن العقيدة الإسلامية أخذت عن اليهودية وأن أشرف الخلق نقل معارفه في الإله عن بني يهود فهو من سقط القول وأكذبه، ومثله كمثل من قال: **إن أساتذة طب الأسنان قد نقلوا معارفهم وعلومهم عن الحلاقين في القرى والنجوع، أو أن أمير الشعراء (أحمد شوقي) سرق أشعاره من مؤلفي الأغاني الهابطة في الأسواق.**

والحق أن الأساتذة ليسوا في حاجة إلى نقل معارفهم عن الحلاقين وأن أمراء الشعر لا يسرقون أشعارهم من الزجالين، وأن محمداً ﷺ الذي قدم للعالم أنفس العقائد والشرائع في أرقى أسلوب وأنصع بيان ليس في حاجة إلى الاقتباس لعقيدته الغراء عن اليهود المنحرفين للأسباب التالية:-

١- أن هؤلاء خلقوا لأنفسهم عقيدة بعد موسى عليه السلام- تصور الإله في التوراة بـ(يهوه) [١] وهو كما يقول الأستاذ نذير حمدان: تصور خاص يتعلق باليهود وحدهم وليس له صفة العموم والشمول[٢] فهو إلههم فقط لا إله العالمين[٣].

بينما الإسلام يعرف اسم الله إله الجميع، وإله العالمين لا يهوه الذي تخيله اليهود إلهاً لهم فأين دليل الاقتباس هنا؟.

٢- كما تصوره ـ عز وجل ـ في أول سفر يُصدّر به العهد القديم وهو سفر التكوين بأنه إله مرهق متعب لا حول له ولا قوة «وكان صباح يومٍ سادس - كملت السموات والأرض، وفرغ الله في اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل...»[١]

---

(١) معنى يهوه الكائن الذي يكون- وهذا الاسم لم يعرف للإله عند الأنبياء قبل موسى. انظر: عقيدة اليهود في الله والأنبياء، ص١١٢ سعد عابد توفيق الهاشمي.

(٢) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، ص٣٤ - نذير حمدان.

(٣) عقيدة اليهود في الله والأنبياء، ص١١٢.

(٤) سفر التكوين إصحاح ١/من فقرة ٣١/إلخ.

بينما تخبر العقيدة الإسلامية -عنه جل شأنه- بأنه خالق بالفعل للسموات والأرض وما بينهما لكنه صاحب قدرة وعزة وجبروت ولا يقع عليه التعب ولا يصيبه الإرهاق كما ظن صاحب هذا السفر. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[١].

قال المفسرون: أي وما مسنا من إعياء أو تعب أو نصب[٢]، ومن ثم فالمفارقة بين العقيدتين هنا واضحة وجلية، ولا يوجد أي برهان على الاقتباس.

بيد أن (جولد تسيهر) يعترض على ذلك ويشير إلى أن خبر الخلق في ستة أيام اقتبسه محمد من اليهودية، ونص عليه في هذه الآية وغيرها، إلا أنه تعمد التحريف بعد ذلك فلم يخبر بأن الله استراح وهذا نص قوله: «ومع تسليم محمد بأن الله خلق العالم في ستة أيام أي -كما قال سفر التكوين- فإنه رفض عامداً فكرة أن الله استراح في اليوم السابع ولذلك لم يجعل يوم الجمعة يوم راحة»[٣]

أي كان ينبغي على نبينا -عليه الصلاة والسلام- أن يسير في ركب كتاب التوراة -السكارى- ويوجب على نفسه الإيمان بهذا الإله المتعب المرهق حتى يتم التقليد وفق تصور ذهن هذا المستشرق المضطرب.[٤]

ونسي هذا الرجل أن الذي أخبر عن ذاته بأنه منزه عن أوهام اليهود هو خالق السموات والأرض نفسه، وليس هذا من اختلاق محمد وتعمده كما يظن هذا المخمور، بل هو تنزيل من رب العالمين على قلب خير الناس أجمعين، وما كان ذلك إلا لكي يكشف جزءاً من عورات العقيدة اليهودية -بعد موسى عليه السلام- في الله عز وجل وما أكثر هذه العورات في بطون كتبهم ومنها أيضاً:

(١) سورة ق الآية: ٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٢٩.

(٣) العقيدة والشريعة، ص٢٦.

(٤) دفاع عن العقيدة والشريعة، ص٣٢ الشيخ محمد الغزالي - نهضة مصر.

٣- تصويره جلا وعلا بأنه إله طائش حين يغضب وصفه بذلك التلمود.[١] قائلاً: «حينما يغضب الرب يفعل أفعالاً لا قيمة لها ولا وزناً»[٢] بينما تخبر العقيدة الإسلامية بأنه سبحانة عليم حليم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[٣]

كما تصفه جل شأنه بأنه صاحب العفو والمغفرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٤] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[٥]

ومن كان كذلك لا يوصف بالغضب الموصوف بالطيش كسكارى الشوارع والحارات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٤- كما تصوره العقيدة اليهودية -سبحانه وتعالى- بأنه إله كسلان ينام كثيراً ويستيقظ كالمخمور -إي وربي-هكذا يقول المزمور: «فاستيقظ الرب كنائم جبار معيط من الخمر»[٦]

وفي المقابل تطهر العقيدة الإسلامية أذهان الخلائق من هذا التلوث العقدي اليهودي وتقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٧] أي لا معبود بحق إلا هو؛ لأنه قيوم أي قائم على كل نفس بما كسبت، يدبر الخلق ويحفظه، وطالما هو كذلك لا تأخذه مجرد سنة وهي مقدمة النوم، ومن باب أولى لا ينطبق عليه النوم[٨]، فهذا يكون للمخلوق الضعيف فما بالك بالقادر المقتدر الذي: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

(١) التلمود هو أحد كتب اليهود المقدسة، وأصل الكلمة لامود وهي التعاليم، ومعناه الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية الشفوية التي يزعمون أن موسى تلقاها على الجبل، وبهذا الكتاب تفسيرات وشروح للعقائد اليهودية في الله قام بها حاخامات اليهود في كل من بابل وفلسطين - راجع الكنز المرصود في فضائح التلمود، ص ١١-١٣. د/ محمد عبد الله الشرقاوي - مكتبة الوعي الإسلامي. القاهرة.

(٢) التلمود، ص١١٢ زهدي الفاتح - دار النفائس -بيروت.

(٣) سورة النساء من الآية: ١٢.

(٤) سورة النساء من الآية: ٤٣.

(٥) سورة الرعد من الآية: ٨.

(٦) مزمور ٦٥/٧٨.

(٧) سورة البقرة من الآية: ٢٥٥.

(٨) للمزيد راجع تفسير فتح القدير للشوكاني، ج١ ص٢٩٨، ٢٩٩.

٥- وفضلاً عما تقدم فإن عقيدة هؤلاء اليهود تتمادى في افتراءاتها على الحي القيوم الذي له ملك السموات والأرض فتقول: -تعالى عما يفترون علواً كبيراً- بأن هذا الإله كثير البكاء والدمع كثير الانكماش.

نص على ذلك التلمود:

«منذ تدمير الله لهيكل سليمان لم ينقطع عن البكاء والندم؛ لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة وهو يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشاً يصرخ كالأسد ويقول: الويل لي تركت بيتي ينهب وهيلكي يحرق وأولادي يشتتون... وكل يوم يذرف دمعتين في البحر على تركه بني إسرائيل تسمع من أقصى العالم... وتسبب فرقعة شديدة وتنزل قوتها الهزات الأرضية»[1] الخ

وهنا يكاد العقل يقف عن التفكير والقلم عن التسطير، ويتساءل المرء بكل عجب هل معقول أن يكون هذا الإله هو إله العالمين الذي يلجأ إليه المرء في البأساء والضراء وحين البأس ويفزع إليه المكروب ويطلب منه صاحب الحاجة كشف البلاء؟

لا يمكن أبداً أن يكون هذا الإله هو إله العالمين، بل إله خلقته مخيلة اليهود الذي قال عنها (جولد تسيهر) إن محمداً ﷺ قد اقتبس عقيدته منها وغاصت هذه المخيلة أكثر وأكثر في الأقوال عن رب الأكوان كان من أغربها فضلاً عما تقدم.

٦- دخول هذا الرب الذي تخيلوه في حلبة ملاكمة مع يعقوب -عليه السلام- وتغلب يعقوب عليه واعتراف الرب بهزيمته أمام يعقوب وإقراره له بعد ذلك بالمباركة، وقد ذكر ذلك سفر التكوين:

---

(١) التلمود، ص١١٢ زهدي فاتح.

وقال الرب ليعقوب وهو يصارعة طوال الليل

«اطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ قال يعقوب فقال... بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وباركه...هناك».[1]

أي بعد أن قبض يعقوب على الإله طلب منه العفو فلم يفعل في البداية ولما أطلقه وعفا عنه أعطاه لقب إسرائيل وسمته التوراة بعد ذلك بمصارع الرب والمنتصر على الرب، لكن باليقين ليس هذا الرب ربي ورب الناس أجمعين، بل رب من الأرباب التي قال فيها القائل لما رأى ثعلبًا يبول على حَجَرٍ يُعبد من دون الله قال:

رب يبول الثعلبان برأســــــه وقد ذل مـن بالت عليه الثعـالبُ

فلو كـان رباً كان يمنع نفســــه فلا خير فـي رب دَهَتهُ المصائب

برئت من الأصنام فـي الأرض كلها وآمنت بالله الذي هو غالب

من هذا القبيل كان رب اليهود المزعوم، بينما الرب الذي تدعو العقيدة الإسلامية إلى توحيده وعبادته بحق هو الله الذي هو غالب.

تلك هي بعض نقاط المقارنة بين العقيدة الإسلامية في الله جل وعلا وبين العقيدة اليهودية التي زعم هذا المستشرق أنها أصل للأولى والأولى فرع عنها.

ثالثاً: بقيت نقطة أخيرة:

وتتمثل في أن هذا المستشرق بعدما افترى فريته زاد في غيه وافتراءاته فزعم أن عقيدتنا الغراء في الله بالرغم من أنها قد استمدت من الأديان السابقة فقد كانت أقل درجة في معرفة الله عما تعرفه هذه الأديان.

وهذا نص قوله: «إن فكرة محمد عن الله كانت أدني من فكرة الأديان السابقة»[1]

(١) سفر التكوين، إصحاح ٣٢/فقرات من ٣٦: ٢٩.

(٢) العقيدة والشريعة ص٢٩.

ونظن أن الأمر كان كذلك في ذهن هذا الرجل ؛ لأن محمداً -عليه الصلاة والسلام- في عقيدته لم يقلد اليهود في تصويرهم السابق -لله عز وجل- فلو حكم محمد بأن الإله الخالق إله عاجز ومتعب وهو طائش حين يغضب، أو صوره على مسرح الملاكمة مع يعقوب المنتصر، لو صوره كذلك -لا نتظرنا من هذا المستشرق أن يقول عكس ما قاله تماماً- أما وأن محمداً يصف ربه بالقوة والحكمة والعدل وعدم مماثلته -جل وعلا- لأحد من الخلائق. ويقر بأن كل ما في الكون من إنسان وجان وجماد وحيوان وماء وشجر الجميع له ساجد والكل له مسبح وحامد.

فالطير سبحه والوحش مجده
والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدسه
والنحل يهتف حمداً في خلاياه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم
والعبد ينسي وربي ليس ينساه

أيوجه محمد ﷺ الخلائق إلى هذا الاعتقاد الجديد والتصور البعيد عن التصور اليهودي وننتظر من هذا الرجل وأمثاله أن يثني على عقيدة محمد ﷺ ولا يتهمها بالانحطاط والسرقة؟!

إننا نسوق له في النهاية ما قاله مستشرق مثله، لكن بعد تفكر وتدبر في عقيدة الإسلام ومدى ملاءمتها للفطرة السليمة هداه الله لهذه العقيدة الغراء وأعلن إسلامه إنه المستشرق (هنري دي كاستري) الذي يقول: لا إله إلا الله، ذلك هو أصل الاعتقاد بإله فرد صمد منزه عن النقائص... ويستحيل أن يكون هذا الاعتقاد قد وصل إلى النبي ﷺ من مطالعته للتوراة والإنجيل، لأن ما فيهما مناقض لفطرته ومخالف لوجدانه[1] كما يقول (سورديال) أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونتريال: الله واحد أزلي

(١) قالوا عن الإسلام ص ١٢٧ د/عماد الدين خليل. الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ليس كمثله شيء قادر على كل شيء... وهذا الإيمان للإله الواحد هو ما يميز دين المسلمين عن الديانات الأخرى تميزاً جذرياً.[1]

فهل يعي هذا المجنون هذا القول ويعلم أن عقيدة الإسلام في الله عقيدة مستقلة جاءت بوحي السماء، وما كان كذلك فهو أعلى درجة من تلك العقائد التي اختلقتها مخيلة أبناء الأفاعي، تجاه الواحد القهار.

٢- أما الرد على الفرية الثانية:

فيما يتعلق بالاقتباس من النصرانية والتي زعم فيها (فنسنك) ومن سار على نهجه من المستشرقين[2] بأن العقيدة النصرانية كان لها أثر في العقيدة الإسلامية، وأن مفهوم الإله عند المسلمين يلتقي مع وصف يوحنا الدمشقي وشرحه للذات الإلهية.

أقول:

أ- تلك الفرية أكذب من أختها، ولا يوجد مع صاحبها أي دليل يؤكد تحققها تماماً كما ادعى (جولد تسيهر) من قبل، ويكفي أن يعلم كل ذي بصيرة أن عقيدة قائمة على توحيد الإله توحيداً خالصاً لا يمكن أن تقتبس أو تتأثر بعقيدة تقسم الإله إلى أجزاء ثلاثة. كل جزء منها يطل عليك برأس يخالف الآخر.

فهذه رأس أب وتلك رأس ابن والثالث رأس روح قدوس، والغريب أن الثلاثة رؤوس رأس واحدة بالله كيف يكون ذلك كذلك وكيف يقبل العقل قبول ذلك وأي عقيدة تلك التي توجد عند النصارى حتى يقتبس منها محمد ﷺ ما هذا التهريج؟! وهل ثبت أن محمداً قال بمثل ما يقولون، أما يستحي هذا

(١) المصدر السابق، ص١٩٩.

(٢) سار على نفسه في ذلك بروكلمان وهنري ماسيه وغيرهما. راجع دراسات استشراقية وحضارية، ص١٥٦، ١٥٧.

المستشرق الأثيم ومن سار على نهجه من احتضان عقيدة كتلك؟ أما كان ينبغي له وأمثاله أن يدفنوا رؤوسهم في الرمال بدلاً من أن يطلقوا أقوالاً ضد عقيدة غراء تنزه الإله عن كل نقص وتبعده عن كل مماثلة له مع الخلائق؟!

ويكفي أن نرد على (فنسنك) وأمثاله بما قاله مستشرقون كانوا في بُعد عن الإسلام فهداهم الله لنور اليقين واعتنقوا عقيدته الصافية وقارنوا بينها وبين العقيدة النصرانية القائمة فوجدوا المفارقة بينةً، وأن لا أثر في عقيدة الإسلام لغير وحي السماء.

١ - ومن هؤلاء ناجيمو راموني Najimu ramoni (١)

الذي قال: «لم يكن لي خيار من المقارنة بين توحيد الله في التصور القرآني وبين اعتقادي في الثالوث كمسيحي فوجدت أن المبدأ الأخير أدنى بكثير من المبدأ الإسلامي.. ومن هنا بدأت أفقد الثقة في الديانة المسيحية على اعتبار أن الإيمان بالله هو أول وأهم مبدأ في أي دين من الأديان، فإذا كان إيماني به خاطئاً... فمعنى ذلك أن كل نشاط آخر يصبح عبثاً لا جدوى منه ولا معنى». (٢)

وصدق راموني فيما قال؛ لأن ما بني على باطل فهو باطل والعقيدة النصرانية أخطأت في أول ركن من أركان الإيمان وهو قولها بوحدانية مركبة من أقانيم ثلاثة. ولو عمل أصحابها بعد هذا الخطأ كل خير في الدنيا لن يقبل منهم وهم في الآخرة من الخاسرين.

---

(١) من غانا بإفريقية الغربية، ولد لأبوين مسيحيين عضوين في كنيسة البعثة المعمدانية، وتلقى تعليمه في المدارس التبشيرية، ولما بلغ العشرين بدأ مهمته كمبشر متحمس، لكن أحد أصدقائه أهداه يوماً ما كتاباً عن الإسلام، فاهتزت قناعته بالنصرانية أمام صدق الإسلام في طريق البحث عن الحق حتى أعلن في النهاية إسلامه في خريف عام١٩٦٣.

(٢) قالوا عن الإسلام، ص١٨١ د/عماد الدين خليل.

بينما العقيدة الإسلامية صححت مسار الإيمان من أول خطوة، وأخذت بيد البشرية إلى عبادة إله قادر مقتدر حياته لا كحياة المخلوقات، وقدرته تباين كل الكائنات، وشتان بين العقيدة هنا والعقيدة هناك.

٢- ويقول أيضاً بيجي رودريك Peggy Raderik [١]

(لم يمض وقت طويل حتى أيقنت أن هذا الدين -الإسلام- هو الدين الحق بالمقارنة بكافة الأديان الأخرى، كما أيقنت أن الاعتقاد الإسلامي بواحدانية الله... أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث مثلاً إذ أن فطرتي استساغت الإيمان بالله الواحد).[٢]

ورودريك بهذا يضرب على يد كل قائل بأن النصرانية المثلثة ذات أثر في التوحيد الإسلامي.

٣- أما «الفونس إتين دينيه»[٣] والذي اعتنق الإسلام وسمى نفسه ناصر الدين دينيه فإنه يعقد موازنة بين العقيدة الإسلامية في الله والعقيدة النصرانية ليبين الفروق الجوهرية بين العقيدتين وليعلم الجميع مدى كذب وافتراء «فنسنك» ورفقائه.

وفي ذلك يقول «دينيه»:

الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الإله شكلاً بشرياً... أما في المسيحية فإن لفظ [الله] تحوطه تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال، فمن تجاعيد في الوجه غائرة إلى لحية بيضاء مرسلة تثير في النفس ذكرى الموت والفناء.

---

(١) هندي الأصل، نشأ في ظل الاستعمار البريطاني للهند، وكان نصرانياً تلقى تعليمه على يد المبشرين الذين كانوا منتشرين في شبه القارة الهندية إلا أنه اقتنع بالإسلام وأعلن اعتناقه له في منتصف الأربعينيات.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ج٦ /١١٢، ١١٣ نقلاً عن المصدر السابق ص١٨٣.

(٣) ترجمنا له من قبل.

ونسمع القوم يصيحون -ليحيا الله- فلا نرى للغرابة محلاً ولا نعجب لصيحتهم وهم ينظرون إلى رمز الأبدية الدائم وقد تمثل أمامهم شيخاً هرماً قد بلغ أرذل العمر، فكيف لا يخشون عليه من الهلاك وكيف لا يطلبون له الحياة؟

كذلك (ياهوه) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتهالكة وكذلك نراه في متحف الفاتيكان وفي نسخ الأناجيل المصورة القديمة.

أما (الله) في دين الإسلام الذي حدث عنه القرآن فلم يجرؤ مصور أو نحات أن تجري به ريشته أو ينحته إزميل.

ذلك لأن (الله) لم يخلق الخلق على صورته سبحانه وتعالى فلم تكن له صورة ولا حدود محصورة، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد لم يكن له كفواً أحد.[1]

وبهذه الأقوال تبين أمامنا أن ما ذهب إليه «فنسنك» ومن معه لا يمت إلى الحقيقة بصلة.

ب- أما ما ذهب إليه هذا الفنسنك من أن مفهوم الإله عند المسلمين يلتقي مع شرح (يوحنا الدمشقي) للذات الإلهية.

فإننا نقول له: إن يوحنا هذا كان إذا ما تحدث عن الإله يقول: وبأعين الله وجفونه..

وبآذانه وسمعه نفهم مغفرته وسماعه لأصواتنا... وفمه وكلامه يدلان على إرادته.. ثم يقول وهو وحده الأزلي ولا يعرفه أحد ولا يتناهى وهو يتأمل في ذاته»[2]

---

(١) أشعة خاصة بنور الإسلام ص ٢٥، ٢٦ ترجمة الأستاذ/راشد رستم. سلسلة الثقافة الإسلامية ١٣٧٩هـ.

(٢) نقلاً عن دراسات استشراقية ص١٥٠، ١٥١.

هذه هي بعض أقواله التي يزعم (فنسنك) أن لها أثراً في عقيدتنا الإسلامية، وهي في الحق لا تنسجم أبداً مع عقيدتنا في الله عز وجل لما يلي: -

أولاً: لفظ الجفون والأذن والفم لم يرد عنهم شيء في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ ونحن لا نأخذ بشيء خاصة في المجال العقدي إلا من خلال هذين المصدرين.

ثانياً: قوله «ولا يعرفه أحد» قول قد ينطبق على النصارى الذين لا يمكن أن يعرفوا حقيقة معتقدهم في الله، فهناك آمن ولا تتكلم -أي بدون أي تفكر لما يلقى عليك من مفاهيم تجاه الأب والابن والروح القدس.

أما في الإسلام فمعرفة الله أساس في العقيدة الإسلامية ويتفاضل المسلمون تبعاً لمعرفتهم بالله وتعظيمهم لأمره تعالى وطاعته.

وهذه المعرفة تنبع من القرآن الكريم والسنة الصحيحة اللذين تحدثا عن الله تعالى وعلاقته بالكون والإنسان، كما تنبع من آثار خلق الله الدالة على قدرته وبديع صنعه في الكون.

وأكمل البشرية معرفة بالله تعالى هم رسل الله وأنبياؤه ثم العلماء.[١]

ثالثاً: أما وصفه بأنه (يتأمل في ذاته) فهو أيضاً لم يرد في العقيدة الإسلامية لأنه لم يقم عليه دليل شرعي.

بل هو لفظ فلسفي وجد عند أصحاب الأفلوطنية القديمة في نظرية الفيض والعقول العشرة، والقائلة بأن الله يتأمل في ذاته فيفيض عنه العقل الأول وعن العقل الأول جاء العقل الثاني إلى العقل العاشر، وكل عقل كان يتأمل في ذاته فيفيض عنه ما بعده الخ.[٢]

---

(١) راجع المصدر السابق ص١٥١.

(٢) لمعرفة هذه النظرية بتفصيل راجع الجانب الإلهي د/ محمد البهي والتأويل الباطني الإسماعيلي د/ عبد العزيز سيف النصر.

ومعلوم أن المسيحية تأثرت بالفلسفات الأرضية في عقيدة الثالوث والصلب والقيامة.[1]

أما العقيدة الإسلامية فما زالت غضة طرية لم يمسسها سوء ولم يلحق بها فكر وثني ولن يكون بإذن الله.

المبحث الرابع

نقد الافتراءات الاستشراقية في قضية الإسماء والصفات الإلهية والرد عليها

قد أشرنا من قبل إلى أن قضية الأسماء والصفات الإلهية والتي حدثنا عنها كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وآمن بها سلف الأمة بدون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل لم تخل هذه القضية من افتراءات المستشرقين أيضاً. ومما ذكروه :-

١- الإدعاء بأن لوازم السجع حملت محمداً ﷺ على وصف الله تعالى بعدة صفات يتردد ذكرها في القرآن وهى عبارات مبعثرة ومتناقضة وفيها دلالة على التجسم - جاء ذلك في دائرة المعارف الإسلامية.[2]

وللرد على هذه الفرية أقوال:

أ- إن المثل القديم يقول -من فمك أدينك- وأصحاب دائرة المعارف قالوا بعد هذا القول بعدة أسطر «وتبين شغف محمد بهذه الصفات وشدة تمسكه بها»[3]

ومعلوم أن ما يأتي به المتكلم لضرورة السجع لا يكون شديد التمسك به ولا مشغوفاً به ؛ لأنه ما كان يريد أن يأتي به وما حمله عليه إلا لوازم السجع.

وقد ذكر الأستاذ (جاد المولى) في تعليقه -الموفق- على هذه الفرية مثالاً جاء فيه : - إن ثلاثة من الأدباء جلسوا يتسامرون فقال أحدهم شطر بيت وطلب من الآخرين أن يجيزاه وهو :

(١) راجع مبحث المصادر النصرانية في كتاب المسيحية بين التوحيد والتثليث د/ عبد المنعم فؤاد.
(٢) ج٢ ص ٦٥١.
(٣) ج٢ ص ٦٥١.

نلنا لذيذ العيش في طرباشا

فقال الثاني: فيها احتشنا القدح احتشاشا.

وأرتج على الأخير فلم يزد عليه إلا قوله:

وأم عمرو طالق ثلاثاً

وأم عمرو زوجته، فلما علمت بطلاقها قالت: ما ذنبي عندك؟ قال: ما بي أن أطلقك إنما جئت في طريق القافية.[1]

إذن صاحب السجع قد يحمل على الكلام حملاً وبعد ذلك لا يتمسك به إذ إن زوج أم عمرو أسف على ما بدر منه ولم يقصد طلاق زوجته، لكن القافية حملته على ذلك بدون قصد.

ونبينا ﷺ كان متمسكاً بكل كلمة يقولها، وكان يقول لأصحابه إن هذا الفم لا ينطق إلا حقاً. وأصحاب الدائرة أقروا بذلك.

ثم إن أهل قريش وهم في عهد المصطفى كانوا أعلم الناس بقواعد السجع وأنواعه، وبالبلاغة وطبقاتها، وهؤلاء نظروا في فواصل القرآن وسمعوا آياته فوجدوه في أعلى طبقات البلاغة والبيان، ولم يقروا بأن ذلك من سجع الكهان الذي يمكن أن يفسد معاني الألفاظ، وشهد بذلك الوليد بن المغيرة الذي كان آنذاك قمة من قمم الكفر في مكة قال: «والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه».[2]

ولم يكن محمد يقول السجع ولا بالساقط من القول، فهل يعلم كُتّاب دائرة المعارف الأعاجم اللسان العربي أكثر من أهله، وهل يحق لهم أن يقولوا عن

---

(١) هامش دائرة المعارف ج٢ ص٥٦٤، ٥٦٥.

(٢) للمزيد راجع تفسير ابن كثير ج٤ ص٩١.

الصفات التي أوردها الإسلام قولاً جزافاً بلا سند ولا برهان وهم الذين يدعون الموضوعية في أقوالهم .

ب- أما قولهم إنها مبعثرة وقد دلت على التجسيم. فهو قول غير صائب ؛ لأن من يتأمل كتاب الله يجده قد نزه المولى جل وعلا عن مشابهة الحوادث وإن وردت ألفاظ اليد وما شابهها فإن المؤمن يعتقد بصدق الخبر تحت إطار : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فالله له يد كما أخبر ولا تشابه المخلوقات ؛ لأنه تعالى ليس كمثله شيء وهكذا... إلخ فأين التجسيم في ذلك.؟

٢- التخيل ومماثلة الشعراء :

ومما ذكرته دائرة المعارف أيضاً على لسان (ماكدونالد) ـ وأشرنا إليه من قبل ـ الزعم بأن النبي ﷺ استطاع بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينه مثل : الأول والأخير..الخ.

وهكذا كان بعض شعراء العرب من قبل قد أظهروا قدرة في استعمال الصفات.[2]

وللرد أقول :-

أ- إن الحديث عن صفات الله ـ عز وجل ـ أمر لا يمكن أن يتوقف على التوهم والخيال وإلا لصارت الأمور لا ضابط لها ومن حق كل شخص أن يتخيل ما شاء.

ونبينا ﷺ بعيد عن كل ذلك ؛ لأنه مؤسس عقيدة وبان لفكر أمة ومتحدث عن ربه ، وكل حديث يتحدثه وخبر يبلغه مشفوع بمعجزة تمنع تواطؤه على الكذب ، وهذا هو ما دفع الكثيرين من أهل مكة ومن حولها على تصديقه واتباع عقيدته.

---

(١) سورة الشورى الآية : ١١.

(٢) ج٢ ص٥٦٢.

وإلى اليوم معجزته قائمة وتحمل معها التحدي للمكذبين، تلك هي معجزة القرآن الكريم، وقد أثبت القرآن أن النبي الأكرم «**ما ينطق عن توهم وما يخبر عن تخيل قال تبارك اسمه**: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾».[1]

فما أخبر به عن أسماء ربه وصفاته خبر نازل على قلبه من قِبل الوحي الأمين.

وتم تأمين الخبر بإبعاد أي شبهة توحي بكذب المصطفى في إخباره عن الله تعالى وذلك عن طريق قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾.[2]

فلا يستطيع محمد عليه الصلاة والسلام أن يتقول على الله بما لم يخبر وإلا لأصيب بهذا الوعيد الشديد، وطالما لم يصب بشيء منه فهو صادق بار راشد مؤيد دائماً بالمعجزات الباهرات.[3]

وعليه فكذب محمد عن الله وتخيله لصفات لم يخبر بها الحق أمر غير وارد في دنيا العقلاء؛ لأن العرب قبل بعثته كانوا ينادونه بالصادق الأمين، وهو كذلك بعد بعثته ﷺ وإلى يوم الدين.

ب- أما الادعاء بأنه كان يسير على نهج الشعراء في التخيلات والصفات فهو ادعاء قديم قدم الكفر، ردده كفار مكة في عهد المصطفى ﷺ ليبعدوا الناس عن الإسلام، واليوم يُكَرَّر المشهد على المسرح الفكري من المستشرقين؛ لأن الغاية مشتركة والأهداف متحدة.

ومما يؤكد صدق ذلك ما رواه الإمام أحمد -رحمه الله- من أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد

---

(١) سورة النجم الآية: ٣، ٤.

(٢) سورة الحاقة الآية: ٤٥، ٤٦.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤١٧.

سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش قال: فقرأ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ قال فقلت كاهن قال فقرأ ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣﴾[1] قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع.[2]

كما نقل إلينا ابن إسحاق أن قريشاً كانت تعتبر محمداً مثله كمثل واحد من الشعراء أمثال زهير والنابغة وينتظرون موته وهلاكه كهؤلاء.[3]

وعلى ضوء ذلك يتبين أن مستشرقي اليوم قلدوا مشركي الأمس ورددوا مزاعمهم تماماً كا الببغاوات بدون وعي لما يزعمون ولا فهم لما يرددون، وهم الذين يقولون نحن أصحاب البحث المحايد والموضوعية وهم في الحق: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾[4] وفضلاً عن ذلك لم يثبت أن هناك شاعرا واحدا قال بصفات تجاه الحق جل وعلا بمثل ما أخبرنا به نبينا عليه الصلاة والسلام، ولم يوجد خبر في الكتب المعتبرة يؤكد لنا صحة ما يردده المستشرقون.

٣- جذور هذه الصفات من وجهة نظر المستشرقين:

ومما يدل على عدم اتزان الفكر الاستشرقي وتخبطه تجاه الصفات الإلهية: أن أصحاب دائرة المعارف ذكروا بعد اتهامهم السابق لرسول الله ﷺ بأنه كان يذكر من الصفات ما يتخيله بعقله.. إلخ.

ومما ذكروه أن بعض هذه الصفات قد ترجع جذورها إلى النصرانية أكثر من غيرها، وأحياناً إلى العبرية، أو أن محمداً ﷺ اقتبس بعضاً منها من جنوبي بلاد العرب.

---

(١) سورة الحاقة الآيات: ٣٩: ٤٢.

(٢) نقلاً عن تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤١٧.

(٣) نفسه ج٤ ص٢٤٣.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٨.

أ- أما عن الأخذ عن النصرانية : فقد جاء فيها : «ومن صفاته تعالى كذلك صفة البر» (سورة الطور الآية ٢٨) ونور السموات والأرض (سورة النور آية ٣٥).

ويظهر من سياق الكلام أنه يشير إلى عبادة النصارى في كنائسهم وأديرتهم ، وعلى هذا تكون الصورة الوصفية التي وردت في الآيات مأخوذة من صورة المذبح المضاء.

وتذكرنا هذه الآيات أيضاً بعبارة (نور العالم) التي وردت في الإنجيل ، ونور الأنوار التي جاءت في العقيدة النيقية.(١)

وللرد على هذه الفرية أقول :-

إن رد هذه الصفات والأسماء المباركة إلى جذور نصرانية لا تؤيده سيرة المصطفى ﷺ التي لم يثبت في أي زاوية من تاريخها أنه دخل كنيسة أو ديراً من أديرة النصارى ، أو رأى مذبحاً مضاءً أو مظلماً من مذابحهم ، وإذا ثبت ذلك عند المستشرقين فليخبرونا في أي كتاب من كتب الدنيا ثابت ذلك حتى نرجع إليه ونعرف ما لم نكن نعرفه عن نبينا ﷺ .

ثم الادعاء بأنه قد اطلع على الأناجيل أو قرأ عبارة نور الأنوار التي جاءت في العقيدة النيقية هو ادعاء أسخف مما سبقه ؛ إذ الذين رأوا النبي ﷺ أو قصوا لنا سيرة حياته شهدوا جميعاً أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، والعرب كانوا متيقنين من ذلك وهذا هو ما بهرهم وأصاب رؤوس بعضهم بالدوار حينما جاءهم بالقرآن الكريم الذي يحمل أرقى أنواع البلاغة والبيان فلم يملكوا إلا التسليم بأنه نبي مرسل من قبل الله عز وجل ، فآمن البعض ونفر الباقون حسداً وحقداً وفي ذلك جاء قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾(٢).

---

(١) ج٢ ص٥٦٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية : ٤٨.

وهو الثابت الذي لا ريب فيه، ولو فرضنا جدلاً أنه يقرأ -وهو فرض مستحيل- فإن قراءته ستكون وهو ابن البيئة العربية باللغة العربية من غير شك، أما العقيدة النيقية فقد قررها أصحاب مجمع نيقيه سنة٣٢٥م بأمر الملك قسطنطين الروماني وادّعو فيها ألوهية المسيح[1] وقسطنطين ومن معه آنذاك لم يكونوا في البلاد العربية ولم تكتب عقيدتهم بلغة العرب فكيف اطلع إذن محمد ﷺ على هذه العقيده المكتوبة بلغة غير لغته وفي عصر غير عصره وبلسان غير لسان قومه، أم أن محمداً ﷺ كان منتسباً إلى مدارس لغات في مكة قبل بعثته وعنده بلغة الرومان علم. ونحن لم نعلم بذلك؟

ما هذا الهراء الذي ذهب إليه أصحاب دائرة المعارف؟! أليس ما ادعوه تجنٍ على التاريخ والواقع والحق الإنساني؟

وخلاصة القول هنا:

إن صفة - البر - لا علاقة لها بالنصرانية ولا عقيدتها، بل لها وجود مستقل في العقيدة الإسلامية، ومعنى مفهوم غير غامض كما هو موجود في المصادر الدينية عندهم؛ فالبَرُّ عندنا هو كثير الإحسان، وقيل: اللطيف[2] -ونور السموات والأرض- أي هادي أهل السموات والأرض[3]، أو مظهر الكون العام ومخرجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود، وهذا شيء معنوي محض ليس من صورة المذبح المضاء ولا ما يوقده النصارى في كنائسهم وأديرتهم كما تخيله أصحاب دائرة المعارف.[4]

---

(١) راجع محاضرات في النصرانية ص١٢٢ للشيخ محمد أبو زهرة والمسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها للمؤلف ص١٠٠ وتاريخ ابن البطريق ص١٢١.

(٢) فتح القدير، ج٥ ص١١٥ للشوكاني.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٨٩.

(٤) انظر تعليق الأستاذ / محمد عاشور - على هامش الدائرة ج٣ ص٥٨٧.

هذا عن الفرية الأولى

ب- أما عن الاقتباس من العبرية فقالوا:

ومن الواضح أن صفة الباري قد أخذها محمد ﷺ من العبرية واستعملها دون أن يقصد منها معنى خاص.

وللرد على هذه الفرية أقول:-

إذا كان ذلك واضح عندكم فقد وضح عندنا الآن أكثر وأكثر. أنكم أجهل خلق الله بأصول اللغة ومعانيها التي تنتسب إليها عقيدة أهل الإسلام، ونبينا الأكرم ﷺ كان يعلم كل لفظ يوحى إليه ولم يكن في حاجة إلى اللغة العبرية أو غيرها.

ويكفي للرد على جهل هؤلاء بما قالوا إن مراجع اللغة العربية أثبتت أن مادة الكلمة (بارئ) موجودة ولها كثير من المشتقات.

فهي من برأ الله الخلق بَرءاً وبَروءاً أي خلقهم[(١)].

ومنها قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[(٢)] أي شر الخليقة التي برأها الله وذرأها[(٣)] (وبرئ) المريض بَرءاً وبُرءاً أي شفي وتخلص مما به، وبَرَّأه من كذا أبرأه من العيب أو الذنب أو التهمة أي قضى ببراءته.

وصدق على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾[(٤)].

وعلى ضوء ذلك فمادة الكلمة موجودة في لغة العرب ولها اشتقاقتها المتنوعة ومعانيها المعلومة.[(٥)]

---

(١) المعجم الوسيط ج١ ص٤٦.

(٢) سورة البينة من الآية: ٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٥٣٨.

(٤) سورة الأحزاب من الآية ٦٩.

(٥) راجع المعجم الوسيط، ج١ ص٤٦، والقاموس المحيط ص٤٤.

والقرآن الكريم أكد على هذا الوجود في أكثر من آية كما رأينا، فالزعم أن المعنى مأخوذ من العبرية فاسد ولا دليل عليه.

ج- وأما عن الأخذ من جنوب بلاد العرب فقالوا:

وأما صفتي الرحمن الرحيم فتظهر أن محمداً قد أخذ هذه الصيغة من جنوبي بلاد العرب.[1]

وللرد على هذه الفرية أقول:

إن هاتين الصفتين هما شعار الإسلام إذا ما أضيفتا إلى لفظ الجلاله(الله) وبهما ابتدأت كل سورة في كتاب الله عز وجل[2] وكل عمل يومي يقوم به المسلم من الواجب أن يبدأه ببسم الله الرحمن الرحيم؛ ففي ذلك أفضلية معلومة، ولقد أوحى بهما إلى النبي ﷺ لما في ذلك من إدخال الطمأنية على قلب المسلم إذا ما علم أن ربه وخالقه رحمن رحيم في الدينا والآخرة.

وليس هنا أي برهان عند المستشرقين على أن النبي ﷺ قد أخذ هاتين الصفتين عن أحد من بلاد العرب اللهم إلا إذا كان ظنهم قائم على ما أطلقه أتباع مسيلمة الكذاب علية بأنه رحمن اليمامة . حين ادعى النبوة.[3]

ولقد فطن إلى ذلك الأستاذ (محمد حامد الفقي) وهو يرد على هذا الزعم في هامش الموسوعة فقال: «الذي يفهم من كلام هؤلاء أنهم يريدون التقرير بأن

---

(١) دائرة المعارف ج٢ ص٥٦٥، ٥٦٦.

(٢) باستثناء سورة التوبة لأنها نزلت تنقض العهد بين النبي) والمشركين وقيل لأن في البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف، وقيل غير ذلك. راجع فتح القدير ج٢ ص٣٧٨.

(٣) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، ولد باليمامة في قرية تسمى (الجبيلة) بقرب العيينة بوادي حنيفة ببلاد نجد، قدم مع وفد إلى رسول الله) وبعد رجوعه إلى اليمامة ارتد وتنبأ وتكذب لقومه وقال إني أُشركت في الأمر مع محمد ﷺ وكان مؤذنه عبد الله بن النواحة يقيم له الصلاة ويقول أثناء الإقامة أشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله، قتل سنة ١١هـ. انظر: عقيدة خاتم النبوة - أحمد بن سعد الغامدي . دار طيبة ١٤٠٥هـ.

البسملة كلها اقتبست من جنوبي الجزيرة -يعني اليمن- وهذا خطأ ظاهر ولا دليل عليه أصلاً، والذي أوجب عندهم ذلك أنهم رأوا في بعض النقول أن أهل اليمامة أطلقوا لفظ (رحمان) على المتنبئ الكاذب مسيلمة فقالوا (رحمان اليمامة)... ولكن هذه الشبهة ضعيفة، لأن مسيلمة ادعى النبوة في أواخر حياة النبيﷺ فأراد أتباعه تعظيمه بهذا الوصف (رحمان) غلواً في الكفر.

وعلى ذلك فقد أخذوا هم هذا الوصف عن القرآن الكريم ولم يثبت سماع هذه الكلمة قبل ورودها في القرآن».[1]

وبهذا يتضح أمامنا أن الكذّاب ليس مسيلمة فقط بل أتباعه في العصر الحديث وهم من يدعون على النبي ﷺ بأنه مدان لغيره في هاتين الصفتين، إذ تبين أن غيره هو المدان له كما اتضح من كلام الشيخ (الفقي) فهل يعي المستشرقون أتباع مسيلمة ذلك أم سيظلون في غيهم يعمهون؟

هذا هو ما يتوقع منهم كما سنرى في السطور التالية:

٤- الرد على مقولات المستشرقين في بعض الصفات الإلهية الأخرى:

سبق أن أشرنا إلى أن افتراءات المستشرقين لم تتوقف عند الصفات السابقة بل تطرقت إلى صفات أخرى تكشف عنها المقولات التالية: -

١- المقولة الأولى مضمونها:

إن هناك بعض الصفات التي أطلقت على ذات الله في الإسلام تدل على الذم والنقص إذا ما أطلقت على غيره من الأفراد مثل: المتكبر والجبار إلخ .. فكيف يطلقها محمد على الله تعالى؟[2]

---

(١) انظر هامش دائرة المعارف الإسلامية، ج٢ ص٥٦٦.

(٢) راجع ذلك في ج٢، ص٥٦٢-٥٦٤ دائرة المعارف الإسلامية.

وللرد على هذه الفرية أقول :-

إن ما ذكرتموه قصور في الفهم ودليل على عمى البصيرة ، لأن محمداً ﷺ عرَّف بربه خير معرفة وبين أنه لا مثيل له بين مخلوقاته إذ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]

وعلماء الإسلام شرحوا ذلك للأمة خير شرح وسطروه في كتبهم بأوضح تعبير ومن هؤلاء الشيخ (ابن تيمية)[2] -رحمه الله- الذي قال : إن الله سمى نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء ، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره.

وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص ، ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص اتفاقهما ، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص.[3]

ثم يقول -رحمه الله- وإنه ينظر إلى المستقبل البعيد بنور الإيمان ليرد على هؤلاء المغالطين من المستشرقين الذين ابتلي بهم الفكر الإنساني المعاصر.

وقد سمى نفسه الجبار المتكبر وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[4]

---

(١) سورة الشورى، من الآية ١١.

(٢) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الدمشقي ، وتيمية هي والدة جده الأعلى (محمد)، وكانت واعظة راوية ونسب هذا البيت الكريم إليها ، ولد في حران بالعراق سنة٦٦١هـ ، ثم ذهب إلى دمشق مع أسرته بعد مهاجمة التتار للعراق وتوفي بها سنة ٧٢٨هـ.
انظر : مقدمة الرسالة التدمرية.

(٣) الرسالة التدمرية مجمل اعتقاد السلف ، ص١٤ شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية . مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الرابعة.

(٤) سورة غافر، الآية : ٣٥.

وليس الجبار كالجبار ولا المتكبر كالمتكبر[1]، ومن قال بالتساوي والمماثلة كان مشبهاً وممثلاً الله بالمخلوقات فلابد من إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل.[2]

ويفهم من ذلك أن صفتي الجبار والمتكبر اللتين هما في الأفراد ذم ونقص لهما معان تليق بجلال الخالق وعظمته ولا توجد هذه المعاني للأفراد المخلوقين لفقد المماثلة والمشابهة بين الخالق والمخلوق، وإلى هذه المعاني أشار علماء التفسير فقالوا: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ أي الذي لاتليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته لما جاء في الصحيح «العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما عذبته»

أو الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء ..

أو المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم[3] والمتكبر أي الذي تكبر عن كل نقص وتعظم عما يليق به، أو الذي تكبر عن كل سوء وظلم لعباده.[4]

وقيل الذي لا يتطاول لكبريائه مخلوق، وأكبر من أن يشاركه غيره في صفاته.. سبحانه وتعالى عما يشركون.[5]

وعلى هذا يتبين أن صفتي الجبار والمتكبر بالنسبة لله تعالى صفتا مدح وتنزيه لا ذم ولا تشبيه، وجموع المسلمين يعتقدون ذلك ويفهمونه جيداً وإن أصر المستشرقون على فهم العكس من ذلك كما هو بيِّن من فريتهم. فإننا نرد بما قاله القائل:

عليٌّ نحتُ القوافي من مقاطعها

وما عليٌّ إذا لم تفهم البقر[6]

---

(١) المصدر السابق ص١٦.
(٢) راجع المصدر السابق ص٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٣٤٣.
(٤) انظر: فتح القدير، ج٥ ص٢٤٠، والمصدر السابق، ج٤ ص٣٤٣.
(٥) أضواء البيان، ج٨ ص١٢٤.
(٦) هذا البيت قاله البحتري في قصيدة كان يمدح بها علي بن مر الطائي، ونقلته عن شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٦ للقاضي علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق د/عبد الله عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة . بيروت.

ونأتي إلى :

٢- المقولة الثانية ومضمونها :

أن هناك تناقضاً بين الصفات الإلهية التي ذكرها محمد ﷺ ؛ ولذلك جاءت عبارته في هذا المجال مبعثرة.[١]

وللرد أقول :-

إن محمداً ﷺ ما جاء بعبارة إلا ولها وقع في النفس وصدق في الإخبار، وقد شهد بذلك كل من سمعه أو قرأ عنه، اللهم إلا الذين طمس الله على بصيرتهم مثل : المشركين قديماً والمستشرقين حديثاً.

والدليل على ذلك أن التناقض الذي زعموه بين الصفات الإلهية لم يبينوه وإلينا لم يظهروه، بل قالوا المقولة دون ضرب مثل أو ذكر دليل.

ولعلهم يقصدون ما تلاه علينا رسول الله ﷺ من آيات بينات تحمل صفات ظاهرات مثل قوله تعالى : ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾[٢] وقوله تعالى : ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ۝٥٠﴾[٣]

فهم قد يرون أن بين ذكر المغفرة وذكر العقاب والعذاب بعد ذلك تناقض.

ونحن لا نرى أن بين هاتين الصفتين تناقضاً ؛ لأن كل صفة تختلف باختلاف متعلقها. فهو يغفر الذنب السالف لمن يقبل على التوبة في المستقبل ويخضع لله عز وجل كما يقول «ابن كثير» -رحمه الله- لأن الحكمة تقتضي ذلك.

---

(١) جاء ذلك في دائرة المعارف الإسلامية، ج٢ : ص٥٦١ ،٥٦٨ .

(٢) سورة غافر، الآية : ٢ ،٣.

(٣) سورة الحجر، الآية : ٤٩ ،٥٠.

ويكون منتقماً شديد العقاب لمن تقضي الحكمة بعقابه من المتمردين العصاة الذين لا يراعون حرمة لدين ولا يمنعهم ضمير.[١] وكمثل قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.[٢]

وقوله تبارك اسمه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.[٣]

وبناء على ذلك فالآية الكريمة قد تكون في مقام الوعيد فتطلب وصفاً لله تعالى ليناسبها، وقد تكون في مقام الوعد فتقتضي وصفاً يناسب رحمة الله بعباده.

وقد روي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾.[٤]

لكنه جعل الفاصلة (غفور رحيم) ولم يكن الأعرابي يقرأ القرآن، فقال أما إن كان هذا كلام الله فلا. إذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل بعد البينات، لأنه إغراء عليه.[٥]

وعلى ذلك فمقولة أن بين الصفات تناقض وعبارات محمد فيها متناقضة مقولة باطلة ولا حق فيها.

٣ـ المقولة الثالثة وفيها زعموا:

أن بعض الصفات أيضاً معانيها غامضة مثل: صفتي القدوس والسلام، ويصعب علينا معرفة ما يقصده محمد منهما. كذلك الصمد لم يكن أحد يعرف معناها من المفسرين المتقدمين.[٦]

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٧٠..

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) سورة المائدة من الآية ٥٤. (٤) سورة البقرة الآية ٢٠٩.

(٥) هامش ج٢ ص٥٦٥ من دائرة المعارف الإسلامية تعليق الأستاذ/ جاد المولى.

(٦) راجع ذلك في دائرة المعارف ص٥٦٢، ٥٦٣، ٥٧٢ ج٢.

وللرد أقول:

أ- أما صفة القدوس فقد قال في معناها وهب بن منبه أنه الطاهر، وقال مجاهد وقتادة أي المبارك.[1]

أو المنزه عن كل وصف يدركه حسٌ أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم أو يختلج به ضمير أو يقضي به تفكير، وكما يقال قدس العبد في علمه وإرادته بمعنى ارتقى علمه عن الحسيات وارتقت إرادته عن الشهوات فصار لا يشابه الحيوان في إدراكه ولا يماثله في شهواته، فكذلك معنى القدرس بالنسبة لله - ولله المثل الأعلى- فقد تنزه أن يشاركه أحد في صفة من صفاته.[2]

ب-أما صفة السلام فمعناها: الذي سلم من كل نقص وعيب لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.[3]

وقيل المسلّم على عباده في الجنه كما قال: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾.[4]

وقيل الذي سلم الخلق من ظلمه وبه قال الأكثر، أو المسلم لعباده من كل شر،[5] فليس في الوجود سلامة إلا وهي منتسبة إليه.[6]

فأين الغموض إذن في هاتين الصفتين!

ج- أما صفة الصمد: فمعناها واضح عند جميع المفسرين القدامى ومن لحق بهم من المحدثين، فالصمد هو الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، نقل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه، وذكره الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة.[7] والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في

(١) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٣٤٣.

(٢) هامش الموسوعه - تعليق الأستاذ/ محمد عاشور ص٥٨٧.

(٣) هامش دائرة المعارف الإسلامية ج٢ ص ٥٨٧ الأستاذ/ محمد عاشور.

(٤) سورة يسين الآية: ٥٨. (٥) فتح القدير ج٥ ص٢٩٣.

(٦) هامش دائرة المعارف الإسلامية ج٢ ص ٥٨٧ الأستاذ/ محمد عاشور.

(٧) نقلاً عن تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٧٠.

عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه... وهذه الصفة لاتنبغي إلا له؛ لأنه ليس له كفؤ وليس كمثله شيء فهو سيد على كل المخلوقات ولا يساويه أو يشابهه أحد منها.

ذكر ذلك ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات[١]

وفي ضوء ذلك جاء قول القائل:

وهو الإله السيد الصمد الذي
صمدت إليه الخلق بالإذعان

الكامل الأوصاف من كل الوجوه
كماله ما فيه من نقصان. [٢]

وبهذا يتضح لكل ذي بصيرة أن الصفات الثلاث تدل على إثبات كمال الملك والعظمة لله سبحانه وتعالى وأن جميع ما في الكون عباد له إليه يلجؤون وعن ملكه لا يخرجون، وبعلمه وحكمته يتصرف فيهم كيف يشاء وإن لم يريدوا فهو فعال لما يريد متى شاء وكيف شاء، ولا يسئل عما يفعل أو يعمل.

وعلى ذلك فما ادعاء المستشرقون من غموض لهذه الصفات ادعاء فاسد وقول باطل.

٤ ـ المقولة الرابعة ومضمونها:

أن هذه الصفات تجعل إله الإسلام جباراً مخوفاً لا تكن له القلوب إلا الوجل، بخلاف إله النصرانية فهو رحيم أرسل ابنه الوحيد لينتحر على الصليب.[٣].

---

(١) راجع فتح القدير، ج٥ ص٦١٣، وابن كثير، ج٤ ص٥٧٠.

(٢) انظر دروس في العقيدة للشيخ صالح بن محمد العليوي ص٦٢ دار طيبة الرياض.

(٣) راجع المستشرق نيكولس ومفترياته على الإسلام ص٢٥٧، ودفاع عن العقيدة والشريعة ص١٨، ١٩.

وللرد على هذه الفرية أقول:

على رسلكم إن إلهنا وإلهكم واحد أحد لا صاحبة له في الكون ولا ولد، وإن من ذكر عكس ذلك فلا يملك دليلاً واحداً يثبت مدعاه اللهم إلا الهوس والظن والتخمين الذي لا يغني من الحق شيئاً.

والنصرانية الصحيحة التي جاء بها عيسى عليه السلام تلتقي مع الإسلام في معرفة الله عز وجل، ولا تقول بغير ما يقول به الإسلام في عقيدته تجاه الله جل وعلا لأنه هو الدين الحق في دنيا الواقع: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

والحب هو الأساس في هذا الدين القويم، والإله الذي عرفه الناس من خلاله وصف نفسه بأنه سبحانه يحب المتقين: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

ويحب المحسنين: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]

ويحب الصابرين: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4].

كما وصف نفسه عز وجل في سورة المائدة بأنه يحب المقسطين: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٢) سورة أل عمران الآية: ٧٦.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٣٤.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٤٦.

(٥) سورة المائدة الآية: ٤٢.

وفي سورة التوبة بأنه يحب المطهرين : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1] .

وفي سورة الصف بأنه يحب المقاتلين في سبيله :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤ ﴾[2].

فهو يحب كل الصفات الطيبة التي يتمتع بها العبد لكي تنتظم عجلة الحياة ويعيش الناس في حب وآمان وطمأنينة ، وعلى العكس من ذلك يكره كل من يحمل صفات رديئة ويطلب منه العودة إلى الخير والحق ، فإن عاد فإنه سيجد إلهاً غفوراً رحيماً وإلا فهو عليه جبار منتقم.

ولذلك قال لرسوله الأكرم ﷺ : ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠ ﴾[3].

فليس هو جبار سبحانه إلا على العصاة العتاه الذين يريدون أن يعكروا على الناس صفو الحياة ، أما التائب المقر بذنبه المبتعد عن الشر وأعوانه فإن ربه به رحيم ودود.

وعلى ذلك فالزعم -كما يقول الشيخ محمد الغزالي- بأننا نعبد إلهاً لا يعرف إلا الجبروت والإرهاب غلط وكذب ، وهو كالزعم بأن هذا الإله غسل خطايا المجرمين بدم ابنه الحبيب كما يقول النصارى.

والحق أن النفس المجرمة لا يغسلها من خطاياها إلا أن تتطهر وتقلع عن غيها ، وليس يغني عن القلب الأسود قربان يتقدم به بشر أو ملك إن ذلك مسخ للفضيلة وجور في القضاء.

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٨.

(٢) سورة الصف الآية : ٤..

(٣) سورة الحجر الآية : ٤٩ ، ٥٠.

وليس الخضوع لله في الإسلام هو جبر، بل عبودية، والعبودية لله تعني التحرر مما سواه، وتلك هي السيادة االتي لا تدانيها سيادة.

والإنسان الذي يشعر بأن خضوعه لله وحده حق، وأن ذلته لغيره باطل، هو إنسان عظيم بلا ريب.. وينفذ أوامر الحق بكل حب وسعادة وتقدير؛ لأنه يعلم أن إلهه يحب من يفعل ذلك[1] وعلى ذلك فما أكذب القول بأن الإله في الإسلام إله خوف لا إله حب.

❁ ❁ ❁

(١) انظر دفاع عن العقيدة والشريعة، ص١٩، ٢٠.

الفصل الرابع

عقيدة الإيمان بالملائكة في الإسلام

وافتراءات المستشرقين عليها

الفصل الرابع

عقيدة الإيمان بالملائكة في الإسلام وافتراءات المستشرقين عليها

لقد أشرنا من قبل إلى أن الإيمان بالملائكة الكرام هو الركن الثاني من أركان الإيمان وأصل من أصول العقيدة في الإسلام .

وهذا الأصل يتضمن التصديق الجازم والاعتقاد القاطع بوجودهم، ومن أنكر ذلك فهو كافر من غير شك.[1]

ذلك لأن الإيمان بالملائكة طرف من الإيمان بالغيب، وهو يخرج الإنسان من نطاق الحواس المضروب على الحيوان ويطلقه بتلقي المعرفة مما وراء هذا النطاق الحيواني، وبذلك يعلن إنسانيته بخصائصها المميزة.[2]

غير أن المستشرقين الذين امتلأت قلوبهم حقداً وغلاً على الإنسان المسلم وعقيدته لم يراعوا إنسانية الإنسان ولا هذه العقيدة في الإسلام، فذهبوا يلقون عليها ظلالاً من الشكوك وأنواعاً من الافتراءات ومنها : -

١ - ادعاء (سورديل) أن الرسول ﷺ أخذ مفهوم الملائكة وما لهم من أعمال من التقاليد الخيالية التي كانت سائدة في عصره آنذاك.[3]

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية أسسها عبد الرحمن الميداني، ص ٧، ط أولى ١٣٨٥هـ.

(٢) في ظلال القرآن، ج١ ص٣٤١، ٣٤٢ - دار الشروق ١٣٩٨هـ.

(٣) دراسات استشراقية وحضارية، ص١٥٥.

٢- وأيد (مكدونالد) هذا الادعاء وقال: كان لابد من وجود الملائكة في الإسلام؛ لأن محمداً ألفى أنهم من أصول الدين السائدة في عصره، فلم يكن هناك مفرٌّ من التسليم بهم.[١]

٣- ثم يذهب (هنري ماسيه Masse) إلى أبعد من ذلك فيزعم أن عقيدة الملائكة المقربين (في الإسلام) قد أخذها محمد ﷺ من اليهودية.[٢]

وهكذا يتمادى المستشرقون في الافتراء على عقيدة الإيمان بالملائكة في الإسلام ليبعدوا بها عن وحي السماء ويجعلوها مرتبطة بالتقاليد البيئية أو الديانة اليهودية.

وللرد أقول:

إنه لا دليل مع سورديل ولا مكدونالد على ما ذهبا إليه، ولم يوضح الأول ما هي هذه التقاليد الخيالية التي كانت قائمة في عصر النبي ﷺ وفي أي الأماكن كانت سائدة ولا كيفية الأخذ منها.

ولم يشر الثاني إلى أي دين من أديان العرب كانت عقيدة الإيمان بالملائكة أصلاً من أصوله وركناً من أركانه حتى يتسنى لنا الاطلاع عليه ومعرفة ما عرفه (مكدونالد) الغريب عن بيئة العرب.

ومعلوم أن العرب كانوا على عقائد شتى وأديان متفرقة -كما ألمحنا من قبل- وبهذا يبعد الرجلان بأقوالهما عن دائرة التوثيق التي يتطلبها البحث العلمي الصحيح، وإذا كان الأمر كذلك فلا قيمة لما ادعياه.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢ ص٥٦٨.

(٢) الإسلام، هنري ماسيه، ترجمة: بهيج شعبان، ص١٤١ ـ منشورات عويدات -بيروت ١٩٦٠م.

أما هنري ماسيه:

فقد صاحبه الغباء في افترائه ولم يكن أصلح عقلاً من سابقيه، والدليل على شدة غباء الرجل وعماء بصيرته هو ذلك الواقع الذي تشهده العقيدة اليهودية في تصورها للملائكة وواقع الإسلام في هذه العقيدة.

١- فالعقيدة اليهودية تقول:

إن أصل الملائكة يعود إلى الجن؛ لأن الله تزوج إلى الجن فخرج منها الملائكة.[١] وهما قسمان: من لا يطرأ عليه الموت وهو الذي خلق في اليوم الثاني، ومن يطرأ عليه الموت وهم قسمان أيضاً: قسم يموت بعد مكث طويل.. وقسم يموت في يوم خلقه... وهو الذي خُلق من النار، وقد أهلك الله منهم جيشاً جراراً بواسطة إحراقه بطرف إصبعه الخنصر.[٢]

والعقيدة الإسلامية ترفض هذا التصور، وتقرر أن الملائكة خلق من خلق الله من عالم الغيب أصلهم من نور لا من نار والله لم يلد ولم يولد ولم يتزوج من الجن كما ادعى اليهود، لأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وملائكته من خير العباد قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.[٣]

طائعون مسبحون وهم عن ذلك لايفترون، وليس هناك ما يثبت أن الله عز وجل أحرق جيشاً منهم؛ لأن المسبح الطائع لا مصير له إلا القرب من رحمة الله، وهذا هو ما يتمتع به ملائكة الله. ولو كان الأمر على عكس من ذلك لانقلبت موازين العدالة في الحكم على الأخبار والله منزه عن ذلك فهو خير الحاكمين.

---

(١) راجع تفسير الطبري، ج٢٣ ص١٠٨، تحت تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ آية ١٥٨ من سورة الصافات - طبعة الحلبي.

(٢) الكنز المرصود في فضائح التلمود، د/محمود عبد الله الشرقاوي، ص ١٨.

(٣) سورة الأنبياء الآية: ٢٦، ٢٧.

٢- ثم تقول اليهودية في تصور آخر على لسان الحاخام (ميماموند):

إن الأجرام السماوية هم صالحو الملائكة ؛ ولذلك تراهم يعقلون ويفهمون،[١] **والعقيدة الإسلامية لا** تقبل هذا التصور مطلقاً ؛ لأنه غير مستمد من وحي السماء بل هو من مزاعم الفلاسفة القدماء الذين قالوا بنظرية الفيض والصدور، وأن الله قد فاضت عنه عقول عشرة آخرها العقل الفعال الذي فاض عنه العالم وأطلقوا على هذه العقول اسم الملائكة.[٢]

وهو إطلاق لا يصاحبه دليل يقويه ولا عقل إنساني يزكيه بل قائم على الخيال والوهم، وأي دين صحيح لا يقبل أن تؤسس عقائده على الخيال والتوهم بل لابد من أدلة تثبت أن هذه العقائد جاءت بوحي السماء.

ولذلك كانت هذه النظرية مثار هجوم شديد من الباحثين قديماً وحديثاً لكي يبعدوها عن عقائد السماء[٣] فما ذكرته اليهودية هنا هو تصور وثني من غير شك.

٣- ولم تكتف اليهودية بهذا التصور السابق بل تزعم أيضاً أن الملائكة يأكلون ويشربون.

وقد حكى عنهم ذلك سفر التكوين حينما أقبلت الملائكة على إبراهيم لكي تبشره بميلاد إسحاق من سارة «فأخذ زبداً ولبناً وعجلاً مشوياً ووضعه أمامهم فأكلوا تحت الشجرة».[٤]

والعقيدة الإسلامية تثبت واقعية مجيء الملائكة لإبراهيم -عليه السلام- بالبشرى وأيضاً بهلاك قوم لوط، ولكنها تنفي تماماً واقعة أكلهم وشربهم -هكذا طبيعتهم- ولهم قدرة على التمثل بصور مختلفة.

---

(١) الكنز المرصود ص١٨١.

(٢) انظر: السياسة المدنية للفارابي ص٣ - طبع حيدر آباد.

(٣) انظر الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٠٥-٢١٦، وكذلك ابن تيمية وموقفه من التفكير الفلسفي ص١٨٧-١٩٥ د/عبد الفتاح فؤاد.

(٤) انظر: سفر التكوين إصحاح ١٨/٦-٩.

وقد جاؤوا إلى إبراهيم عليه السلام بالبشرى ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ﴾[1] (لمجيئهم في صورة شبان حسان).[2]

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفۡ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾[3] وفي آية أخرى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٍ ۝٧٠﴾

فأيديهم لم تصل إلى الطعام قط؛ لذلك قالت سارة وهي قائمة تخدمهم عجباً لضيافنا هؤلاء نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم وهم لا يأكلون طعامنا،[5] وهذا القول لا يلتقي أبداً مع ما ادعته اليهودية.

٤ - **كما تصور العقيدة اليهودية ملائكة الله بالجهل وعدم فهم اللغة السريانية ولا الكلدانية وتقول**: إن من يطلب منها شيئاً عليه ألا يوجه إليها الخطاب بإحدى هاتين اللغتين.

وجاء في التلمود: أن الملائكة يجهلون اللغة الكلدانية حتى لا يحسدون اليهود على صلاتهم.[6]

وتأتي العقيدة في الإسلام لتقول إن وصف الملائكة بالجهل أمر غير مهذب بل هو من سقط القول؛ لأنهم عباد يعلمون ما يبلغون به من قبل الله، والله وصفهم بأنهم ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٍ﴾[7] وعباد مكرمون والجهل صفة نقص لا يصح إطلاقها على هؤلاء بل يجب أن يطلق عليهم ما أطلقه الله عز وجل.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٤٠ دار الكتب العلمية -بيروت ١٩٩٧م.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٦-٢٨.

(٤) سورة هود، الآية: ٧٠.

(٥) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٤٠.

(٦) الكنز المرصود، ص١٨١، ١٨٢.

(٧) سورة عبس: الآية: ١٦.

ثم إن اليهودية تشير إلى طلب الحوائج من الملائكة، والإسلام يقول قضاء الحوائج لا يكون إلا لله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [1] والملائكة لا تحسد أحداً على صلاته -كما يزعم أبناء اليهود- بل هم كما يقول الإسلام: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [2] فالتصور هنا يخالف التصور هناك على طول الخط.

٥- **بقي تصورهم في عقيدتهم لجبريل -عليه السلام- حيث يزعمون أنه عدو لهم،** وفي التلمود يجعلونه ملك النار وليس ملك الوحي. [3]

لكن **العقيدة الإسلامية** تقرر أنه هو الملك الموكل بالوحي والسفارة بين خالق الناس سبحانه ورسله الكرام.

وتقول رداً على مزاعم اليهود وتصورهم الخبيث ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [4]

فهل بقي بعد بيان هذه المفارقات بين التصور اليهودي للملائكة والتصور الإسلامي؟ هل بقي (لهنري ماسيه) ومن سار على دربه أدنى شبهة في أن العقيدة الإسلامية في الملائكة مقتبسة من اليهودية؟

أليس ما قيل هو نوع من الهذيان والافتراء المقصود؟

❁ ❁ ❁

(١) سورة غافر، من الآية: ٦٠.

(٢) سورة غافر، الآية: ٧.

(٣) الكنز المرصود في فضائح التلمود ص ١٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٧، ٩٨.

الفصل الخامس

افتراءات المستشرقين على عقيدة الإيمان بالقرآن الكريم عند المسلمين والرد عليها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فرية تأليف القرآن الكريم والرد عليها.

المبحث الثاني : الرد على دعوى أن القرآن الكريم ليس فيه جديد عما في الكتب السابقة وفيه ثلاثة مطالب:

الأول : ما يعد جديداً في مجال الأحكام.

الثاني : ما يعد جديداً في مجال الأخبار.

الثالث : ما يعد جديداً في القضايا العلمية.

المبحث الثالث: دعوى التناقض في القرآن الكريم والرد عليها وفيه ردود على المستشرقين فيما يلي:

١- مسألة خلق السموات والأرض.

٢- ما ذكر بين الآيات في الجمع بين الزمن الماضي والحاضر.

٣- ما ذكر بين الآيات في مسألة حمل الأوزار .

٤- ما ذكر بين الآيات في مسألتي الود والمعروف.

الفصل الخامس

افتراءات المستشرقين على عقيدة الإيمان بالقرآن الكريم عند المسلمين والرد عليها

لما كان الإيمان بالكتب المنزلة على الرسل الكرام هو الركن الثالث من أركان الإيمان وأصل من أصول العقيدة في الإسلام، ولما كان القرآن الكريم مؤتمناً على هذه الكتب ومهيمناً أميناً عليها ومبعداً عنها كل ما أدخل عليها من تحريف وآخذاً بمسيرة المسلمين إلى جوهر الحقيقة في العقائد والشرائع والمعاملات تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[١] أي شهيدا وحاكما على ما قبله من الكتب.[٢]

فإن المستشرقين عزَّ عليهم أن يتركوا هذا الكتاب العزيز من غير أن يفتروا عليه الكذب كعادتهم مع بقية أركان الإيمان في الإسلام محاولين زعزعة الاعتقاد في صحته وهادفين إلى إبطال القول بأنه من وحي السماء إلى الرسول محمد ﷺ.

هذا ويمكن بعد اطلاعنا على افتراءات المستشرقين حول هذا المصدر العظيم أن نجمل أشهر أقوالهم في هذا الأمر في النقاط التالية: -

١ - إن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ، وإنه قد استعان في هذا التأليف ببعض اليهود والنصارى وكانوا له أساتذة.[٣]

(١) سورة المائدة الآية: ٤٨.

(٢) راجع تفسير ابن كثير، ج٢ ص٧٠، ٧١.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٢٠ جولد تسيهر.

وقد أصبحت مقولة تأليف محمد ﷺ للقرآن مشهورة بين المستشرقين لدرجة أن أحدهم وهو (جورج سيل) صرح في إحدى ترجماته للقرآن والتي جاءت لأول مرة عام ١٧٣٤م بعنوان (القرآن) أو (قرآن محمد ﷺ) بأن هذا الأمر - حقيقي - ولا يقبل الجدل وأن محمداً هو المحتال الرئيس في تأليفه وإن كان قد تلقى عوناً من الآخرين - أي في خطة تأليفه له -(١)

٢- كما قالوا: إن هذا القرآن ليس فيه جديد يخالف به محمد اليهود والنصارى بل إن مادته المستعملة في تفسير تعاليمه موجودة في الكتاب المقدس قبله.(٢)

٣- كما زعموا بالإضافة إلى ما سبق إلى أن القرآن فيه تناقضات واضحة بين الكثير من سوره وآياته.(٣)

تلك هي أشهر افتراءاتهم حول القرآن الكريم والكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وبهذا يقر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ويعقدون أمرهم على تقبل هذا المعتقد بكل اطمئنان ويقين على أنه تنزيل من حكيم حميد وإن كره ذلك المشركون والمستشرقون والملحدون في كل زمان ومكان، وما أثاره هؤلاء من افتراءات لا يمكن أن تزحزح أبناء الأمة المخلصين عن اعتقادهم في القرآن الكريم وصدق المنزل عليه؛ لذلك يمكننا أن نجمل الرد على هؤلاء في المباحث التالية:

المبحث الأول:

الرد على فرية تأليف القرآن الكريم

١- وعنها أقول إن مسألة أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ مسألة واهية ولا حظ لها من العلم والمنطق، ولا سند لها من التاريخ والواقع، وإنما هي تخمينات

(١) نقلاً عن الاستشراق د/حمدي زقزوق - ص١٠٠، ١٠١ ورؤية إسلامية للاستشراق د/أحمد عبدالحميد غراب، ص٣٢.

(٢) نقلاً عن الاستشراق تاريخه وأهدافه، ص٤٢ د/ أحمد شلبي، والاستشراق ص١٠٢، ١١٤، د/حمدي زقزوق.

(٣) نقلاً عن رؤية إسلامية للاستشراق، ص٣١، ٣٢.

وافتراءات وضعها أصحابها من غير برهان ولا حجة، وادعو أنها حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل، بينما هي مقولة قديمة حمل لواءها الوثنيون القدامى من أهل مكة وغيرهم من المشركين، وسجل عليهم القرآن ذلك وبين زيفها وكذب أصحابها، فإذا جاء المستشرقون اليوم من اليهود والنصارى وانضم إليهم ملحدو العالم ليرددوا ما ردده آباؤهم من قبل فلا غرابة عندنا، إذ الأمر قد أخبرنا بمثله من قبل، وإنما الغرابة في أن أصحابه يدَّعون أنهم محققون منصفون وباحثون معتدلون، وهم عن ذلك بعيدون، بل هم ببغاوات مرددون دون فهم لما ينطقون.

وهاك القرآن الكريم يعدد أقوال المشركين السابقين تجاه فرية تأليف القرآن الكريم وانتسابها لخير الخلق رسول الإسلام ﷺ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾[1] فيرد الرحمن مكذبا: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾.[2]

إذن فهو ليس من تأليف رسول الله ﷺ ولا من أقوال السابقين من يهود أو نصارى بل هو تنزيل ممن يعلم كل ما طرأ في السموات أو في الأرض، إذ لا تخفى عليه خافية، ولم يكتف المشركون بذلك بل قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ﴾.[3]

وهذا غلام نصراني يقال له جبر كما ذكر محمد بن إسحاق أو يقال يعيش أو بلعام وهو أعجمي لا يعرف العربية[4] فرد القرآن قائلاً ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾[5] أي القرآن فيه الفصاحة

---

(١) سورة الفرقان الآية: ٤، ٥..

(٢) سورة الفرقان الآية: ٦.

(٣) سورة النحل من الآية: ١٠٣.

(٤) راجع تفسير ابن كثير ج٢ ص٦٠٨.

(٥) سورة النحل الآية: ١٠٣.

والبلاغة والمعاني التامة الشاملة والتي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني إسرائيل، كيف يمكن لأعجمي لا يملك ذرة من هذه المعاني ولا يحيط علماً بألفاظها بأن يأتي بها، إن هذا الادعاء كما يقول ابن كثير لا يقول به من له أدنى مسكة من العقل.[1]

ولكن كفار الأمس قالوه ومستشرقو اليوم رددوه بلا وعى ولا رويه. ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[2] وهم بذلك لا يشعرون ولا يعقلون.

٢- ولو تعقلوا وشعروا بخيبة ظنونهم وتدبروا القرآن الكريم وآياته لرأوا أن القرآن بكل سوره لا يقر بأن محمداً هو مؤلفه بل: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾[3] ذلكم هو جبريل -عليه السلام- تلقاه من لدن حكيم عليم ثم نزله بلسان عربي مبين على قلب محمد ﷺ وبلغه دون أن يكون له فيه من عمل بعد ذلك إلا:

١- الوعي والحفظ ثم ـ

٢- الحكاية والتبليغ ثم ـ

٣- البيان والتفسير ثم ـ

٤- التطبيق والتنفيذ.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ج٢ ص٦٠٨

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

(٣) سورة التكوير، الآيات: ١٩ ـ ٢١.

أما ابتكار معانيه وصياغة مبانيه فما هو منها بسبيل وليس له من أمرها شيء إن هو إلا وحي يوحى، وقد أقر محمد ﷺ بذلك وحكى القرآن الكريم هذا الإقرار على لسان محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾[1]

وقال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[2] وهذا ما يدل على إيحاء المعاني، أما إيحاء الألفاظ فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]

وقوله عز وجل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[4] وقوله تبارك اسمه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ (١٩)﴾[5] وقوله جل شأنه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[6] وقوله تعالى ذكره: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾[7] وقوله تقدس وتعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[8]

فانظر كيف عبر بالقراءة والإقراء والتلاوة والترتيل وتحريك اللسان وكون الكلام عربياً، وكل أولئك من عوارض الألفاظ لا المعاني البحتة.

القرآن إذاً صريح في أنه لا صفة فيه لمحمد ولا لأحد من الخلق، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه[9]

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٣.

(٢) سورة يونس الآية: ١٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤.

(٤) سورة الأعلى الآية ٦

(٥) سورة القيامة الآيات ١٦-١٩

(٦) سورة العلق آية ١

(٧) سورة الأعراف آية ١٧٥

(٨) سورة المزمل آية ٤.

(٩) راجع النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن د/محمد عبد الله دراز ص ١٤، ١٥.

٣- ولو كان القرآن الكريم بالفعل من تأليف محمد ﷺ لكان هذا شرف كبير لمحمد ﷺ لما في هذا الكتاب العزيز من الإعجاز الذي لم يقاومه إنس ولا جان، ولما رأينا أن الجميع في عجز تام من الإتيان بمثله أو ببعض سوره أو آياته.

فإذا كان الأمر كذلك فلماذا نرى محمداً ﷺ يتبرأ من انتساب هذا التأليف إليه!؟ ولماذا يقر على نفسه أمام الدنيا كلها بأنه لا دخل له ولا فضل في شيء من هذا الكتاب الكريم!؟ ألا يدل هذا الإقرار على صدق هذا النبي الأكرم وأمانته ﷺ؟

إن الذي نعرفه أن بعضاً من الأدباء والمؤلفين في هذه الأيام ومن قبل قد يسطون على مؤلفات غيرهم وآثارهم فيسرقونها وينسبونها لأنفسهم زوراً وبهتاناً، بل وقد يأخذون أوسمة ونياشين بسبب ما ظنه المجتمع فيهم من أمانة في التأليف، ولم نسمع في دنيا البحث على مر العصور والدهور أن هناك أحداً من الناس قد نسب لغيره أنفس آثار عقله وأغلى ما تجود به قريحته، لكن محمداً نسب ذلك إلى ربه جل وعلا.

إن هذه القضية -كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز- لو وجدت قاضياً يقاضي بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها- ﷺ - وهي أنه بريء من تأليف القرآن ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل.. لأنها من الإقرار الذي يؤخذ به صاحبه ولا يتوقف صديق ولا عدو في قبوله منه ولا يحتاج بجواره إلى بينة..؛ لأنه لا مصلحة له في أن ينسب بضاعته لغيره ولو نسبها لنفسه لازداد بها رفعة وفخامة شأن[1].

لكن الأمانة ألزمته ﷺ ألا ينسب هذا الأمر العظيم إلى نفسه وهو الذي عرفته مكة وشعابها بأنه الصادق الأمين ﷺ.

(١) راجع النبأ العظيم، ص١٦، ١٧ بتصرف.

وهم باطل وقياس فاسد:

ولئن حاك في صدور المستشرقين وافترضوا أن النبيﷺ - كما هي عادتهم - في اختلاقهم عليه- صلوات ربي وسلامه عليه- قد نسب القرآن الكريم إلى ربه احتيالاً منه لبسط نفوذه على الناس ولجعل كلامه نافذاً فيهم وطاعته واجبة عليهم.

فإن هذا قياس فاسد في ذاته وفاسد في أساسه:

أ- أما أنه فاسد في ذاته: فلأن صاحب هذا القرآن قد صدر عنه الكلام المنسوب إلى نفسه، والكلام المنسوب إلى الله تعالى فلم تكن نسبته فيما نسبه إلى نفسه بناقصةٍ من لزوم طاعته شيئاً ولا نسبة ما نسبه إلى ربه بزائدة فيها شيئاً، بل استوجب على الناس طاعته فيها على السواء، فكانت حرمتها في النفوس على سواء، وكانت طاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله، فهلا جعل كل أقواله من كلام الله تعالى لو كان الأمر كما يهجس به ذلك الوهم!

ب- وأما فساد هذا القياس من أساسه: فلأنه مبني على افتراض باطل وهو تجويز أن يكون هذا الزعيم من أولئك الذي لا يأبون في الوصول إلى غاية إصلاحية أن يعبروا إليها على قنطرة من الكذب والتمويه، وذلك أمر يأباه علينا الواقع التاريخي كل الإباء، فإن من تتبع سيرته الشريفة ﷺ في حركاته وسكناته في عباراته وإشاراته في رضاه وغضبه إلخ لا يشك في أنه كان أبعد الناس عن المواربة والمداهنة وأن سره وعلانيته كانا سواء في دقة الصدق وصراحة الحق، في جليل الشؤون وحقيرها، وأن ذلك كان أخص شمائله وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها كما شهد ويشهد به أصدقاؤه وأعداؤه إلى يومنا هذا[1].

(١) المصدر السابق ص١٧-٢٠.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[1]

فما أكذب من قال: إن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ بل هو وحي من قبل الله عز وجل.

المبحث الثاني

الرد على دعوى أن القرآن الكريم ليس فيه جديد

أما دعواهم بأن القرآن الكريم لا يحمل جديداً إلى البشرية، وأن مادته أخذت من كتابهم المقدس -عندهم- فهي دعوى كاذبة أيضاً ولا تحمل معها براهين تؤيدها ذلك؛ لأن القرآن الكريم أتى بمعلومات أكمل وأعلى وأوسع من كل ما وجد في الكتاب المقدس، وقد ثبت ذلك في مجالات شتى سواء في الأحكام أو في الأخبار وكذلك في القضايا العلمية وشهد الباحثون في كل المجالات بصدق ذلك.

المطلب الأول: أما في الأحكام

فقد أتى بالجديد فيها مما يتناسب مع البشرية في كل الأزمنة، ولا يوجد حكم ذكره القرآن الكريم لا تتقبله الطبائع السليمة بالتسليم والرضا.

ولئن قال قائل: إن هناك بعضاً من هذه الأحكام قد ورد في التوراة، وقد رأينا أن القرآن أبقى على حكمها مثل قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾؛[2] لقلنا له: إن هذا شيء قليل جداً وهو امتداد لحكم الله تعالى في أمور لم تختلف باختلاف الزمان

---

(١) سورة يونس الآية ١٦، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، ج١ ص٣٢٧ مقولة النضر بن الحارث في صدق رسول الله ﷺ

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

والمكان، والله عز وجل باعث لكل الأنبياء ومصدر الأنبياء دائماً واحد وثابت، فإن جاء حكم هنا يوافق حكماً هناك فهو لا يعني ثبوت شبهة الاقتباس بل يعني أن المنبع في الأصل كان واحد.

وقد ذكر ذلك الباحث الفرنسي (كاستري) حين قال: إن ما يقال عن وجود تشابه أحياناً بين التوارة والقرآن فإن هذا سببه أن هذه الكتب كان مصدرها واحداً، وأن محمداً جاء ليتم ما فيها ويكون آخر الأنبياء وهو لم يأخذ مادته من التوارة والإنجيل ولم يقرأهما، ولو قرأهما لرد ما بهما من انحرافات.(١)

ومما يؤكد على كذب دعوى الاقتباس عن هؤلاء وكتبهم أكثر ويزهق فرية المستشرقين في كل مكان ما نضربه الآن من أمثلة في مجال الأحكام تعد جديدة على القوم لمغايرتها لما في التوارة، وطالما هي مغايرة ومخالفة لما سطر فيها فإن هذه الأحكام بحق تنزيل من رب العالمين فمثلاً:

١ - **في موضوع الربا**: نرى سفر التثنية يقول: «للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك»(٢)

ولكن **الربا في الإسلام** مذموم وممنوع لا بين المسلمين فقط ولكن مع كل الأجناس البشرية قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾(٣)

ثم قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾(٤)

---

(١) انظر: الإسلام في نظر هؤلاء، ص٦٨ - أحمد حامد، والاستشراق تاريخه وأهدافه - د/ أحمد شلبي ص٤٢.

(٢) سفر الإنسان إصحاح ٢٣/٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨.

ثم قال جل شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[1]

ثم أخبر عز وجل أن اليهود كانوا يبيحون ذلك في كتبهم فحرموا من الطيبات ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ ﴾[2]

وعلى هذا فالقرآن الكريم أتى بحكم جديد في قضية الربا يخالف ما عليه كتاب اليهود المقدس، بل ويحارب جشعهم وحبهم لابتزاز أموال الآخرين، والبشرية في يومنا هذا تعاني من تفشي الربا ومضاعفة الفوائد في البنوك على المقترضين ولو عادت لهذا الحكم الإسلامي لعاد إليها الأمن والطمأنينة، ولنعمت بسعادة اجتماعية وأسرية في ظل هذا التشريع الإسلامي الجديد والذي لم يوجد في أي كتاب سابق.

٢- **وكذلك الأمر في مسألة المرأة** حيث ذكرت التوارة -المحرفة- أن المرأة إن خانت زوجها وضاجعت غيره فليذهب بها إلى الكاهن لكي تعترف أمامه بخطئها فيغفر لها ذنبها في عقب هذا الاعتراف مباشرة[3]. وقد أخذ بذلك اليهود والنصارى معاً.

ولعلنا نلاحظ أن في هذا التشريع تساهل وفتح لأبواب الزنا، فطالما المرأة تعلم أن الكاهن قد يغفر لها ويرفع عنها خطأها فبإمكانها أن تفعل جريمتها متى شاءت وكيف شاءت.

بينما في شريعة الإسلام: يرفض مجرد الاقتراب من الزنا؛ لأنه فاحشة وموصل إلى طرق الشر دائماً قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠-١٣١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٠-١٦١.

(٣) انظر: سفر العدد الإصحاح الخامس من الفقرة ١١-٢٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

والعالَم في هذه الآونة المعاصرة يرى أن هذا التشريع الجديد يتناسب واستقرار البشرية ويبعدها عن أمراض الهلاك كالإيدز والزهري والسيلان وغيرها تلك التي تصرخ منها المجتمعات الساقطة في أركان الأرض الأربعة كلها.

كما أن الإسلام في تشريعه الجديد لم يقبل بالاعتراف أمام كاهن أو قس أو شيخ أو أي أحد من الخلائق ؛ لأن الذي يغفر الذنب ويستر العيب ويقبل التوبة ليس العبد الضعيف بل خالق العباد العالم بسرهم ونجواهم قال تبارك اسمه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾[١]

وعلى هذا فحكم القرآن في هذه القضية لا يلتقي وما وجد في الكتاب المقدس.

٣- **أما في قضايا الحرب فالقارئ** لسفر التثنية عند اليهود تصيبه الدهشة والعجب لما فيه من تشريع يخالف أدنى مبادئ الأخلاق والمواثيق العالمية التي يتطلبها المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان؟

فالسفر يدعو القائد اليهودي أن يخرج للحرب فإن اقترب من المدينة التي يريد حربها فعليه أن يدعوها للصلح،[٢] وهذا أمر من غير شك طيب فالصلح خير لكن الملفت للنظر والذي لا يعد طيباً بعد ذلك أن السفر يقول: «فإن أجابتك -أي المدينة- إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك.. وإلا فاضرب جميع ذكورها بحد السيف.

أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة غنيمة لك.. وهكذا تفعل بجميع المدن... إلخ».[٣]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) انظر: سفر التثنية الفقرة ١١.

(٣) انظر: سفر التثنية من الفقرة ١٢-١٨.

تماماً كشريعة الغاب قتل لمن يسالم واعتداء على المدن الآمنة المستقرة وسبي للنساء ويتم للأطفال بدون ذنب اقترفوه ولا جناية ارتكبوها.

ويقال: إن هذا تشريع سماء، ولا أعتقد أن خالق السماء والإنسان يشرع ما يضر بالإنسان ويزعزع أمنه ويذهب باستقراره.

ولذلك نرى أن التشريع الحق في هذه القضية ما ذكره الإسلام في الكتاب الكريم حيث وضع الأمور في نصابها وطلب عدم الاعتداء على المسالمين الآمنين في مدنهم وقراهم إلا من خالف ذلك منهم وبدأ بالعدوان على ديار المسلمين قال جل شأنه: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝١٩٠﴾[1].

وعند الغلبة عليهم لا يطلب الإسلام في تشريعه الجديد الاستمرار في القتال -لأن القتال ليس غايته- بل يطلب من القائد المسلم أن يدعو العدو إلى السلم والصلح فإن استجاب فلا يصح ضرب جميع الذكور بالسيوف -كما ذكر كتاب اليهود- بل يقبل القائد بذلك ويتوكل على الحي القادر المقتدر: ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[2]

وإن أقام بين المسلمين فعليه الجزية إن لم يقبل الإسلام ويقابل ذلك بضمان الأمن له وبره والعدل معه وغير ذلك من الحقوق. قال الرحيم الرحمن: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾[3]

كم قال في موضع آخر: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨﴾[4].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٠.
(٢) سورة الأنفال الآية: ٦١.
(٣) سورة النساء الآية: ٩٠.
(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

وشتان بين التوجيه والتشريع الجديد الذي حمله الإسلام إلى البشرية وبين ما ذكرته اليهودية ووافقت عليه النصرانية القائمة الآن، شتان شتان بين ماء زمزم ومياه المستنقعات، وعلى المجتمعات الدولية في كل مكان أن تنظر وترى وتقارن بين التشريعين أيهما أفضل لسعادة الناس وهل ما جاء به الإسلام في هذا الشأن اقتبسه نبي الإسلام من اليهود حقاً كما يزعم المستشرقون أم هو بالفعل من وحي السماء ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1].

المطلب الثاني :أما في مجال الأخبار :

فالأمر بين واضح ؛ ذلك لأن القرآن الكريم أتى بجديد في دنيا الأخبار لم يكن محمد ﷺ ولا قومه لهم علم به، بل لم تذكره حتى كتب اليهود والنصارى ولم تشر إليه من قريب ولا بعيد مما يدل على أن مادة الخبر غير موجودة في الكتاب المقدس كما يزعم المستشرقون.

وعن هذه الأخبار نذكر أمثلة منها :-

١ - **ما ذكر عن تحريف اليهود** لما نزل على موسى عليه السلام من تشريع، وقد كان يظن أنهم لم يحرفوا ولم يبدلوا في شيء إلا أن القرآن الكريم فضحهم وكشف عوراتهم على العالم أجمع وفي كل زمان ومكان، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾[2].

يقول ابن كثير -رحمه الله- : «نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بين أيديهم من الأمر برجم من أُحصن منهم فحرفوه واصطلحوا

(١) سورة الكهف، الآية: ٥.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٤١.

فيما بينهم على الجلد مائة جلدة والتحميم والإركاب على حمارين مقلوبين. فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة قالوا فيما بينهم تعالوا نتحاكم إليه -أي محمد ﷺ - فإن حكم بالجلد والتحميم خذوا عنه واجعلوه حجة بينكم وبين الله ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه»[1]

ويفهم من ذلك أنهم لا يريدون أن يقروا بنبوءة محمد ﷺ إلا إذا وافق حكمه هواهم في التحريف والتبديل، لكن النبي ﷺ لم يقبل هذا الأمر وجعلهم يأتون بالتوراة ليقرؤوها أمامه ويكشف باطلهم ويثبت أن الرجم ثابت فيها وما زعموه من جلد للمحصن أمر دخيل ولم تقل به التوراة وقد فعلوا وتبين ثبوته.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في توضيح ذلك[2]

وغني عن البيان هنا أن الناس قبل خبر القرآن هذا لم يكونوا على إدراك من أن اليهود وعلماءهم كانوا يحرفون كلام الله، وهم الذين رفعوا أنفسهم إلى درجة البنوة لله تعالى، وأنهم على حد زعمهم أفضل شعب على هذه البسيطة.

فالقرآن بخبره الجديد كشف مستورهم وأظهر عوراتهم وأعطى معلومة جديدة تقول: إنهم أكذب شعب عرفته الدنيا على مر العصور.

٢- **كذلك أخبر القرآن الكريم أخباراً جديدة متعلقة بمجال العقيدة عند اليهود منها:** زعمهم أن الله فقير وهم أغنياء، صرحوا بذلك مرة، وفي أخرى قالوا: إنه - تبارك وتعالى- بخيل يده مغلولة.

وعن الأولى تحدثت سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[3] قال المفسرون: إن جماعة من اليهود وعلى

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢ ص٦٢.

(٢) للمزيد راجع المصدر السابق، ج٢ ص٦٢-٦٤.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٨١.

رأسهم عالم من علمائهم وحبر من أحبارهم يدعى فنحاص لما سمع قول الله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾[1] فقال: إن الله فقير فلما سمعه الصديق أبو بكر -رضي الله عنه- يتفوه بذلك ضربه على أم رأسه وشجه في وجهه، فشكاه لرسول الله ﷺ وأنكر قوله فنزلت الآية تكذبه وتؤكد على صدق الصديق رضي الله عنه.[2]

وعن **الثانية** جاء قول الله تعالى في سورة المائدة مخبراً: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ أي بخيلة.[3]

فرد سبحانه بقوله: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[4]

وهذا هو الحق؛ لأن الذي يملك الكون بما فيه لا يعقل أن يكون فقيراً؛ لأن خزائنه لا تنضب ولا تنتهي، وكذلك لا يتصور أن يكون بخيلاً؛ لأن من أسمائه الرزّاق: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[5]

والرزّاق هو الذي يرزق الخلائق بما فيهم اليهود في كل لحظة من لحظات الحياة، والواقع يشهد بذلك، فلا يصح والحالة هكذا أن يفتري أبناء القردة على الله ويسيئوا الأدب مع رب الأكوان؛ لأن الناس جميعاً إليه فقراء، وهو وحده المعطي لهم والمستحق للحمد والشكر دون سواه، قال تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾[6]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٢) راجع المصدر السابق، ج١ ص٤٢٣.

(٣) نفس المصدر ج٢ ص٨١.

(٤) سورة المائدة، من الآية: ٦٤.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٦) سورة فاطر، الآيات: ١٥-١٧.

٣- **ومن الجديد أيضاً في دنيا الأخبار** ما ذكره القرآن الكريم من حديث حول حمل مريم بمولودها الجديدِ دون أب ليكون آية على قدرة الله التي غفل عن تذكرها بنو إسرائيل، فجاءت بشرى الملائكة لمريم بهذا المولود[١] ليبرهن وجوده في عالم الأطفال على أن الله تعالى لا ترتبط قدرته عز وجل بسبب كما يظن اليهود، بل يستطيع أن يخلق به من دونه ويزيد في الخلق ما يشاء وكيف يشاء ومتى شاء، ولقد حكى القرآن الكريم أن الملائكة قصت طرفا لمريم عن مستقبل الوليد في الدنيا والآخرة، وذكرت اسمه وبينت وظيفته في أنه سيكون نبياً وعبداً لله وطائعاً وليس كما يظن من يدَّعون اتباعه الآن أنه ابن لله عز وجل أو هو الإله -تعالى الله-، بل هو عبد أنعم الله عليه وجعله مثلاً لبني إسرائيل، ولنسمع إلى طرف مما ذكره القرآن الكريم في ذلك في سورة آل عمران.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.[٢]

ولا تتعجبي من هذا الأمر ولا تندهشي بل تذكري قدرة الله واستطاعته على خرق العادات، فالطفل هذا سيخالف ما هو مألوف في دنيا الأحداث، منها أنه سينطق بلسان فصيح وذلك بعد ولادته بقليل ويسمع كلامه كل الحاضرين آنذاك﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٣]

وقد تحقق ذلك بالفعل وجاء كلامه بعد ولادته مباشرة وحمل أمه له بين يديها وخروجها به على قومها الذين أصابتهم الدهشة ولحق الدوار برؤسهم بسبب ما رأوه وما يسمعوه، ومما سمعوه قوله كما قصت سورة مريم: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ

(١) يجب أن يلاحظ أن متى ولوقا تحدثا عن ميلاد المسيح حديثاً مقتضباً ومتضارباً وهو بعيد عما ذكره القرآن تماماً وقد بينا ذلك بتفصيل في كتابنا «المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها».

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٦.

مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ (١)

وهذه هي الخطوط العريضة لشخصيته ووظيفته في الحياة تحدث بها أولاً ثم عقَّب بعد ذلك بتبرئة أمه فقال: ﴿ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.(٢)

ولدَ وسيعيشُ وسيبلِّغُ رسالةَ ربه وسيموتُ ويبعثُ حياً، ومن كان كذلك فهو ليس ابناً لله، ولا إله لأن الإله لا تعتريه هذه الأحداث: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾.(٣)

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٤)

أقول غفلت الأناجيل جمعاء ومعها رسائل بولس وبقية أسفار الكتاب المقدس عن هذا القصص الحق وذكره القرآن الكريم بكل أمانة أمام الخلائق ليضع الأمور في نصابها، ويكشف النقاب عن شخصية المسيح وولادته ويبين زيف ما نسبه النصارى إليه الذين لو ذكروا ذلك في كتبهم لانقلبت عقائدهم القائمة الآن رأساً على عقب.(٥)

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٢٩-٣١.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٣٢-٣٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٥ - يلاحظ أن المسيح -عليه السلام- تحدث في مجال العقيدة أولاً قبل تبرئته لأمه مع العلم أن الناس كانوا ينتظرون حديثه عن براءتها لكنه أراد -عليه السلام- أن يقول للسامعين إن العقيدة أهم شيء في الحياة، وتصحيحها يجب أن يقدم على أي عمل آخر حتى وإن كان متعلقاً بعرض الإنسان وشرفه، فالعزة والشرفُ في التمسك بالعقيدة الصحيحة.

(٤) سورة آل عمران، الآية، ٦٢.

(٥) للمزيد راجع «المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها» ص٢٦-٣٠ للمؤلف.

فهل يقال بعد ذلك: إن القرآن استمد مادته من كتابهم المقدس؟ وأين موضع هذه الأخبار في الكتاب المقدس؟ ومن الذي ذكرها؟ فليخبرنا المستشرقون عن ذلك إن استطاعوا؟ وإنا لمنتظرون!

المطلب الثالث

أما في قضية الإشارات العلمية

فقد حمل القرآن الكريم لأول مرة في تاريخ الأديان إشارات علمية إلى أنواع مختلفة من العلوم البشرية والكونية إن دلت فإنها تدل على أن هذا الكتاب لم يقتبس من كتب سابقة يهودية أو نصرانية، إذ لم توجد بين سطورها هذه الإشارات ولم يستطع نصراني أو يهودي في أي وقت من الزمان قديماً أو حديثاً إثبات أن كتابه به هذه الإشارات، ومعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه، فبقي أن الذي أعطى الكتاب ونزله على خير الخلق هو خالق الخلق جل في علاه، والبحوث الحديثة أثبتت صحة ذلك بشتى أنواع الوسائل.

يقول الدكتور (أللبيدي) -طبيب- : لقد أثبتت البحوث الدقيقة والتي قام بها علماء محايدون أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد -دون الكتب السابقة- الذي يحتوي على كثير من الآيات العلمية الكونية في مجالات متعددة من الذرة إلى المجرة، ومن الجنين إلى العقل الكامل، فكانت هذه الإشارات العلمية أحد أخطر الأدلة في عصر التقدم العلمي.

فلو طابقت ما وجده العلماء في شتى الفروع والمعرفة فمعنى ذلك أن القرآن حتماً من عند الله، وخصوصاً أنه نزل على نبي أمي لا يعرف القراءة أو الكتابة وفي وقت كان فيه العالم متخلفاً لا يعرف شيئاً عن الذرة أو الأجنة أو غير ذلك من مكتشفات العلم الحديث.[1]

(١) لماذا القرآن - د/ حسين رضوان اللبيدي . عضو جمعية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ..

وما أشار إليه الدكتور اللبيدي هنا لا يتنافر مع العقل السليم ، إذ الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ولم يُر يوماً ما مزاحماً للعلماء أو المتعلمين إن جاء بنتائج وإشارات تتوافق وما ذهب إليه أهل العلم عبر القرون والسنين وأنفقوا في سبيل اكتشافاتهم لهذه النتائج من المال الملايين ولم يملك يوماً ما وسيلة من وسائل المكتشفين العصريين لهو صادق في رسالته ومميز بكتابه الذي جاء به ميزة علمية فريدة عن أي كتاب سابق عليه في أي دين.

والدكتور (موريس بوكاي) -طبيب- فرنسي نصراني عقد مقارنة بين القرآن الكريم والتوارة الإنجيل والعلم الحديث فخرج بنتيجة مضمونها أن القرآن الكريم أتى بجديد في دنيا العلم لم توجد عند اليهود والنصارى.

وإن وجد شيء في كتابيهما فإنه لا يلتقي ونتائج العلم اليقينية ، بينما لا توجد مقولة من مقولات القرآن تتعارض مع معطيات المعارف الحديثة ولا مع ما يمكن أن يخرج منطقياً عنها.(١)

وما قال ذلك «موريس بوكاي» إلا بعد دراسة موسعة بين إشارات القرآن الكريم العلمية ومعطيات العلم ونظرياته اليقينة. ونحن لا نقر بأن ما سقناه يعني أن القرآن الكريم كتاب علمي ، لا بل هو في الحق كتاب هداية وإرشاد ، ولكن إن وجد من يقول بأن القرآن اقتبس من عند اليهود والنصارى وليس فيه جديد فإننا نجد أنفسنا ملزمين بالاتجاه إلى ما هو جديد في القرآن الكريم والذي لا يقول به السابقون وهو كثير ومجالاته متنوعة ، إلا أننا أردنا الاستئناس بالإشارات العلمية فيه ، وما قاله الباحثون من مسلمين أو غير مسلمين حولها ، وما ذاك إلا لأنها موضوع اهتمام العصر ، والقرآن الكريم كتاب لكل العصور والدهور ، وصالح لكل زمان ومكان ؛ ولذلك جدير بأن نذكر أمثلة لبعض الإشارات العلمية والتي تعد جديدة في دنيا الناس بعد مجيء الإسلام فمثلاً :

---

(١) انظر : كتابه القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٢٣٧ موريس بوكاي - دار المعارف . مصر.

١- **الزوجية في الخلق:**

قضية أشار إليها القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.[١]

وعنها قال علماء التفسير قديماً:

إن في الآية الكريمة إشارة إلى أن جميع المخلوقات في الكون أزواج حتى الحيوانات والنباتات، أما خالق الأزواج فهو فرد لا شريك له.[٢]

أما حديثاً:

فقد بحث العلم في مسألة خلق الأشياء فلم يجد في أدق أبحاثه نقيضاً لهذه الآية الكريمة، بل وجد تأكيداً لما أخبرت به وجاءت نتائجه تقول: إن كل شيء مخلوق لله مبني على نظام الزوجية أو التبعيض بحيث لن تجد جوهراً فرداً في الأشياء، بل كل شيء مكون من أبعاض أو أقسام يحتاج بعضها إلى بعض بحيث لا يقوم القسم إلا بتكملة القسم الآخر له.

حتى الذرة والتي كان يعتقد في وقت ما أنها أدق جزء في المادة غير قابلة للانقسام وسمّوه بالجوهر الفرد.. وكان العالم كله يقول بالجوهر الفرد، والقرآن يقول بالزوجية في الذرة على اعتبار أنها شيء من المادة، بل الجزء من الذرة شيء إذ بالتجارب تثبت قول القرآن الكريم، وتكتشف أن الذرة مكونة من جزء موجب وآخر سالب.[٣]

وأن هناك قوة جذب جبارة بين الشحنات السالبة والموجبة كما توجد قوة تنافر هائلة بين الشحنات المتماثلة.[٤]

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

(٢) انظر: مختصر تفسير البغوي، ج٢ ص٢٩١، وتفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٤٢.

(٣) لماذا القرآن ص١٨، ١٩.

(٤) راجع الماركسية بين الدين والعلم، ص٩٨ - أستاذنا د /جميل أبو العلا.

وهذا يعني أنها ليست بجوهر فرد، وأن قانون الزوجية قانون صارم لابد وأن تخضع له جميع الأشياء بما فيها الذرات حتى نواة الذرة قام العلماء بتحطيمها عن طريق تطوير المفاعلات النووية فوجدوها مكونة من أبعاض وأجزاء.

كذلك الخلية وحدة الكائنات الحية مبنية على نظام زوجي حتى في جذورها وأجسامها الداخلية، ولما توالت البحوث نحوها وقام العلماء بفك نواة الخلية إذ بها مكونة من أزواج من الموروثات (الكرموزومات)، وعندما بحثوا تركيب فرد من الزوج إذ به مكون من سلك مزدوج من الحمض النووي D.N.A حامل الشفرة الوراثية[٣]

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم زود العلماء بنتائج أبحاثهم قبل أن يقوموا بالبحث بألف سنة أو يزيد، كما وجه الأنظار إلى أن نظام الزوجية والذي أشارت إليه الآية الكريمة - آنفة الذكر- يحتم وجود خالق قيوم غني بذاته غير فقير وغير جسم؛ لأن هذا النظام والذي تخضع له المادة والكائنات الحية كلها يدلل على افتقار كل جزء إلى أخيه الآخر، ولولا هذا الافتقار أو الاحتياج لما وجدنا حياة في الكون أو حركة؛ لأن عدم الاحتياج يعني عدم الزوجية، وعدم الزوجية يعني عدم الوجود، إذ الواحد وحده لا يقدر على البقاء أو التفاعل في الأشياء. وهذا لا ينطبق على خالق الأشياء؛ لأنه واحد أحد فرد صمد، وقادر على إيجاد كل شيء بقدرته وعلمه؛ لذلك استحق أن يكون إلهاً مالكاً لكل شيء، غير جسم وإلا لخضع لقانون الزوجية وهذا مستحيل في حقه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.[١]

٢- علم الأجنة:

جاء القرآن الكريم بحديث جديد أيضاً عن هذا العلم (علم الأجنة) لم يكن له ذكر في الكتب السابقة، وقد تركز الحديث تركيزاً دقيقاً حول أصل الجنين والأطوار

(١) لماذا القرآن ص١٩.

(٢) سورة الإخلاص.

والتحولات المتوالية التي يمر بها في رحم الأم إلى نهاية الحمل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٤)﴾.(١)

والتعبير القرآني يجعل النطفة طوراً من أطوار النشأة الإنسانية تالياً وجود الإنسان.. وهى حقيقة ولكنها حقيقة عجيبة تدعو إلى التأمل، فهذا الإنسان الضخم يُخْتَصر ويُلَخص بكل عناصره وبكل خصائصه في تلك النطفة.

ومن النطفة إلى العلقة حينما تمتزج خلية الذكر ببويضة الأنثى وتعلق هذه بجدار الرحم نقطة صغيرة في أول الأمر تتغذى بدم الأم، ومن العلقة إلى المضغة حينما تكبر تلك النطفة العالقة وتتحول إلى قطعة دم غليظ مختلط.. وتمضي هذه الخليقة في ذلك الخط الثابت الذي لا ينحرف ولا يتحول ولا تتوانى حركته المنظمة الرتيبة.

وتلك القوة الكامنة في الخلية التي منحت تستمر في طريقها حتى تصل إلى مرحلة تكوين العظام ثم كسوتها باللحم ثم ينفخ فيه الروح.(٢)

بهذا قدم القرآن الكريم إلى البشرية جمعاء لقطات ومشاهد جديدة تحكي المراحل التي يمر بها الجنين الإنسان منذ البدء وحتى نفخ الروح.

وجاءت الأبحاث الحديثة مسلحة بأحداث الأجهزة الاكتشافية والمعامل والقاعات الدراسية لتقر وتعترف بدون تردد بصحة ما ذكره القرآن الكريم وتثبت نتائجها النهائية. أن النطفة هي بداية الجنين ويبدأ دورها باتحاد أمشاج مختلط بين حيوان الذكر المنوي وبويضة الأنثى تصديقاً لقول الحق جل وعلا: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾.(٣)

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤.

(٢) راجع في ظلال القرآن، ج٤ ص٢٤٥٨ وما بعدها الأستاذ/ سيد قطب.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٢.

ويكون المشج والتلقيح بينهما في الثلث الوحشي من قناة الرحم والتي تسمى قناة (فالوب) ثم تتعلق وتخترق جدار الرحم وتصير بذلك علقة، وتتغذى بالغذاء الموجود في دم الأم ... ويستمر في مرحلة العلقة الأربعين يوماً الأولى وفي الأربعين الثانية يدخل الجنين مرحلة أخرى متقدمة وهى مرحلة المضغة، ومنها تتكون العظام أولاً بالفقرات الظهرية ثم تتكون العضلات على جانبيها (اللحم) إذ العضلات لحم ولا يمكن -بلغة العلم- أن يخلق اللحم قبل العظم في الجنين، لأن وظيفة العضلة الحركية هي أن ترتبط بعظمتين بينهما مفصل، فإذا انقبضت أو انبسطت تحرك ذلك المفصل، فإذا لم تكن العظام موجودة فلا معنى لوجود العضلات، وقديماً كان العلماء يعتقدون كما يقول الدكتور (أحمد شوقي إبراهيم) أن الجنين؛ خلق أولاً قطعة من اللحم ثم ظهر العظم بعد ذلك، ولكن هذا الاعتقاد غير صحيح، والصحيح ما ذكره القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ . إنها حقيقة لم يكتشفها علماء الأجنة إلا في القرن الحالي فقط[1] انتهى.

وهذه الحقيقة أقرها محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرناً من الزمان وتحركت بها الأيام ولم يكن محمد طالباً ولا باحثاً في إحدى الجامعات الأوربية والتي منها تخرج مستشرقو اليوم والذين يعرفون حقاً هذه الحقائق ومع ذلك يغالطون ويقولون إن محمداً لم يأت بجديد بل هو مستمد لما ذكره من أفكار وقصص وعلوم من الكتب السابقة وكذبوا، فالباحث في كل الكتب السابقة للقرآن الكريم كما يقول الطبيب الدكتور «حسين اللبيدي» لا يجد لعلم الأجنة بمعناه المتكامل أي أثر أو دليل، ثم يتسأل الطبيب قائلاً: فما معنى أن نجد هذا العلم -الأجنة- في كتاب نزل على رجل أميٌّ في وقت كان فيه كل العالم لا يعرف شيئاً عن حقيقة أطوار الجنين، ثم يحيل السؤال إلى أكبر علماء الأجنة في العالم وهو الدكتور (كث المور) فيجيب الرجل قائلاً: إن وجود علم الأجنة

(١) راجع أطوار الخلق في تاريخ الإنسان ص٧٢-٧٤ د/ أحمد شوقي إبراهيم، وللمزيد كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن ج١ ص٢٠٥-٢٢٤ د/ أحمد كنعان وزميله، ورحلة الإيمان في جسم الإنسان ص٤١ د/حامد حامد.

بالكامل في القرآن الكريم في وقت لم يكن لعلم الأجنة وجود إلا بعد نزول القرآن بأكثر من ألف عام لهو دليل صدق على أن ما جاء في القرآن من عند الله وأن محمداً رسول الله(١).

وإنني بدوري منعاً للتطويل في هذا الموضوع أرسل بهذا الجواب إلى المفترين من المستشرقين في كل أصقاع الدنيا لعلهم يرجعون عن إطلاق افتراءاتهم تجاه عقيدتنا في القرآن الكريم الذي نيقن إيقاناً كاملاً بأنه غير مقتبس من عند أحد، بل هو منزل من رب العالمين ليبلغه الرسول الكريم إلى كل أحمر وأبيض من الخلائق، وتبليغه هو الوظيفة الأساسية للرسول الكريم ﷺ مهما كره الكافرون وحقد المستشرقون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾(٢).

المبحث الثالث

دعوى التناقض في القرآن الكريم والرد عليها

لم يكتف المستشرقون بما أثاروه حول القرآن الكريم من افتراءات سابقة، بل توغلوا بأفكارهم داخل صفحات الكتاب الكريم، وبذلوا جهداً جباراً في جمع بعض الآيات القرآنية والتي تحكي عن قضايا معينة، ثم ضرب بعضها ببعض بغرض إظهار تناقضات بين الآيات المطهرة، وإذا ثبت لهم ذلك فإن هذا سيؤدي من وجهة نظرهم إلى التقليل من قيمة الاعتقاد في إعجاز هذا الكتاب العزيز عند المسلمين، وهذا هو أملهم وهدفهم المنشود ونسي هؤلاء الأبالسة أن كتاب الله ـ عز وجل ـ لا يمكن أن يقع فيه التناقض والاختلاف؛ لأنه من عند الله تبارك وتعالى وهو كلامه، والله تعالى منزه عن الخطأ منزه عن النسيان منزه عن كل ما في البشر من تناقض لذلك جاء قوله عز وجل: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾(٣).

(١) لماذا القرآن ص١٩، ٢٠ وراجع أيضاً القرآن الكريم والتوراة والإنجيل دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٢٣٢

(٢) سورة المائدة آية ٦٧.

(٣) سورة النساء، من الآية: ٨٢.

ليثبت للناس أجمع أنه من عند الحق وبالحق نزل، ولكن المستشرقين بذلك لا يقبلون بل أعلنوا دعوى وجود التناقض وأصروا واستكبروا استكباراً وساقوا أمثلة لإثبات ذلك منها ما يلي:

١- مسألة خلق السموات والأرض:

قالوا عنها: إن القرآن ذكر في عدة سور أن السموات والأرض خلقتا في ستة أيام مثلما جاء في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [(١)]، وفي سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [(٢)]، وفي سورة الفرقان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [(٣)].

بينما في سورة فصلت يقول: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [(٤)]

ونلاحظ أن أيام الخلق هنا ثمانية أيام لا ستة فالأرض استغرق تشكيلها بناء على ما جاء في فصلت ستة أيام والسموات يومان بينما الآيات السابقة تقول إن المجموع ستة وفي هذا تناقض بين آيات القرآن ثم يضيفون وفي هذا غفلة لأن قائله بشر.[(٥)]

---

(١) سورة الأعراف، من الآية: ٥٤. (٢) سورة يونس، من الآية: ٣.

(٣) سورة الفرقان، من الآية: ٥٩، وأيضاً هود، الآية، ٧، والسجدة، الآية: ٤.وق، الآية: ٣٨.والحديد، الآية: ٥٧.

(٤) سورة فصلت، الآيات: ٩-١٢.

(٥) راجع كتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص١٦٠ موريس بوكاري، ومعجزة القرآن ص٦٧، ٦٨ لفضيلة الشيخ الشعراوي.

الـرد:

إنْ هذا إلا اختلاق وكذب على آيات الله، والقرآن الكريم كله كلام الله لا كلام بشر متعبد بتلاوته معتقد بصحته عند جماعة المسلمين وكل العقلاء العالمِين.

وما ذكره المستشرقون هنا هو قول مصحوب بالغباء والافتراء إذ لا توجد أية إشارة تؤيد وجود تناقض بين النصوص الكريمة. وكل ما في الأمر أن الآيات السابقة التي ذكرت مدة الخلق للسموات والأرض ذكرتها على وجه الإجمال، بينما آيات فصلت جاءت توضح مسألة الخلق على سبيل التفصيل فهي تقرر أن الأرض خلقت في يومين ثم جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وأرزاق أهلها وما يقيم مصالحهم وأمور معاشهم في يومين آخرين وبهذا أتم أمرها وكل ما يتصل بها في أربعة أيام لا ستة إذ الضمير يعود إلى الأرض في كل ما ذكر فهو يقول سبحانه: ﴿ وَبَٰرَكَ فِيهَا ﴾ ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا ﴾ ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ ﴾ إلخ.

فالحديث ما زال عن الأرض لا عن غيرها ثم استوى إلى السماء ... فأتم خلقها في يومين فيكون المجموع ستة لا ثمانية، وهذه حسبة بسيطة لا يمكن أن يقع فيها أصغر تلميذ مبتدء في حضانة عندنا، بينما رأينا المستشرقين بكل بلاهة فيها يقعون وعلى كلام الله يتقولون؛ لذلك تنبه علماء التفسير إلى رد هذا التقول الذي لا يمكن أن يصدر إلا من الأغبياء والحاقدين في كل زمان ومكان فوضحوا الآيات بكل بساطة حتى لا تكون هناك حجة؛ ومن هؤلاء الإمام القرطبي -رحمه الله- حيث ذكر في تفسيره: أن في الآية ﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ ﴾ استفهام توبيخي للكافرين الذين يعلمون أن الله هو خالق السموات الأرض ومع ذلك به يكفرون ويشركون ويجعلون له أنداداً، وهو الذي خلق لهم الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها أي الجبال وبارك فيها بما خلق من المنافع وقدر فيها الأرزاق كل ذلك في ﴿ فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ ﴾ أي في تتمة أربعة أيام، ثم أوضح القرطبي هذه التتمة

بمثال قال فيه: ومثاله قول القائل «خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً أي في تتمة خمسة عشر يوماً».[1]

ولا يمكن لعاقل هنا أن يقول إن الخروج مدته خمسة وعشرون يوماً اللهمّ إلا إذا جمع العشرة بجوار الخمسة عشر كما فعل المستشرقون مع الآية الكريمة وهذا الجمع لا يصح إذ الحديث هو تتمة لنفس الشيء الذي بدأ الكلام عنه.

وأوضح بمثال آخر يلتقي وما قاله القرطبي -رحمه الله- لو فرض أن مؤلفاً قال: وضعت خطة كتابي هذا في خمسة عشر يوماً وأتممت كتابته في عام

هل يعني ذلك أن إخراج الكتاب استغرق خمسة عشر يوماً وعام أم عاماً فقط؟ الصحيح أنه عام فقط أما الخمسة عشر يوماً فهي جزء من هذا العام وغير زائدة عليه، إذ الجزء من الكل ليس منفصلاً، فإذا أخبر الحق تعالى أنه خلق الأرض في يومين وأتم فيها أقواتها في أربعة أيام، فهو سبحانه يخبر بالأمر تفصيلاً مبيناً لنا جزءه ثم إتمامه، والجزء غير خارج عن الكل المتمم ثم يخبرنا بعد ذلك بمرحلة خلق السموات في يومين آخرين، فأين التناقض والتنافر بين الآيات الكريمة؟!

لذلك قال الأستاذ (موريس بوكاي) في رده على المستشرقين هنا: «إن آيات سورة فصلت تدعو الإنسان إلى التأمل في القدرة الإلهية، ابتدأ من خلق الأرض وحتى يكتمل تأمله الخاص بالسماوات والآيات تقدم جزأين معطوفين بكلمة ثم التي تعني الزيادة -عن إتمام خلق الأرض- ولا يبدو أن هناك تعارضاً بين النص هنا والمفهوم التابع من نصوص أخرى للقرآن تخص تشكل الكون في ستة مراحل أو فترات، ثم يضيف أن هذه المفاهيم تتفق تماماً مع المفاهيم العلمية الحديثة عن الكون[2].

(١) راجع تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص ٣٤٢، ٣٤٣ بتصرف دار إحياء التراث -بيروت.

(٢) القرآن الكريم والتوارة والإنجيل والعلم، ص١٦٠، ١٦١ بتصرف بسيط..

وكذلك يتتبع فضيلة الشيخ الشعراوي هذا الزعم عند المستشرقين بالنقض ويقول: إن التناقض الذي زعمه المستشرقون -بين هذه الآيات- وهمي، وإن المستشرقين أرادوا أن يستغلوا عملية تفصيل الخلق التي أوردها الله -تعالى- في سورة فصلت ليشككوا في القرآن وكان الله عليماً قبل أن يبدؤوا بدأ الآية الكريمة بقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ليقول لنا من هم الذي سيجادلون في هذه الآية وينشرونها بالطريقة التي تهواها أنفسهم للإضلال عن سبيل الله[1]، إنهم حقاً أولئك الكافرون الذين يريدون أن ينشروا ويذيعوا الكفر بين الناس، ولكن مدلولات النص لا تساعدهم على ذلك أبداً كما رأينا. قاتلهم الله أنى يؤفكون.

٢- في الجمع بين الماضي والحاضر

ومن مزاعم المستشرقين أن القرآن الكريم في مطلع سورة النحل يجمع بين الزمن الماضي والحاضر من خلال قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[2]

وأتى فعل ماض حدث وأما لفظ فلا تستعجلوه فمستقبل، والجمع بين الماضي والمستقبل فيه تناقض بيّن، إذ كيف يقال إن الله -تعالى- قال أتى ثم قال فلا تستعجلوه؟[3]

وللرد أقول:

إن كتب التفسير قالت: «إن الله تعالى في هذه الآية يخبر عن اقتراب الساعة ودنوّها معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع لا محالة كقوله: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[4] وقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[5]

---

(١) راجع معجزة القرآن ص٧٢.

(٢) سورة النحل، من الآية: ١.

(٣) نقلاً عن معجزة القرآن، ص٧٧ بتصرف يسير.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١.

(٥) سورة القمر، الآية: ١.

وقوله: فلا تستعجلوه أي قرب ما تباعد فلا تستعجلوه ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على الله أو على العذاب وكلاهما متلازم[1] حيث كان الكفار يستعجلون بالعذاب قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾[2]

ويفهم من هذا الكلام أن الله تعالى ساعة أن عبرَّ بالإتيان في الآية بزمن الماضي فذاك ليفهم الناس أن هذا الأمر واقع وقوعاً مؤكداً كمثل من رأى وقوع شيء في الماضي بعينيه وتأكد من تحققه تماماً، لأن الله عز وجل هو الذي أخبر وخبره مؤكد صدقه ووقوعه ولا يصح أن نطبق عليه ما نطبقه على أنفسنا من وقائع الزمن؛ لأنه لا يوجد من يماثله فهو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فالإنسان له قوة وقدرة، والله له قوة، وقدرة ولكن قوة الله وقدرته تخالف قدرة الإنسان وقوته.. الخ

كذلك الإنسان يعيش في زمن والله سبحانه لا زمن عنده إنه منزه عن الزمن لأنه خالقه فإذا قال تعالى: ﴿أَتَىٰ﴾ فهو في علم الله حدث وانتهى وتحقق، والمؤمن يعتقد ذلك تماماً.. ويقصد هنا أن الساعة تقررت وانتهى أمرها تم الأمر فلا تستعجلوه أي لا تتعجلوا يوم الحساب إنكم تجهلون ما فيه من أهوال.

إذن فهي بالنسبة لله تم وانتهى وبالنسبة لي أنا مستقبل[3]، وعليه فليس هناك تناقض بين استخدام الماضي والمستقبل، إذ الإتيان والتدبير تم فعلاً في علم الله ولكنه محجوب عني ذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فأين التناقض المزعوم؟

٣- في مسألة حمل الأوزار:

قالوا: إن آية في سورة الأنعام تقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[4] ومثيل لها في سورة فاطر: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[5]، وفي سورة النجم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

(١) تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٨١.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥٣.
(٣) معجزة القرآن ص٧٧، ٧٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.
(٥) سورة فاطر، الآية: ١٨.

وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1]، بينما في سورة النحل آية تقول: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[2]، وكـذلـك في سـورة العنكبوت ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾.[3]

فكيف لا تزر وازرة وزر أخرى ثم يحملون أوزاراً مع أوزارهم أليس في هذا تناقض[4]؟

وللرد أقول:

ليس هناك تناقض ولا تضارب بل هناك عدم فهم أو عدم تمرس على اللسان العربي لذا جاء العرض الاستشراقي بغير سليقة العربي ذي الملكة الذي يفهم الأسلوب ويدرك مراميه، أو يمكن القول أيضاً إن هؤلاء فاهمون ولكنهم بالألفاظ يتلاعبون ويحاولون أن يدخلوا على الناس بهذه الفرية لكي يصدقها الناشئة، والناشئة ليس عندها بصر بأسلوب اللغة، والمسلم المتدبر لكلام الله تعالى يعلم من خلال معرفته باللغة أنه لا يوجد ثمّة تضارب بين الآيات الكريمة ذلك لأن الآيات في سورة (آل عمران وفاطر والنجم) تبين حكم الله وعدله بين الناس يوم القيامة، وتقرر أن النفوس بأعمالها تجازي إن خيراً فخير وإن شراً فشراً ولا يمكن أن يحمل أحد خطيئة أحد: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[5] أي مرتهنة بعملها،[6] فمن ضل فعليه ضلاله ولا يصح أن يتحمله أحد سواه.

ثم تأتي آية سورة (النحل) لتوسع مدارك الأفهام أكثر، وتنبه أن هذا الضال لو نقل ضلاله إلى آخر واتبعه هذا الآخر فإنه سيحمل وزر ضلاله هو، ثم ضلال من

---

(١) سورة النجم، الآية ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٢٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ١٣.

(٤) انظر: شبهات وخصوم الإسلام والرد عليها، ص١١٧، ومعجزة القرآن، ص٨٤ الشيخ الشعراوي.

(٥) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٦) راجع تفسير ابن كثير، ج٢ ص٢٠٨، ج٤ ص٤٥٦.

أضله ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ .

وعلى هذا الأمر أكدت آية سورة العنكبوت قائلة ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي أوزارهم التي عملوها، والتعبير عنها بالأثقال -كما يقول الشوكاني- للإذان بأنها ذنوب عظيمة وأثقالاً مع أثقالهم .. وهي أوزار من أخرجوهم عن الهدى إلى الضلالة.(١)

فمن كان يشرب الخمر مثلاً فعليه إثمه ووزره؛ لأن عمله هذا يستحق عليه العقاب، فإن أخذ يقترب من إنسان آخر لا يعرف طريقاً لشرب الخمر وأخذ يزين له الطريق ويغريه حتى جعله من الشاربين فعليه حينئذ وزر التزين والإضلال لهذا الآخر؛ لأنه أتى بعمل جديد ساعد من خلاله على فعل المعصية وتزيينها حتى وقع فيها ذلك الآخر، ويمكن أن نسمي هذا الأخير وزر الإضلال، أما الأول فهو وزر الضلال، وعليه فالآيات الأولى التي تقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ يقصد بها الضالون، أما آيتي (النحل والعنكبوت) فيقصد بها المضلون الذي يضلون عن سبيل الله ولا تناقض بين الآيات.

٤- ما جاء في الود والمعروف:

ومما ذكره المستشرقون أيضاً في كتاب لهم يسمى (سفر البرهان في متناقضات القرآن):(٢)

إن القرآن يحض الناس على معاملة آبائهم معاملة سيئة وقاسية من خلال ما جاء في سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾(٣)، ثم تأخذ محمداً عاطفة من حنان

(١) فتح القدير، ج٤ ص١٩٤ ـ وراجع شبهات وأباطيل حول الإسلام، ص١١٨ ـ ومعجزة القرآن، ص٨٥.
(٢) احتوى هذا الكتاب على آيات عشر ظاهرها التناقض والتضارب وقد ذكره فضيلة الشعراوي في كتاب شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها ونعتمد عليه هنا راجع ص١١٨، ١١٩
(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

فتجعله يسهو ويقول ثانياً في سورة لقمان: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾[1]

وفي هذا تناقض واختلاف إذ كيف يقال في الآية الأولى لا توادهم وفي الثانية يقول وصاحبهما معروفاً فكيف يمكن أن يستقيم أمران مختلفان في نفس الشيء؟!

الرد: إن المتأمل لا يجد أي اختلاف أو تضارب بين الآيتين، بل يجد جهلاً بمعاني اللغة وعدم فهم لدقة اللفظ في القرآن الكريم؛ ذلك لأن الآية الأولى تتحدث عن الود والثانية تتحدث عن المعروف والآياتان لم تردا على شيء، واحد وهو الود والمعروف، ولو وردتا على شيء واحد لأمكن أن يقال هناك تناقض وإذا كان الأمر كذلك فما الفرق بين الود والمعروف هنا؟ ولكي نقف على هذا الفرق نقترب من آيات أخرى من القرآن الكريم، اذ القرآن يفسر بعضه بعضاً فنقرأ قول الله تعالى في سورة الروم:
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ ﴾[2]

يقول المفسرون جعل بينكم مودة أي محبة ورحمة وهي الرأفة فإن الرجل يمسك المرأة لمحبته لها أو الرحمة بها[3] وعلى ذلك فالمودة هي المحبة التي تمس القلب وتستقر فيه أما المعروف فهو الإحسان إلى الغير.

وآية سورة المجادلة تدعو المؤمن ألا يجعل بينه وبين الكافر الذي يحاد الله ورسوله أي مودة أو محبة قلبية؛ لأن إيمان المؤمن كما يقول البغوي في تفسيره لهذه الآية يفسد بموادة الكفار، ومن كان مؤمناً لا يوالي كافراً - أي لا يحبه - وإن كان من عشيرته[4] وأولهم أباه وأمه.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٣ ص ٤٣٣.

(٤) مختصر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، ج٢ ص٩٣٢ تعليق د/عبد الله أحمد الزيد.

أما آية سورة «لقمان» فهي لا تطلب محبة الأبوين إن كانا على كفرهما باقيين وكذلك لم تدعو إلى إهمالهما وتركهما لأحداث وأهوال الدهر بل تنصح المؤمن وتأمره أن يحسن إليهما ويصاحبهما بالبر والصلة والعشرة الجميلة.[1]

وهذا هو عين المعروف، فالمعروف يصنعه المرء مع من يحب ومع من لا يحب، فلو رأى شخص ما إنساناً في الطريق مركبته عاطلة وفي حاجة إلى مساعدة وعون فقدم له ما يريد وقضي حاجته فإنه حينئذ يكون قد صنع له معروفاً عسى الله أن يجزيه عنه خيراً، ولا يقال إن هذا الصنع مودة؛ لأن المودة محلها القلب، والمؤمن لا يحب الكافر ولو كان والده، ولكن يصنع له المعروف، وهذا هو ما يفهم من الآيتين الكريمتين وهو ما فهمه الصحابة الإجلاء مع الرسول الكريم ﷺ وترجموه إلى واقع ملموس في محيط الحياة، فسعد بن أبي وقاص كان من السابقين الأولين، وكان بأمه باراً كما أمر الدين فقالت له ذات يوم: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا أكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعيَّر بذلك أبد الدهر.. فقال لها: يا أماه، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني فكلي وإن شئتِ فلا تأكلي فأنزل الله: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ ﴾ الآية فكان يصنع معها المعروف ولكنه لا يحبها[2] بل يطردها من قلبه تماماً؛ لأنها تحارب الله وتدعو إلى الإشراك به، وقلب المؤمن لا يصح أن يدخل فيه كافر مع الله ولا من يحاول أن يشرك به ولو كان واحداً من أبويه.

وعلى ضوء ذلك لا نرى بين الآيتين أي تضارب أو تناقض كما زعم المستشرقون؛ لأن الأولى حديثها عن المودة وهي المحبة، والمحبة لا تكون لغير المؤمن والثانية عن صنع الجميل، والمعروف ويفعل هذا للمؤمن ولغير المؤمن.

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص٧٣٠.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص ٧١٣-٧١٤.

ولله در القائل:

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه
فلن يضيع جميل أينما زرعا

إن الجميل وإن طال الزمان به
فليس يحصده غير الذي زرعا

وبعد:

فهاك بعض الافتراءات التي ذكرها المستشرقون حول وقوع التناقض بين آيات القرآن الكريم، وقد عدوها كثيرة وعلى الناس أذاعوها لدرجة أن أحدهم وهو (جولد تسهير) اليهودي كتب وقال:

«إن البحث في التناقضات الظاهرة في القرآن أصبح حديثاً بين المؤمنين أنفسهم»[(١)] وطبعاً هذا الحديث وصل إلى مسامعه هو فقط، أما نحن المسلمين لم نسمع ببحث في تناقضات القرآن لا لشيء إلا لأنها غير موجودة: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾.[(٢)]

أما ما ذكروه فقد أتينا على أشهره كما أسلفنا ووجدنا أنه عبارة عن أباطيل وافتراءات، وأن أصحابها بعيدون عن فهم بلاغة ودقة التعبير القرآني والتي تجعل اللفظ والمعنى منسجمين تماماً لا يبتعدان بعضهما عن البعض ولا يؤديان إلا نفس المعنى المقصود بالنسبة لمقتضيات الحال.

وعلى كلٍ فإنني أنقل إلى المستشرقين في النهاية السطور الأولى من إنجيل يوحنا - المقدس عندهم- ليقارنوا بين ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في هذا الإنجيل ويوازنوا بين ألوان الكلام هنا وألوان الكلام هناك **يقول يوحنا**: في البدء كان الكلمة والكلمة

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٧٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله كل شيء به كان وبغيره لم **يكن شيء مما كان. ثم يقول:**

والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءاً نعمة وحقاً. (١)

وليخبرنا المستشرقون الآن أين التناقض وعدم الانسجام أفي هذا الكلام أم في كلام الله الذي شهدت به الجن قائلة: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾(٢) ؟

إن ما قاله يوحنا لا يفهمه جن ولا إنس ومع ذلك يدافع عنه السادة المستشرقون وعلى كلام الله يتهجمون.

إنني لا أشك أن هؤلاء لفي محنة عقلية وصدق من قال:

يقضى على المرء في أيام محنته
حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن.

(١) إنجيل يوحنا ١-٤، ١٤، ١٥ الإصحاح الأول.

(٢) الجن، من الآية، ١.

الفصل السادس

افتراءات المستشرقين على عقيدة الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ والرد عليها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ثبوت الرسالة عن طريق الوحي.

المبحث الثاني: عالمية الرسالة وافتراءات المستشرقين عليها.

المبحث الثالث: افتراءات المستشرقين على المعجزات النبوية والرد عليها.

المبحث الرابع: التحامل الاستشراقي على شخص صاحب الرسالة ﷺ.

الفصل السادس

افتراءات المستشرقين على عقيدة الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ والرد عليها

لما كانت عقيدة الإيمان برسالة النبي ﷺ من العقائد الهامة في الدين الإسلامي بعد الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه على اعتبار أن هذه الرسالة مكملة للرسالات السابقة ودالة على ثبوتها وصدق حامليها من الأنبياء السابقين وأن المسلم لا يكتمل إيمانه إلا بالإقرار والاعتراف بهذه الرسائل بجوار رسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[1]

دأب عدد من المستشرقين غير قليل على التشكيك في هذه الرسالة المكملة والخاتمة وقام بتوجيه طعنات وإطلاق افتراءات على هذا المعتقد.

١ - بدءاً بنفي ثبوت الوحي المنزل على المصطفى الأكرم عليه الصلاة والسلام. ـ

٢- ومروراً بنفي عالمية الرسالة. ـ

٣- وأخرى بالتشكيك في الآيات والمعجزات الدالة عليها. ـ

٤- ثم انتهاء بالهجوم على شخص صاحب الرسالة الغراء والذي لم يكن يعرف في زمانه إلا بالصادق الأمين صاحب الخلق العظيم عليه من الله أفضل صلاة وأتم تسليم، وما ذاك كله إلا لكي يصلوا إلى القول بأن محمداً ﷺ شخص يخطئ كثيراً وليس نبياً ولا رسولاً ولنناقش ما زعموه من خلال ما يلي:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

المبحث الأول

ثبوت الرسالة عن طريق الوحي

لما كانت رسالة المصطفى ﷺ ثابتة بالوحي فإن المستشرقين لم يتقبلوا هذا الأمر بل أنكروه تماماً .

١ - وزعموا أن محمداً ﷺ ادعى ذلك ادعاءً وأن مسألة الوحي مسألة غير مرئية ومستحيلة

وكل ما في الأمر أن محمداً على حد تعبير (جب) اعتقد أنه يوحى إليه نتيجة لبعض التأثيرات الخارجية ، حيث كانت مكة بيئة غنية بالتجارب الإنسانية نظراً لموقعها التجاري الهام بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط ، احتكارها للتجارة ومجيء الناس من كل مكان إليها ، فتميز ساكنوها على حد قوله بعلاقات دبلوماسية مع الوافدين من رومان وغيرهم مما عمق في قاداتهم القدرات العقلية والصفات الأخلاقية الحكيمة مثل : ضبط النفس وغيرها ، وكان محمد أحد هؤلاء القادة ، وبسبب ذلك نرى أن محمداً قد نجح في دعوته -كرسول- لأنه كان مكياً[(١)].

٢ - ثم يقولون إن ادعاءه تنزل الوحي عليه وهو في عزلته وهم وخيال ، إذ ليس هناك ما يثبت عند القسيس (لامانس) أن محمداً كان يميل إلى الاعتكاف والعزلة ؛ لأن هذا الأمر لا يتفق على حد تعبيره مع نفرة محمد من الوحدة وكراهيته المشهورة للنسك[(٢)]

٣- أو أن هذا الادعاء هو نتيجة لنوبات صرع -كما يفتري- (نولدكة) كانت تصيب محمداً على فترات فيتكلم بكلام يقول مرة إنه قرآن وأخرى حديث قدسي وثالثة حديث نبوي[(٣)] وكوّن بذلك رسالة مليئة بالحكايات والأساطير ويزعم أنها ربانية[(٤)].

(١) انظر : دراسات استشراقية وحضارية «كتاب دوري محكم»، ص١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) نقلاً عن أوربا والإسلام، ص٨٩ د/عبد الحليم محمود.

(٣) المصدر السابق ص٨٩ ، وشبهات وأباطيل خصوم الإسلام ص٣٥.

(٤) راجع دائرة المعارف الإسلامية ، ج٢ ص١١٢ ، وكتاب حياة محمد ، ص٤٠ د/محمد حسنين هيكل، والمستشرق نيكولسن ومفترياته على الإسلام، ص٢٧٠.

وهكذا يستبعد المستشرقون بكل سهولة -كما نرى من تخبطهم- الرسالة السماوية للنبي محمد ﷺ وينتهون إلى أنها نتاج إنسان وبيئة أو أنها من وحي الخيال ونوبات الصرع ولا علاقة لها بالوحي السماوي ؛ لأنه مستبعد ومستحيل في دنيا الواقع المنظور.

مناقشة ونقد:

أولاً : الرسالات اصطفاء لا اكتساب

إن الرسالات السماوية معروفة عند كل العقلاء أنها في جوهرها اصطفاء واجتباء من الله عز وجل لمن يشاء من خلقه ملك أو إنسان، وهو سبحانه فعال لما يريد قال تبارك وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾(١) فإعطاء الرسالة ليس لأي شخص بل للذي يصطفى ويكون أهلاً لذلك، كما أن المصطفى من البشر لا يأتيه بوحي الله إلا ملك مصطفى أيضاً، فالمصطفى لا يأتي إلا للمصطفى، وهذا يعني أن أي رسالة لا يمكن أن ينالها إنسان بالتمني أو بالتخيلات ولا بالرياضة الروحية ولا بما يكتسبه من خبرات ولا بموقع بلدته المتميز بين البلاد ولا بعبقريته أو ذكائه البارع.

لأن هذا الأمر ليس بيد البشر بل بيد خالق البشر ومدبر الكون الذي يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، وقد حدث هذا الاصطفاء لمن يحمل رسالة الله من البشر في التاريخ الإنساني مرات عديدة ولم تكن هناك غرابة في الأمر ورسالة محمد ﷺ واحدة من هذه الرسالات، وتحمل معها براهين وآيات، فما الغرابة في هذا الأمر الجديد القديم؟ ولماذا لم يكن محمد واحداً من هؤلاء طالما معه ما يدل على ذلك من الآيات البينات؟؟!

أم إن الحقد والحسد أعميا بصيرة المستشرقين، وأنسياهم التاريخ الديني ووقائعه، وجعلاهم يغالطون وعن الموضوعية يبتعدون لكي يشوهوا جزءاً هاماً من الرسالات

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.

السماوية التي جاءت عبر تاريخ الجنس البشري والمتمثل في رسالة ودين محمد ﷺ لدرجة أن واحداً منهم فرنسي الأصل يسمى (كيمون) صرخ في كتاب له يسمى (باثولوجيا الإسلام) ليقول فيه:

«إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس.. بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث على الخمول والكسل ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمور ويجمح في القبائح، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي إلى ما لا نهاية... والتعود على عادات ستنقلب إلى طباع أصلية ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى»(١)

ويفهم من هذه السطور والتي حاد صاحبها المخمور عاشق الخنازير عن أدب الكتابة فضلاً عن الأسلوب العلمي في الدراسة والحكمة أن الدافع وراء الإنكار لرسالة خير الأنام هو الحقد الذي سكن في قلوب المستشرقين لا غير.

ثانياً: الوحي حقيقة لا خيال:

ومما يؤكد ثبوت هذا الحقد واستقراره في قلوبهم أن هؤلاء بنوا إنكارهم لثبوت الرسالة على إنكار الوحي وأنه أمر مستحيل كما نقلنا عنهم.

وهذه نغمة مادية بحتة يطلقها المستشرقون ساعة أن يسمعوا أن محمداً رسول أوحي إليه.

ومعلوم أن إنكارهم هذا باطل، وما بني على باطل فهو باطل؛ ذلك لأن الرسالتين السابقتين لم تثبت واحدة منهما إلا عن طريق الوحي، فلو سُلم للقائلين بالإنكار للزم عليه إنكار الرسالة التي أتى بها موسى -عليه السلام- في اليهودية وكذلك الرسالة التي

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٥٥ د/محمد البهي.

أتى بها عيسى -عليه السلام- في النصرانية، ولا أظن أن أحداً من المستشرقين الذين ينتسبون إلى رسالة موسى أو عيسى عليهما السلام يسلم بهذا الأمر.

فلماذا إذن يُنكر على رسول الله ﷺ بأن الوحي بلغه رسالة الله عز وجل إلى العالمين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى العلم يشهد بثبوت الوحي والرسالة فإن من ينكر الوحي -المنزل على الرسول الأكرم عليه من الله أفضل صلاة وأتم سلام- لا لشيء إلا لأنه غير مرئي ومستحيل سماعه ونزوله.

فإنه قد جانب كل المسلمات في دنيا الواقع؛ ذلك لأن أشياء كثيرة في واقعنا لم نرها ولم نسمعها وهي تجري حولنا في كل لحظة ومع ذلك نسلم بوجودها بيقين.

وقد استطاع العلم الحديث كما يقول الأستاذ (وحيد الدين خان)[1] أن ييسر لنا إدراكها عن طريق الأجهزة العلمية التي اخترعناها، وهذه الأجهزة تستطيع أن تدل على صوت ذباب طائر على بضعة أميال وكأنه يطير عند أذنك، ومن الأجهزة العلمية ما وصل التقدم فيه إلى حد أنها تسجل صدام الأشعة الكونية في الفضاء وتسمعك أشياء لا يمكن سماعها بالطرق السمعية التقليدية.

وهذه الطاقة غير العادية للسماع لا تخص الآلات العلمية الحديثة -فحسب- وإنما وهبها الله لبعض الحيوانات أيضاً.. إذ تسمع أصواتاً تخرج عن نطاق أسماعنا، فمثلاً الحشرة التي تطلق عليها (العثة) وهي حشرة مجنحة، فلو أنك وضعتها على نافذة مفتوحة فستحدث صوتاً يسمعه زوجها على مسافة بعيدة جداً ولسوف يجيبها هذا الزوج بنفس طريقتها. وهناك نوع خاص من هذه الحشرات يدعى (الجندب) يحك رجليه وجناحيه ويصوت بطريقة غير عادية ويسمع على مبعدة نصف ميل.. ليدعو زوجته وهي أيضاً ترسل وهي ساكنة بلا حراك جواباً لا نعرفه وإنما يعرفه (الجندب) الذكر ثم يلحق بها أينما كانت ..

(١) في كتابه الإسلام يتحدى، ص٩٦ ترجمة ظفر الدين خان، ومراجعة وتقديم د/ عبد الصبور شاهين - مكتبة القرآن.

وقد أثبتت البحوث أيضاً أن (أبو النطيط) العادي (Rasshope) لديه قدرة خارقة على السماع حتى إنه يستطيع أن يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطر من ذرة الأيدروجين.

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تؤكد إمكان وجود وسائل غير مرئية لدى ذوي الحواس الخاصة.[1]

وإذا كان الأمر كذلك فما وجه الغرابة في ادعاء إنسان لم يحكم عليه أحد بالكذب قط من قبل هذا الأمر أنه سمع صوتاً من لدن خالقه وخص به وحده دون سائر الناس، والناس جميعاً في وقته يعلمون أنه لم يجرب عليه غير الصدق والأمانة.

وما دام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات وأصوات لا تسمعها آذان الإنسان ولكن تسجلها الآلات، وما دامت هناك رسائل تدركها حيوانات دون أخرى فما وجه التعجب والاستبعاد!؟

إن صاحب كتاب (الإسلام يتحدى) يقول: إن الله تعالى -لحكمة يعلمها- يرسل رسائله بوسائل خافته خفية إلى الإنسان المختار للرسالة بعد أن يودع فيه صلاحية التقاطها وفهمها، فليس هناك من تصادم في الحقيقة بين مشاهدتنا وتجاربنا العلمية، فهو واقع من الوقائع الكثيرة التي نشاهدها ونجربها في أمكنة وطرق مختلفة، فالوحي ممكن وغير مستحيل[2] ونحن نؤكد على هذه الحقيقة الممكنة، واللامستحيلة ونقول للمستشرقين المنكرين: انظروا وتأملوا -إن لم تكفكم تلك الأمثلة السابقة- من التقدم المذهل في وسائل الاتصالات العالمية الآن وكيف يكون الإنسان فوق سطح القمر، ويتصل بآخر في الأرض، أو كيف يكون في أقصى الولايات المتحدة الأمريكية، ويتصل بأهله في القاهرة وهو نائم ممتد على أريكته، يقص عليهم الأفكار ويسمع منهم

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق ص٩٧.

الأخبار، فإذا كان الإنسان الضعيف استطاع أن ينقل الأفكار ويسمع الأخبار بهذه الطريقة السهلة المريحة، ولا ينكر ذلك أحد عليه فلماذا ننكر على الرسول ﷺ قوله إن الله خالق الإنسان ومعلمه البيان، أسمعه أوامره ونواهيه عن طريق الوحي، وحمله الرسالة وأمره بالتبليغ!؟ وقد فعل النبي ﷺ ذلك على أكمل وجه ولا سبيل للإنكار.

ثالثاً: أكذوبة الصرع:

ومن عجيب ما ذهب إليه هؤلاء الذين يصرون على إنكار رسالة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- بلا برهان، إشاعتهم -القول الذي ذكرناه آنفاً- بأن النبي ﷺ كان مريضاً بمرض الصرع، وأنه كانت تعتريه غيبوبة يقول بعدها كلاماً يتلوه على المؤمنين بأنه وحي، وهو مرة قرآن وأخرى حديث قدسي، وثالثة حديث نبوي بينما هو من آثار المرض.

وأقول لهؤلاء:

١- إن هذه الأكذوبة التي أطلقتموها -ضمن ما تطلقونه من أكاذيب- هي في الحقيقة عليكم لا لكم، وفي صالح ثبوت رسالة النبي ﷺ، وليست في صالحكم، ودائماً يترك الله عز وجل بعض الحق عند الأحمق ليدل على حمقه. ونبي الإسلام -عليه الصلاة والسلام- كانت تصيبه ساعة أن يتنزل الوحي عليه غيبوبة حقاً ويتصبب جسده عرقاً ولكن لم يكن ذلك بسبب المرض المزعوم، بل نتيجة لثقل الوحي، وكان الوحي يتنزل عليه في أوقات كثيرة بالمقدار الكبير من الآيات فيستغرق وقتاً طويلاً بعد ذلك ليحكيه، ويقرأه على أصحابه، فإذا ما قرأه كتبه كتبة الوحي خلفه، فإذا ما دخل في الصلاة يقرؤه كما هو مكتوب تماماً، لا ينسى حرفاً ولا يغير لفظاً ولا يبدل جملة بل يعيده كما قال.

فهل يتوفر ذلك في مريض الصرع، وهل يستطيع المصروع بعد أن يفيق من نوبة الصرع أن يتذكر شيئاً مما فعله أو قاله؟ إن ذلك لم يثبت أبداً في دنيا الواقع.

ولنسمع كلمة الأطباء وعلماء النفس في ذلك:

إنهم يقولون: إن نوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به أثناءها، بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً، ولا يذكر شيئاً مما حل أو مر به خلالها؛ ذلك لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطيل، ويخرج كذلك عن هدوئه وثباته. ذلك هو ما قاله الأطباء وعلماء النفس.[1]

وهو لا ينطبق البتة على صاحب الرسالة الموقر، إذ كان عليه الصلاة والسلام حين يأتيه الوحي في منتهى الهدوء وفي منتهى السكون، وفي منتهى الاستقرار، وكان إدراكه الروحي والفكري في غاية التنبه، فإذا ما انفصلت عنه هذه الحالة حكى كل ما أوحي إليه من خلال ذاكرة حافظة بلا نسيان. وفي هذا الأمر دليل على أن محمداً ﷺ في استيعابه يخالف ما هو مألوف لدى البشر جميعاً؛ لأن ذاكرته أعدت إعداداً خاصاً من قِبل الحق جل وعلا لتكون وعاءً لما يوحى إليه، ويبلّغ، وهذا الأمر صادر عن قضية صادقة، ذكرها القرآن الكريم هي قوله تعالىٰ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[2]، وإلا هاتوا أي إنسان -كما يقول فضيلة الشيخ الشعراوي- ليتكلم ربع ساعة ثم سجلوا عليه ما تكلم به، ثم قولوا له: أعد علينا ما تكلمت به، فإنه لابد أن يخطئ.. ولكن صاحب الرسالة ﷺ يسجل ما يقوله في أثناء الوحي، ويقرؤه بعد ذلك في كل وقت فلا نجد فارقاً بين هذا وذاك[3] وكل كتب السير والتواريخ أثبتت ذلك لرسول الله ﷺ.

---

(١) نقلاً حياة محمد ﷺ ص٤٠ د/ هيكل.

(٢) سورة الأعلى، الآية ٦.

(٣) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام، ص٣٦.

ومن ثمّ رأينا المستشرق (دوغويه) أحد المعتدلين في بعض الأحكام من المستشرقين -ومعه كثيرون-[1] ينظرون إلى ما وثقته كتب السير عن حفظ الرسول ﷺ وما قاله العلم في صفات المصروع. فيتهكم بمن قال إن محمداً ﷺ كان مريضاً بالصرع ويقول: إن هذا الأمر بعيد الاحتمال، ويعلل لذلك بأن الحافظة في المصروعين تكون معطلة على حين أن حافظة محمد كانت غاية في الجودة كلما هبط الوحي.[2]

٢- أما عن التغاير في الأسلوب:

والذي قالوا فيه: إن محمداً يتكلم بكلام يقول فيه مرة إنه قرآن وأخرى حديث قدسي وثالثة نبوي وجعلوا من ذلك مصدر تشكيك.

أقول: إنكم لو نظرتم لوجدتم أن هذا التغاير في الأساليب لا يقوى عليه إلا رسول موحى إليه برسالة؛ لأن الأسلوب هو الطريقة اللازمة للشخص في أداء المعاني، فلو أتينا بإنسان له موهبة عالية في الإلقاء والتعبير وسجلنا له مميزات أسلوبه ثم سألناه أن يأتي بأسلوب آخر، وسجلنا له الأسلوب الآخر، ثم غيره إلى ثالث فإنه لا يستطيع أن يتخلص من أسلوبه الأول أبداً، بل سنرى كل أسلوب امتزج بالآخر في أداء المعاني، والأداء سيأخذ تشخيصاً لا يمكن أن يتبرأ منه صاحبه، أما إذا ما جئنا إلى ما ذكره الرسول ﷺ فإننا نجده يأتي بأسلوب قرآني وآخر حديث قدسي وثالث حديث نبوي، والأساليب مع أنها ثلاثة ويقول بها شخص واحد إلا أنه لا يمتزج فيها أسلوب بالآخر، بل لكل أسلوب خواصه ومميزاته وطبائعه، وهذا من غير شك لم يأت به المصطفى ﷺ من نفسه، لأنه فوق طاقة البشر والذي

---

(١) من أمثال ول ديورانث في كتابه (قصة الحضارة) وأرفنج في كتاب (حياة محمد) وآتين دينية في كتابه (الرسول محمد) ودور منغم في كتابه (حياة محمد) حيث عقد هؤلاء فصولاً مسهبة أحيانا في كيفية الوحي التي اعتمد بعضهم فيها على الأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية الموثقة - انظر: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين: ص١١٤ نذير حمدان.

(٢) نقلاً عن أوربا والإسلام ص٨٩، ٩٠

أوحاه إلى رسول الله هو خالق البشر، والفارق أن القرآن الكريم يتحدى به ويُتعبد بتلاوته في الصلاة وغيرها لأنه موحى به.

والحديث القدسي والنبوي موحى بهما إلا أنه ليس لهما صفة التحدي، وفي ذلك يقول فضيلة الشيخ (محمد متولي الشعراوي): يجب أن يفهم أن الاختلاف بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث القدسي والنبوي لا يجوز أن يكون مصدر تشكيك وإنما يجب أن يكون دليل إيمان بصدقه، وبأن الرسول يعطينا ثلاثة أساليب للأداء بحيث لا يشترك أسلوب مع أسلوب ولا تشتبه طريقة أدائية بطريقة أدائية أخرى، بل لبعضها خواص التحدي مثل القرآن، أما الحديث القدسي والنبوي فليس لهما خواص التحدي إلا أن الأول توقيفي والثاني بعضه توقيفي وبعضه توفيقي كما يرى بعض العلماء[1].

فهل يصلح بعد هذا العرض أن يدعي مستشرق مخمور مثل (نولدكة) ومن سار على نهجه أن يتهم نبينا الأكرم ﷺ بأن تغايره في أساليبه كانت نتيجة لما أصابه من مرض الصرع فمن المريض إذن ألا يستحون؟!

رابعاً: إنكار الرسالة تكذيب لنصوص الكتاب المقدس -عندهم-:

وأخيراً أقول لمن يصر على إنكار الرسالة الإلهية التي أتى بها المصطفى ﷺ من المستشرقين ويحاول أن يرجعها إلى البيئة المكية أو يحكم على صاحبها بأنه مريض بالصرع -حاشاه ﷺ- أقول: إنكم أيها المستشرقون في كل بقاع الدنيا إن ادعى بعضكم أنه يهودي الديانة أو نصراني الملة يؤمن بما جاء في الكتاب المقدس وبكل نص فيه ثم تحاولون إنكار رسالة محمد ﷺ والذي جاء بعد عيسى وموسى عليهما السلام فإن إنكاركم هذا سيجعلكم غير كاملي الإيمان بل مخالفين كل المخالفة لما يجب أن تثبتوا على الإيمان به وهو نصوص الكتاب المقدس عندكم، ذلك لأن هذا الكتاب ما زالت فيه بعض النصوص والفقرات التي تشير إلى أن هناك نبياً سيأتي إلى الدنيا يحمل رسالة

---

(١) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام، ص٣٩.

الله بعد عيسى اسمه محمد أو أحمد ﷺ، وأنه سيولد في مكة، وأن أمته ستكون من أكبر الأمم وهو خاتم للنبيين. وحتى تكون الحجة عليكم واضحة والدليل مقنعاً فإنني أحيلكم على جناح السرعة وبإيجاز سريع إلى هذه النصوص الدالة على أن نبينا محمداً هو صاحب الرسالة الإلهية التي تعترضون عليها الآن:

١ - جاء في سفر التثنية ما نصه: «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس»[(١)]

قال المحققون من الباحثين:

إن مجيئه من سيناء يعني إنزال التوراة على موسى عليه السلام في طور سيناء كما هو معلوم عند أهل الكتاب.

وإشراقه من سعير أي إنزاله الإنجيل على عيسى عليه السلام؛ لأن ساعير هي قطعة في أرض الخليل تابعة لقرية تدعى الناصرة وفيها ولد المسيح عليه السلام وباسمها سمي من اتبعه من نصارى.

وأما استعلانه من جبال فاران فهو إشارة إلى رسالة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه في أرض مكة، لأن اسم فاران بإجماع المسلمين وأهل الكتاب لا يطلق إلا على مكة، ومن قال غير ذلك فهو أفاك محرف، وقد نقل بالتواتر واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما ربي بمكة، والبرية التي بين مكة وطور سيناء تسمى برية فاران، ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه نزل كتاب بعد المسيح في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي.

فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد ﷺ[(٢)] وإلا فليخبرنا المستشرقون بنبي آخر إن استطاعوا.

---

(١) سفر التثنية إصحاح ٣٣ فقرة/٢.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٣ ص٣٠٠ لشيخ الإسلام ابن تيمية - مطابع المجد التجارية وفي نور العقيدة الإسلامية ص١٣١ د/ محمد أحمد المسير.

٢- جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر على لسان عيسى عليه السلام والذي يسمونه بيسوع عندهم ما نصه:

«إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وإني أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» وقد نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية من طبعة أخرى فارقليطا[1] آخر لكن الطبعة التي بين يدي الآن تقول معزياً آخر[2].

٣-ونص آخر، في نفس الإنجيل يقول: «لا أتكلم معكم أيضاً؛ لأن رئيس العالم يأتي وليس له فيَّ شيء».[3]

٤- ونص يقول: «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب فهو يشهد لي»[4]

٥- ونص يقول: «وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني .. وخير لكم أن أنطلق لأني إن لم أنطلق لم يأت المعزي (الفارقليط) .. ومتى جاء لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية.. إلخ»[5].

وهكذا تتوالى النصوص بيد يوحنا الإنجيلي وكلها تشير إلى رسول الله محمدﷺ. لأن الكلمة إن كانت فارقليطا فهو في لغتهم العبرانية الحماد وقيل الحامد، واستدل على هذا بقول يوشع: «من عمل حسنة تكون له فارقليطاً جيداً، أي حمداً جيداً

وجاء أيضاً أن فارقليطاً معناه المعز أيضاً أي الذي يعز أهل الإيمان. وسواء كان معنى الكلمة الحماد أو الحامد أو الحمد أو المعز فهي لا تنطبق بهذا الوصف الظاهر إلا

(١) المصدر السابق.

(٢) طبعة العيد المئوي - دار الكتاب المقدس بمصر والنص في إنجيل يوحنا إصحاح ١٤ فقرة ١٥/١٦.

(٣) إنجيل يوحنا إصحاح ١٤ فقرة ٣٠.

(٤) إنجيل يوحنا إصحاح ١٥ فقرة ٢٦.

(٥) إنجيل يوحنا فقرات من ٥، ٧، ١٣.

على محمد ﷺ فإنه وأمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ، وهو ﷺ صاحب لواء الحمد يوم القيامة ، والحمد مفتاح خطبته ومفتاح صلاته ، ولم يعرف قط نبي أعز أهل التوحيد والإيمان كما أعزهم محمد ﷺ فهو أحق باسم المعز من كل إنسان.

فالنصوص التي نقلناها كلها تتفق جميعها على أن المخبر عنه هو محمد -عليه الصلاة والسلام :-

أما من قال من النصارى بأن المقصود بالمعز هو روح القدس أو المسيح المخلص **فهو كما يقول شيخ الإسلام (ابن تيمية): قد جانب الصواب لما يلي :**

١-لأن روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء قبل المسيح وبعده وهذا ما اتفق عليه أهل الكتاب وليست موصوفة بهذا الوصف قال ﷺ لحسان بن ثابت وهو يهجو المشركين: «اللهم أيده بروح القدس».-

٢-قول المسيح سأرسل إليكم معزاً أو (فارقليطاً) آخر دل على أنه ثان لا أول كان قبله ولم يكن معهم في حياة المسيح إلا هو لم تنزل عليه الروح ، فعلم أن الذي يأتي بعده نظيراً له ليس أمراً معتاداً يأتي الناس.

٣- إنه قال يثبت معكم إلى الأبد ، وهذا إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم إلى آخر الدهر. والمقصود بقاء شرعه لا ذاته ، فعلم أن المعز الآخر أو الفارقليط الآخر لم يثبت معهم شرعه ودينه إلى الأبد وذلك لا ينطبق إلا على محمد ﷺ .

٤- أخبر أن الفارقليط -رئيس العالم- ، وأنه يشهد له ، وأنه يذكرهم بكل ما قال ويخبرهم عن الغيبيات الآتية مستقبلاً.[1]

ونحن نعلم أنه لم يشهد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس في العالم كله وعلم بها أهل الأرض جميعاً إلا محمد رسول الله ﷺ وكذلك أخبر بمغيبات كثيرة تحققت

(١) راجع الجواب الصحيح، ج٤ ص١٥-١٧ وفي نور العقيدة ص١٣٧-١٣٩.

مثل انتصار الروم على أعدائهم بعد هزيمتهم ببضع سنين وإخباره بعلامات الساعة وغير ذلك وما زال العلم كل يوم يكتشف صدق نبؤات الرسول محمد ﷺ مثل ما أخبر عنه علم الأجنة وطبقات الأرض.. إلخ من الاكتشافات العلمية التي تحققت نتائجها على أيدي الباحثين وشهدت لها كل معامل الدنيا وبسبب ذلك أسلم الكثيرون.

وستواصل البشرية مسيرتها اليومية، وسيظهر كل يوم تحقيق جديد لخبر قديم أخبر به رسول الله ﷺ وهو يبلغ رسالته إلى الناس منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.

فهل هناك حجة للمستشرقين بعد ذلك بأن محمداً ليس رسولاً من عند الله؟ وهل يمكنهم تكذيب هذه النصوص والتي تعمدنا نقلها من كتبهم المقدسة لا من عندنا ولم نتعمد تحريفها كما فعل أسلافهم من قبل؟

الحق أننا نعلم أنهم على طريقة أسلافهم يسيرون، وسيظلون مهما دافعنا عن رسول الله يفترون، وإنا لهم لمواجهون. بمشيئة الله تعالى وكل المخلصين من أبناء الأمة..

المبحث الثاني

عالمية الرسالة وافتراءات المستشرقين عليها

كل عاقل يعلم أن الرسالة التي أتى بها النبي الكريم محمد ﷺ وأذن بها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان في مكة هي رسالة للعالمين، هدفها تصحيح مسيرة البشرية العرجاء، ودعوتها إلى اتباع هدي السماء، والالتفاف بها حول عبادة إله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، قادر مقتدر يملك النفع والضر ويرزق من يشاء بغير حساب.

ولقد كانت البشرية أحوج ما تكون إلى هذه الرسالة؛ ذلك لأن الأوضاع كانت متردية في كل بقاع الدنيا بما فيها مكة أم القرى، وكانت العقيدة الملائمة للفطرة غائبة والناس حيارى بين دولتي الفرس والروم.

فكسرى[1] يعم في المشارق ظلمه
وهرقل[2] منه في المغارب أظلم

والناس بين القيصرين كأنهم
غنمٌ على تلك الذئاب تقسمُ

وفي هذه الأثناء شاءت إرادة الله عز وجل أن تنقذ البشرية من أوضاعها المتردية، فأرسل إليها محمداً ﷺ برسالة عالمية لكي يضع من خلالها إطاراً من الأخلاق والفضائل لم يعرف العالم له مثيلاً من قبل.

بيد أن المستشرقين أنكروا على الإسلام عالميته، وحددوا الإقامة لرسالته، وزعموا أنها قاصرة على الجزيرة العربية فحسب ولم يسمحوا لها بالعبور خارج حدودها.

وأمامنا الآن اثنان من هؤلاء وهما: (وليم ميور) و(شك كبناني) وقد أخذ كل منهما يكتب ويشكك في صحة دعوى عموم الرسالة بحجة خبيثة مبنية على أساس أن محمداً ﷺ ما كان يعرف غير الجزيرة العربية، وأنها وحدها كانت عالمه الذي لم يفكر في سواه، وأنه لم يوجه دعوته إلا للعرب دون غيرهم وظل على ذلك إلى أن مات:[3]

وقد انضم إلى هذين الرجلين في عبث القول المستشرق **(جولد تسيهر)** الذي نقل عبارة (لأنتول فرانس) تقول إن من أسس ديناً لا يدري ماذا يفعل. فقال: وهذه الكلمة تنطبق أفضل انطباق على محمد... فمحمد عندما جاء بالإسلام لم يكن يدري -كما تصور جولد تسيهر- أن دينه سينتشر، ولم يكن يدري على - فرض انتشاره- أنه سيدخل هذه البقاع الفسيحة من الأرض.

---

(١) (كسرى) ملك الفرس.

(٢) (هرقل) ملك الروم ويطلق عليه قيصر.

(٣) انظر: كتاب دراسات استشراقية، ص٢١٠ عدد من الباحثين، والاستشراق تاريخه وأهدافه، ص١٣٢ د/أحمد شلبي، والغزو الفكري أبعاده ومواجهته، ص٦٨ د/عبد العزيز تمام..

وتبعاً لعدم الدراية بهذا السير للإسلام، وعدم الإدراك لامتداده هنا وهناك لم يزوده محمد بالأصول المناسبة لهذا التوسع.[1]

وهكذا وبكل سذاجة يحاول هؤلاء أن يبعدوا عن الرسالة التي جاء بها المصطفى ﷺ عالميتها.

بل ويقرروا أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يدري وهو يؤسس دينه ماذا يفعل ولا أن الناس سيدخلون من كل مكان في هذا الدين.

ولهؤلاء ومن سار على دربهم ممن ينكر عالمية هذا الدين أقدم الأدلة والبراهين على أن النبي ﷺ كان يعلم علم اليقين أن رسالته للثقلين أجمعين، **وأن دينه أوسع** دائرة من أديان الأنبياء السابقين الذين كانوا يهدون من حولهم من الناس فقط، بينما هدايته عليه الصلاة والسلام للعالمين. وإن غالط في ذلك المغالطون وافترى على الرسالة المستشرقون الحاقدون.

الأدلة على عالمية الرسالة الإسلامية

وهاك الأدلة والبراهين على عالمية الرسالة الإسلامية وكذب المستشرقين وهي كثيرة ومتنوعة نذكر منها:

أولاً: أدلة نصية من القرآن الكريم:

وقد تلاها على أسماع الناس النبي الكريم وتعبد بها المسلمون عبر القرون، ونقلت إلينا بالتواتر المصون وبها أيقن كل مسلم في كل زمان ومكان، وها نحن ننقلها كما أنزلت على قلب سيد الأنام عليه الصلاة وأتم والسلام.

١- قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[2]

---

(١) راجع العقيدة والشريعة في الإسلام ص٤٣-٤٦.

(٢) سورة النساء، من الآية: ٧٩.

٢- وفي سورة سبأ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.[١]

٣- وفي سورة الفرقان: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[٢]

٤- وفي سورة الأنبياء: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٣]

٥- وفي سورة الأعراف: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[٤].

وغير ذلك الكثير من الآيات في كتاب الله العزيز وكلها تدل على عموم رسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى الناس جميعاً، وهذه إحدى خصائصه التي انفرد بها ﷺ عن الأنبياء قبله.

وقد فهم المفسرون ذلك جيداً في تعليقاتهم على الآيات السابقة، ولنختار ما قاله الإمام (أبو جعفر الطبري) -رحمه الله- حول الآية الأخيرة من سورة الأعراف فيقول: «قل يا محمد للناس كلهم إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض، أما رسالتي فهي إلى جميعكم»[٥]

إذن فهي ليست للعرب فقط كما زعم المستشرقون.

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٥) راجع تفسير الطبري، ج٩ ص٨٦.

ثانياً : أدلة من السنة :

وهى بمثابة أقوال أدلى بها الرسول ﷺ لأمته لكي يعلم المستشرقون بما فيهم (جولد تسيهر) أن الرسول ﷺ كان مدركاً لمهمته المكلف بها من رب العالمين، وأنه ﷺ يدري أجود دراية أن دينه سيعلو... وأن الشبهات التي توارثها الحائرون ستنجلي غيومها غيمة إثر غيمة.

ومما قاله النبي ﷺ :

١ - ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون**»[1]

٢- كذلك ما رواه أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي: أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم...**»[2]

٣- وأيضاً ما أخرجه أحمد[3] والطبراني[4] عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بعثت إلى الأحمر والأسود**»

٤- وروى البخاري[5] والنسائي[6] عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ ذكر ما فضل به عن غيره من الأنبياء.

---

(١) صحيح مسلم، ج١ ص٣٧١ -كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) المسند، ج٥ ص٢٥٦ قال الهيثمي ورجاله ثقات، ج١٠ ص٣٦٧، من مجمع الزوائد، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، ج١٣ ص٢٦ من المسند بتحقيقه.

(٣) المسند، ج٤ ص٤١٦.

(٤) مجمع الزوائد، ج٢ ص٢٥٨ وقال: (ورجال الطبراني رجال الصحيح).

(٥) ج١ ص٩١.　　(٦) السنن ج١ ص٢٠٩

ومما ذكره قوله ﷺ: «... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة التي نقلتها كتب السنن عن المصطفى ﷺ وكلها تصرح لنا وللمستشرقين ولكل الناس بعمومية الرسالة إلى قيام الساعة. فالنبي ﷺ كان - مصراً في أقواله- على حد تعبير الشيخ «الغزالي» على أن الإسلام ليس ديناً محلياً يتصل بهؤلاء العرب وحدهم بل هو دين يعني كل من بلغه من خلق الله ويكلف كل ذي سمع وبصر باتباعه.(١)

ثالثاً : أدلة تطبيقية :

وهي بمثابة ترجمة فعلية لما كلف به النبي ﷺ من قبل خالقه من تبليغ في دنيا الواقع، فالنبي ﷺ لم يحبس رسالته في الجزيرة العربية كما تخيل (وليم ميور) و(شك كبناني) بل جعل الرسالة تعبر خارج الجزيرة وتصل إلى ملوك العرب والعجم عن طريق سفراء من أصحابه وما كان ذلك إلا تنفيذاً لأوامر الله عز وجل القائل له:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾(٢)

وصدع النبي بالأمر بالفعل وما توانى لحظة عن التبليغ، ففي السنة السادسة من الهجرة وفي عقب صلح الحديبية الذي تم بين قريش والنبي ﷺ:

١ -أرسل سفيره دحِية الكلبي برسالة إلى هرقل ملك الروم، وقد ذكر مسلم في صحيحه نص الرسالة الذي يدعو به المصطفى ﷺ هرقل إلى الإسلام وفيه يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام - أي بدعوته- أسلمْ تَسْلَمْ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فعليك إثم الأريسيّن.(٣)

---

(١) انظر: دفاع عن العقيدة والشريعة، ص٥٣ الشيخ محمد الغزالي.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٣) أي عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك في أشهر الأقوال. راجع هامش ص١٣٩٦ صحيح مسلم ج٣.

و﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [١]

٢-ولم يكتف النبي ﷺ بدعوة هرقل، بل ذكر مسلم أيضاً في صحيحه أن النبي ﷺ كتب إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل.[٢] فعن قتادة عن أنس أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى[٣] وإلى قيصر[٤] وإلى النجاشي[٥] وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى[٦] برسائل مشابهة.

٣- كذلك بعث ﷺ برسائل أخرى إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية مع حاطب ابن أبي بلتعة، وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين مع العلاء بن الحضرمي، وإلى هوذة بن علي صاحب اليمامة مع سليط بن عمرو العامري وإلى جيفر وعبد ابني الجلندي صاحبي عُمان مع عمرو بن العاص، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني مع شجاع بن وهب من بني أسد.

وبعد وصول رسائله عليه الصلاة والسلام إلى هؤلاء جميعاً كان منهم من أسلم ومنهم من رد رداً جميلاً ومنهم من تكبر وتغطرس.

وعلى كل فالغاية قد تحققت من هذه الرسائل حيث قد بلغ النبي دعوة ربه ودعاهم جميعاً إلى الإسلام، وبيّن لهم أنه رسول رب العالمين إلى كل العالمين وليس للعرب وحدهم[٧] كما ظن الحاقدون.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) صحيح مسلم، ج٣ ص١٣٠٦، كتاب الجهاد والسير باب ٢٦ .

(٣) (كسرى) بفتح الكاف وكسرها وهو لقب لكل من ملك من ملوك الفرس.

(٤) (قيصر) لقب من ملك الروم.

(٥) النجاشي لقب من ملك الحبشة. والنجاشي المذكور ليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ .

(٦) صحيح مسلم، ج٣ ص١٣٩٧ باب ٢٧.

(٧) للمزيد راجع قضايا معاصرة في ضوء الإسلام، ص١٠٤ د/حلمي عبدالمنعم. وخصائص الدعوة الإسلامية، ص١٥٣ -١٦٣ محمد أمين حسن..

٤- ولم يكتف عليه الصلاة والسلام بالرسائل والإنذارات فقط بل أعد في حياته جيشاً وأرسله إلى مؤته على مشارف الجزيرة العربية من ناحية الشمال، وكذلك قاد بنفسه غزوة تبوك وأعد أيضاً جيش أسامة بن زيد ولكنه قُبض قبل سفر الجيش فأرسله أبو بكر - رضي الله عنه - وأنفذه حيث كان الرسول يريده على مشارف الجزيرة العربية.[١]

والناظر يرى أن كل هذه الجيوش بمثابة الخطوات العملية في تبليغ دعوة الإسلام خارج نطاق الجزيرة وليس هدفها إراقة الدماء بل إفساح الطريق أمام الدعوة والرسالة لكي تصل إلى كل أحمر وأبيض في آفاق الدنيا ، وقد نفذ الصحابة بعد رسول الله ﷺ وأوصلوها، فهل يليق بعد ذلك قبول مزاعم المستشرقين في أن الرسول ﷺ لم يكن يفكر يوماً ما في تبليغ رسالته خارج الجزيرة، وأنه ظل إلى أن مات يدعو العرب فقط، أليست هذه الرسائل والوثائق التاريخية بمثابة جهاز كشف كذب -إن صح التعبير- عمّا أخبر به المستشرقون تجاه عمومية رسالة النبي الكريم ﷺ.

رابعاً: ولنحتكم إلى المنطق والعقل إن كان للمستشرقين منطق وعقل وأقول:

١- طالما أنكم اعترفتم أن محمداً ﷺ أتى برسالة إلى العرب خاصة -على حسب زعمكم- فإنه يلزمكم منطقياً تصديقه بعد ذلك في كل ما يخبر به وقد قال إنه رسول الله إلى الناس عامة والرسول لا يكذب فلزم تصديقه حتماً[٢] لأنه لم يجرب عليه كذب ولو مرة طوال حياته ومن كان كذلك لا يصح تكذيبه. وهو القائل لكم ولأمثالكم **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**[٣].

(١) انظر: قضايا معاصرة ص١٠٤.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٧٠ لأبي العز الدمشقي.

(٣) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- ج١ كتاب الإيمان، باب ٧٠ رقم ١٥٣ ص١٣٤.

٢-إن هذا الدين في ضوء المعايير العقلية للناس هو وحده دون غيره من الأديان الذي يصلح أن يكون ديناً عالمياً للناس كافة وما ذاك إلا لأن رسالته تحمل جميع مقومات العالمية.

مقومات العالمية

مقومات العالمية يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أ- **المساواة بين الناس** وإلغاء العنصرية وهذه خطوة أولى على طريق العالمية. فالدين الذي يجب أن يكون عالمياً لا يصح أن يفضل جنساً على آخر، ولا غنياً على فقير، ولا قوياً على ضعيف. بل الناس جميعاً يجب أن يكونوا سواسية كأسنان المشط، وهذا هو ما دعى إليه من شرع لنا الإسلام ديناً سبحانه حين قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1] فمعيار التفاضل هو التقوى لا غير.

وهذا الأمر غير متوفر عند اليهود ولا النصارى الذين يقولون: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾[2] ولا في أي حضارة أخرى على وجه البسيطة.

ب- **تلبية نداء الفطرة الإنسانية** وتحقيق التوازن بين مطالب الجسد والروح. وهذه خطوة أخرى يجب أن يتمتع بها الدين الذي يريد أن تكون له صفة العالمية.

ذلك لأن الإنسان مهما اختلفت لغته وبيئته وحضارته فهو أولاً وأخيراً خلقه الله من الطين وسواه، ثم نفخ فيه من روحه وعلى ذلك فالجسد له مطالب وللروح مطالب أخرى ولابد من تحقيق الأمرين معاً؛ لأن هذه أمور فطر عليها الإنسان، فإذا كانت مطالب الجسد متمثلة في إشباع غرائزه وشهواته ومطالب الروح متمثلة في السمو والإشراق. فلا يصح إهمال أحدهما بل لابد من التوازن بين المطلبين وعدم الإهمال.[3]

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣. (٢) سورة المائدة من الآية ١٨

(٣) انظر: قضايا معاصرة ص١٠٢ - د/ حلمي عبد المنعم. بتصرف.

وهذا التوازن لم يلبيه إلا الإسلام بتعاليمه السمحة فيقول لآدم - عليه السلام - ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[(١)] ثم يقول في قصة قارون: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[(٢)] ثم يقول في موضع آخر موازناً بين الحزن والفرح: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[(٣)].

ثم يأمر عباده جميعاً بأن يلبوا مطالب الروح في العبادة ثم يسعوا في الأرض ليلبوا مطالب الجسد: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[(٤)].

وهذا التوازن مفقود في اليهودية التي اعتنت بالجسد فقط فوصفت بالمادية، ومفقود في النصرانية التي اعتنت اعتناء خاطئاً بالروح فقط فوصفت بالرهبانية. قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[(٥)]

ج- **وجود نظام تشريعي شامل لكل مناحي الحياة**: وهذه الخطوة مهمة جداً على طريق العالمية: فالدين الذي يريد أن يأخذ هذه الصفة - لابد أن يكون فيه تشريعات متكاملة وصالحة لكل الناس في كل الأمكنة والعصور، وهذه التشريعات مفقودة في اليهودية كما نعلم؛ لأن الله حرم على اليهود بسبب آثامهم وظلمهم كثيراً من الطيبات: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾[(٦)].

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١١٨-١١٩.

(٢) سورة القصص، من الآية: ٧٧.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الجمعة، من الآية: ١٠.

(٥) سورة الحديد، من الآية: ٢٧.

(٦) سورة النساء، من الآية: ١٦٠.

فكثير من التشريعات التي تحتاجها البشرية مفقود في اليهودية، وكذلك الأمر في النصرانية، لأنها لا تملك تشريعاً بل هي معتمدة على ما في اليهودية ؛ لذلك نرى النصارى قد ضموا إلى أناجيلهم كتب اليهود وسموا الجميع الكتاب المقدس. ولو كانت عندهم تشريعات ما فعلوا ذلك.

أما الإسلام فهو وحده الدين الغني بكل التشريعات المتكاملة والصالحة لكل زمان ومكان. «وكان من مظاهر شمول الشريعة الإسلامية إحاطتها بجميع مجالات الإنسان ومراحل حياته، فلم تترك جانباً إلا بحثته وأبانت فيه حكماً وكذلك تحدثت في جميع المجالات الثقافية والفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية الدينية والدنيوية، كل ذلك شملته الشريعة بآدابها وتوجيهاتها»(١)

وصدق من قال: ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.(٢)

د- وجود نظام أخلاقي متكامل: وهذا النظام مهم جداً على طريق العالمية ؛ لأنه سيحفظ للإنسان كرامته في شكل مهذب يتلاءم مع تكريم رب الإنسان للإنسان ويرتفع إلى المثل الأعلى في ظل مجتمع فاضل كريم، فلا نجد في ظل هذا النظام غشاً ولا خداعاً ولا كذباً ولا ظلماً وإنما حب وتراحم وسلام وتعاون وبر ونجدة وتكافل، وهذا الأمر بتمامه موجود ومتكامل في الإسلام أكثر من غيره.

فالإسلام يطالب اتباعه ويلزمهم بضرورة التحلي بالأخلاق الفاضلة مع النفس من حيث الاعتناء بتهذيبها: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ (٣)
وفي البيت مع الزوجة: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

---

(١) خصائص الدعوة الإسلامية ص٢٣١ - محمد أمين حسن، وللمزيد راجع قضايا معاصرة ص١٠٢ د/ حلمي عبد المنعم، وأساليب الدعوة الإسلامية ص١٧٥ د/ أحمد بن ناصر العمار.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٣ .

(٣) سورة لقمان، من الآية: ١٩

(٤) سورة النساء، من الآية: ١٩.

ومع الأقارب خارج محيط البيت والمساكين: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1]، وفي محيط المجتمع يراعي آداب احترام البيوت وعدم كشف عوراتها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[2].

وفي البيع والشراء: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ﴾[3] وفي المعاملات الاقتصادية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾[4]

وفي الأمانة والسياسة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾[5]

وكذلك يطلب الإسلام حسن التعامل حتى مع البهائم والحيوانات: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[6]

وكذلك دخل رجل الجنة في كلب إذ رآه يلهث من العطش فوق بئر فنزل فسقاه بخفه. ولذلك قال الصحابة: «يا رسول الله، وإن لنا في هذه البهائم لأجراً فقال: في كل كبد رطبة أجر».[7] إلى غير ذلك من الفضائل الأخلاقية المتكاملة والتي في ظلها تنتظم مسيرة الحياة، وهي لم توجد متكاملة إلا في هذا الدين القويم.

---

(١) سورة الإسراء، من الآية: ٢٦.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الإسراء، من الآية: ٢٥.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٢.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب السلام باب تحريم قتل الهرة، ج٤ ص١٧٦٠ رقم ٢٢٤٢.

(٧) في كل كبد رطبة أجر- أي في الإحسان إلى كل حيوان حي يسقيه، وسمي الحي ذا كبد رطبة؛ لأن الميت يجف جسمه وكبده، والحديث أخرجه مسلم، ج٤ ص١٧٦١ رقم ٢٢٤٤.

هـ- وأخيراً **وجود عقيدة واضحة وصافية**، وهذا الأمر أهم شيء في مقومات العالمية؛ ذلك لأن الناس إن وجدوا عقيدة واضحة وغير معقدة يمكنهم حينئذ الانتظام والتجمع والاستقرار في ظلها.

وهذه العقيدة لا توجد في غير الإسلام، إذ هو يدعو الناس كل الناس إلى الاعتقاد في رب واحد أحد لا هو مصور بصورة مادية(١) ولا هو مكون من أجزاء أو أقانيم ثلاثة(٢) ولا مصنوع بيد البشرية. كما في الأديان الوثنية، كما يبعدهم عن عبادة المال أو الهوى أو النظام أو المادة أو العلم كما هو مشهور في الحضارة الغربية.

إنهم باختصار يتركون عبادة الطاغوت إلى عبادة الله الواحد(٣) الذي لا شبيه له ولا مثيل. مالك لكل شيء وقادر على كل شيء ورازق لكل شيء.

هو الذي يهب الكثير ويجبر
القلب الكسير ويغفر الزلات
ويقول هل من تائب مستغفر
أو سائل أقضي له الحاجات

ما أكرمه ما أحلمه ما أعظمه !! إن كانت ذنوب العبد لها حد وغاية فإن عفوه لا حد له ولا نهاية. شرع من أنواع العبادة والطاعات ما تصفو به نفوس العباد وتطهر به الأرواح ويحقق لهم السكينة والأمن، تلك السكينة التي يتطلع إليها الناس في هذا العصر وفي كل عصر ولا يمكن تحقيقها إلا في ظل دين الإسلام وعقيدته الغراء.

---

(١) وهذا واضح في اليهودية.

(٢) كما هو في التصور المسيحي والأقنوم كلمة سريانية يطلقها السريان على كل متميز عمن سواه على شرط أن يكون مما شخص وله ظل؛ ولذلك فإنه يراد به التعين، بيد أن النصارى اتخذوه وأطلقوه على الآب و الابن والروح القدس وقالوا: هو في الحقيقة واحد بلا توحد - راجع المسيحية ص١٦٢ د/ عبد المنعم فؤاد.

(٣) للمزيد انظر: قضايا معاصرة، ص١٠٣، وأساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص١٩٤.

وبعد،

فتلك هي أهم مقومات العالمية التي لا تقتصر إلا على الإسلام أقدمها لكل مستشرق عنيد من أمثال (وليم ميور وكبناني وجولد تسيهر) وغيرهم (وجولد تسيهر) على وجه الخصوص الذي قال في كلمته سالفة الذكر «**إن محمداً لم يزود دينه بالأصول المناسبة لهذا التوسع في العالم**». **قائلاً له**: هذه هي المقومات والأصول، فإن كانت لديكم مقومات وأصول شبيهة لها فاعرضوها، على العالم كما نعرضها، وقدموها للإنسانية كما نقدمها بدون استحياء أو خجل، فنحن نعلم أننا على حق، وأن نبينا ﷺ أتى بالحق وعليه الحق نزل، **أما أنت فيهودي الديانة ولم نسمع في التاريخ أن اليهودية جاءت لكل العالمين بل هي قاصرة على بني إسرائيل**، فحسب وإذا كان اليهود الآن موجودين في كل البلاد فهؤلاء ليسوا من أبناء إسرائيل (يعقوب) عليه السلام، بل هم بمثابة قطاع طرق لفظتهم المجتمعات وحبستهم في بيوت أو حارات فأصبح لهم في كل بلد حارة، والآن يتجمعون في فلسطين بدون وجه حق، ولكننا في أمة الإسلام نعلم أن هذا التجمع هو بداية النهاية قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾[1] وستكون النهاية على أيدي المسلمين إن شاء الله، ويشهد بذلك الحجر وكل آت قريب.

النصرانية ليست ديانة عالمية

كما أقول لكل مستشرق نصراني: إن نصرانيتك لا تصلح أن تكون ديانة عالمية لأنها:

أولاً: لا تحمل هذه المقومات - سالفة الذكر -

ثانياً: لم يوجد أي خبر صحيح في كتبكم يفيد بأن المسيح جاء للعالم أجمع بل حدد مهمته قائلاً كما جاء في إنجيل متى: «لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة».[2]

(١) سورة الإسراء، من الآية: ١٠٤.

(٢) إنجيل متى إصحاح ١٥/ فقرة ٢٤.

وقال لتلاميذه في نفس الإصحاح: «إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة السامرين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرىَ إلى خراف بني إسرائيل الضالة»[1] هذه هي دائرة التبشير بالنصرانية التي حددها المسيح وبين مناطقها.

فإن قال قائل: هناك نص في آخر إنجيل مرقس يقول فيه المسيح لتلاميذه «اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها»[2].

فإني أقول:

إن هذا النص مكذوب على المسيح -عليه السلام- ومزور وأكبر دليل على كذبه ما نقلناه عن المسيح الآن من إنجيل متى بالإضافة إلى أن الباحثين من المسيحيين وغيرهم أثبتوا تزوير هذا النص. وإقحامه في إنجيل مرقس عن طريق كاتب مجهول غير مرقس صاحب الإنجيل. وقُبل هذا النص كجزء من الإنجيل حوالي عام ١٨٠م علماً بأن مرقس قد انتهى من كتابة إنجيله بين عامي ٦٥ : ٧٥ من الميلاد.[3]

ولذلك عومل هذا النص من الإنجيل في النسخة القياسية المراجعة للكتاب المقدس وهي المترجمة بالإنجليزية وتم نشرها عام ١٩٥٢م وتعرف بنسخة الملك جيمس وأيضاً في الترجمة الفرنسية الحديثة للكتاب المقدس. عومل على أنه نص غير شرعي ومزور وتم وضعه في الهامش، وبذلك شهد أكثر من اثنين وثلاثين عالماً نصرانياً من مختلف الطوائف المسيحية، فهل يليق بعد ذلك قبول القول بأن هذا النص يدل على عالمية النصرانية؟!

وإن فرضنا جدلاً أنه يدل على العالمية فهل النصرانية تحمل أناجيلها تشريعاً مستقلاً عن اليهودية يتناسب مع كل البشر؟

---

(١) إنجيل متى إصحاح ١/٥ : ٦.

(٢) إنجيل مرقس إصحاح ١٥/١٦ وذكره متى إصحاح ١٩/٢٨ ولوقا إصحاح ٤١/٢٤.

(٣) راجع حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص١١٦ -١١٨ وللمزيد راجع اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص٤٠-٤١ م/ أحمد عبد الوهاب.

وهل التشريع اليهودي المقتضب -كما أشرنا من قبل- يمكنه تسيير حركة الخلائق في العالم وانسجامهم مع الحياة؟

إنني أترك الإجابة لمستشرق عاقل يسمى (فيلويز)[1] كان نصرانياً فهداه الله للإسلام. أتركه لكي يلقي إجابته على أسماع المستشرقين الحاقدين في كل أنحاء العالم على الإسلام وعالمية رسالته يقول فيلويز:

«الإسلام - وحده - يستطيع أن يحقق الانسجام التام مع الحياة في هذا العالم. فهو دين سهل لا التواء فيه ولا تعقيد ومباشر، مجرد من كافة الافتراضات التي لا سبيل إلى الإيمان بها. وأشكال العبادة في الإسلام تعكس كل صدق وإخلاص وأمانة».

ثم يقول: «... إن الإسلام هو دين العلم.. وقد أصبحت مسلماً لأن هذا الدين هو الدين الحق الوحيد نظرياً وعملياً، ومن كافة الوجوه، وسرعان ما تتبدد الشكوك والشبهات دفعة واحدة عندما تجيش نفسي بشعور قوي يتملكها وهو أن الإسلام هو الصراط المستقيم».[2]

وتصدق على هذا القول المستشرقة «جميلة قرار»[3] وقد هديت هي أيضاً إلى الإسلام وتقول:

«...أعجبني الإسلام أن يكون ديناً عالمياً فقد وجدته ديناً يوحد جميع الأديان والألوان في ظل نظام ديني فريد فهناك -مساواة- وأخوة حقيقية بين المسلمين لا ولم

(١) ح . ف فيلويز ضابط بحرية بريطاني نشأ في بيئة نصرانية وشارك في الحربين العالميتين الأولى والثانية، قرأ عدداً من المؤلفات الإسلامية وأعلن إسلامه. راجع قالوا عن الإسلام ص٢٠٩.

(٢) رجال ونساء أسلموا، ج٦ ص٥٤-٦٢ ـ وقالوا عن الإسلام، ص٢٠٩.

(٣) ولدت عام ١٩٤٩ في النمسا لأبوين ملحدين وحاولت أن تكون مسيحية إلا أن النصرانية لم تستطع إقناعها فاتجهت إلى الإسلام وقرأت عنه ثم اتخذته ديناً وهي في العشرين من عمرها - للمزيد راجع قالوا عن الإسلام ص٢١٠.

يعرف مثلها المجتمع الغربي على الإطلاق، كما لا تستطيع العبارات الجوفاء كالشيوعية مثلاً أن تقدم مثلها أبداً»[1].

ونختم حديثنا للمستشرقين جميعاً بما قاله (باتيل)[2] المستشرق الهندي عن سر قوة الإسلام وسريانه في جميع أنحاء العالم أكثر من أي دين آخر.

فيقول:

«لقد أيقنت أن الإسلام هو المنهج الصحيح الذي يحقق غاية الوجود الإنساني، فهو يمتاز بالبساطة والواقعية والاستعلاء والحساسية والشمول ويحترم كافة الأديان ويوقر جميع الأنبياء...»

ثم ينتهي إلى القول:

بأن قوة الإسلام في ذاته، في خصائصه الروحية وشموله، وهذا هو سر غلبته في النهاية[3] -على الجميع - وصدق من قال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[4].

المبحث الثالث

افتراءات المستشرقين على المعجزات النبوية والرد عليها:

لما كانت المعجزة مأخوذة لغوياً: من العجز المقابل للقدرة[5] واصطلاحاً: هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهره الله على يد مدعي النبوة وفق مراده تصديقاً له في دعواه مع عجز المكلفين عن المعارضة.[6]

---

(١) نفسه ص٢١٠.

(٢) اسمه بشير أحمد عبد الرحمن باتيل، ولد في الهند عام ١٩٢٩م ولم يجد في دين آبائه ما يقنعه فانقلب إلى الشيوعية فلم تلبّ مطالبه فنقب بين الأديان وأخيراً وجد مستقره في الإسلام، ويعمل الآن أستاذاً للغة الإنجليزية في دار السلام عاصمة تنزانيا - راجع قالوا عن الإسلام ص١٥٧.

(٣) رجال ونساء أسلموا ج١ ص١٩، ٢١ وقالوا عن الإسلام ص١٥٧.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٩.

(٥) لسان العرب لابن منظور، ج٥ ص٣٦٩ - ٣٧٠ دار صادر بيروت.

(٦) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج٢ ص١١٦ وفي نور العقيدة د/ المسير ص٥١ .

فهي إذن من مؤيدات الرسالة أو إن صح التعبير فهي أشبه بالبطاقة أو الجواز الذي يحمله الشخص لإثبات هويته ووظيفته.

ولما كان نبينا ﷺ قد أُيد بحشد هائل من المعجزات وخوارق العادات الحسية بجوار المعجزات المعنوية الخالدة (القرآن الكريم) فإن المستشرقين كما هو دأبهم أقدموا على الافتراءات والتشكيك في هذه الخوارق. وزعموا أن النبي ﷺ اعترف بأنه لا يستطيع أن يأتي بآية كما شككوا في أبرز الآيات والمعجزات خاصة تلك التي تحدث عنها القرآن الكريم مثل الإسراء والمعراج وانشقاق القمر إلخ.

١- وها هو أحدهم والذي يدعى نيكولسون يزعم أن اعتراف النبي ﷺ بعدم قدرته على عمل المعجزات - في بعض آيات القرآن- لم يمنع اتباعه من اختراعها بعد موته. فقد قيل أنه جعل الكافرين يرون القمر منفطراً: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[١] ثم ينتهي إلى القول بأن هذه علامة من علامات يوم القيامة.

٢-أما الإسراء والمعراج عنده رؤيا منامية لا واقع حقيقي.[٢]

٣-ويميل إلى تأييده في ذلك المستشرق (شريك Schrieke) الذي كتب مقالة في دائرة المعارف الإسلامية بدأها بالتشكيك في ذكر موضع آية الإسراء في مطلع سورة الإسراء قائلاً: لسنا نعرف إذا كانت هذه الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ هي في الأصل من سورة الإسراء أم لا؟[٣]

ثم يوهم القارئ بأن رحلة الإسراء لم تكن حقيقية وإنما منامية، ويدعي أن قصتها المتضمنة صلاة النبي بالأنبياء في بيت المقدس قد نسجت على منوال قصة ظهور

(١) سورة القمر، الآية: ١.

(٢) نقلاً عن الجبيلي محمد (المستشرق نيكولسون) ومفترياته على الإسلام، ص٢٨٣، ٢٨٩ Nicholson.N.R Aliterary History Of The Arabs P. Ibb. 169.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ج٢ ص١٠٦.

عيسى على جبل تابور التي ذكرتها الأناجيل،[1] ومن أدلة التشكيك على عدم صحة وقوعها عنده أنه قد ورد فيها على حسب زعمه أن النبي ﷺ خاطب ربه في السماء سبعين ألف مرة مع أن الرحلة قد تمت على جناح السرعة بحيث أنه لما رجع كان فراشه ما زال دافئاً[2] أي أن النبي ﷺ غير صادق في إخباره عن المعراج.

٤-ثم يأتي بعد ذلك المستشرق (كاراد فو Carrade Vaux . B) ويتحدث عن البراق الذي امتطاه النبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج ويقول: (البراق) أطلق هذا الاسم الذي يتصل باسم البرق في الأساطير للدلالة على حيوان خرافي امتطاه النبي ليلة المعراج... وقد وشيت هذه الأسطورة كثيراً وأصبحت باعثاً من البواعث المحبوبة التي توحي إلى الشعراء وأهل الفن... ثم يذكر صوراً فارسية عجيبة الشكل..لكي يؤكد أن البراق أسطورة مخترعة[3] الخ.

نقد هذه الافتراءات:

أولاً: ثبوت المعجزات لنبينا ﷺ:

إن ما قاله (نيكولسون) من أن النبي ﷺ اعترف بعدم قدرته على الإتيان بالمعجزات في بعض آيات القرآن قول لا ينفي أن النبي لم يأت بمعجزة، إذ المعجزة للنبي أمارة على الحق وعلامة على صدقه، ولقد نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله «أن الإمام النووي ذكر أن معجزات النبي ﷺ تزيد على ألف ومائتين»[4]

وقال البيهقي في المدخل: بلغت ألفاً.[5]

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢ ص١٠٨.

(٢) المصدر السابق ص١١٠.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، ج٣ ص٤٨٥.

(٤) مقدمة النووي على شرح صحيح مسلم، ج١/٢.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي، ج١/١٠.

وقال الزاهدي من الحنفية: ظهر على يديه ألف معجزة، وقيل: ثلاثة آلاف[1].

وقال بعض العلماء: ومعجزات نبينا ﷺ كثيرة لا تنحصر، وفي كلام بعضهم أنه ﷺ أعطي ثلاثة آلاف معجزة يعني غير القرآن، فإن فيه ستين أو سبعين ألف معجزة.[2] فلا يصح بعد هذه الأقوال أن يأتي واحد غريب عن ديننا معروف بنيته تجاهنا ليخبر عن نبينا ﷺ بأنه لم يأت بمعجزة، وإن كان فهم أن النبي ﷺ اعترف بذلك في بعض الآيات مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾.[3] فهذا فهم الأغبياء.

أ ـ لأن معنى الآية أن الكفار استعجلوا النبي ﷺ بأن يأتيهم بالعذاب فتلا عليهم: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ أي من العذاب، فهو ينزل عليكم في الوقت الذي أراد الله إنزاله، إن شاء عجل وإن شاء أخر وأجل لما له في ذلك من الحكمة. ولا قدرة لي على تقديمه أو تأخيره[4] وعلى ذلك فالآية لا تدل على أن محمداً ﷺ لا يستطيع أن يأتي بمعجزة.

ب ـ وإن فهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[5].

فإن منع هذه الآيات كان رحمة بهم؛ لأنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وبعد ذلك يدخلون في الدين، فنزل جبريل مخبراً نبي الله ﷺ بأن هذا الطلب ما هو إلا تعنتاً وكفراً وعناداً وليس على سبيل الهدى والاسترشاد، وإن شيءت يا محمد أصبح الصفا ذهباً فإن لم يصدقوا بعد ذلك ليعذبنهم الله وإلا فاتركهم حتى يتوب تائبهم فقال ﷺ بل يتوب تائبهم.

(١) فتح الباري لابن حجر، ٥٨٣/٦، وأساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص١٠٧.
(٢) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ص١٠٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.
(٤) راجع تفسير الطبري جامع البيان ٣٩٨/١١ وتفسير ابن كثير ١٤٤/٢.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.

إذن فالآية تخبر أن طلب الكفار كان على جهة التعجيز؛[1] لذلك منعوا من تحقيق طلبهم رحمة بهم منه ﷺ.

ج- وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾.[2]

أي نزه ربك ومجده وأعلم أن هؤلاء سؤالهم مردود عليهم؛ لأن قصدهم ليس طلب الدليل بل تعنتاً وعناداً، والله أعطى نبيه من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله[3].

هكذا قال المفسرون عندنا، ولم يقل واحد أن في الآية عدم قدرة على الإتيان بالمعجزات كما زعم نيكولسون. وليفهم هذا الرجل أنه ليس بلازم على الأنبياء الإتيان بالآيات والمعجزات كلما اقترح الكافرون، ألم يقرأ نيكولسون ومن سار على نهجه أن الفريسين في إنجيل مرقس «طلبوا من المسيح أن يأتيهم بآية من السماء لكي يجربوه فتنهد بروحه وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية»[4].

وكذلك في إنجيل لوقا جاء ما نصه: «وأما هيرودس فلما رأى يسوع -المسيح- فرح فرحاً شديداً؛ لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى أية تُصنع منه وسأله بكلام كثير فلم يجبه»[5].

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ١٧٢/٢ بتصرف، والطبري جامع البيان ١٢/ ٤٠، ٤٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠-٩٣.

(٣) راجع مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ج١ ص٥٢٥، ٥٢٦ بتصرف.

(٤) إنجيل مرقس إصحاح ١١/٨.

(٥) إنجيل لوقا ٨/٢٣.

فهل يعني ذلك أن المسيح عليه السلام عاجز عن أن يأتي بآية؟ إن نيكولسون والنصارى معه لا يقبلون ذلك، لأن المسيح عند النصارى إله، .تعالى الله عما يقولون: والإله لا يوصف بالعجز فماذا يقول نيكولسون عن المسيح حينئذ؟

بل ماذا يقول يوحنا الذي ذكر أنه كان يُعمِّد في الأردن ولما ذهب المسيح إلى هناك فراراً من اليهود «أتى إليه كثيرون وقالوا إن يوحنا لم يفعل آية واحدة»[1] ويوحنا باتفاق أهل الإنجيل نبي ولم يقدح في نبوته عدم إتيانه بالمعجزات.

فكيف يقدح حينئذ في نبينا ﷺ ومعجزاته ثابتة بالقطع ولا شك في وقوعها منه ﷺ على مرأى ومسمع من أهل زمانه عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[2] يعني أنهم إذا رأوا معجزة عدوها من باب السحر البين.[3]

وقال تبارك اسمه: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[4] يعني بعدما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات والتي تثبت بمثلها النبوة[5]. وعلى ذلك فالقرآن الكريم ليس فيه ما يثبت عدم تأييد النبي ﷺ بالمعجزات -كما زعم نيكولسون-.

ثانياً: ثبوت الانشقاق للقمر في عهده ﷺ:

أما الزعم بأن القمر لم ينشق في عهد النبي ﷺ بل اخترع الصحابة ذلك بعد وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام وأن المراد بقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾

(١) إنجيل يوحنا، ١٠/٣٩: ٤١.
(٢) سورة الصافات، الآية: ١٤، ١٥.
(٣) انظر مختصر تفسير البغوي، ج٢ ص٧٨٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
(٥) الكشاف للزمخشري، ج١ ص٣٨١.

بأن هذه علامة ستكون يوم القيامة فحسب، فهو زعم خاطئ لما قاله ابن كثير: من أن الانشقاق قد كان في زمان رسول الله ﷺ، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة.. وهذا أمر متفق عليه بين العلماء

إن اشتقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات[1] وقد شاهد الناس هذه المعجزة عياناً في أنحاء الجزيرة العربية وخارجها حتى أنه أرخ بذلك في بعض بلاد الهند وبني بناء في تلك الليلة.[2]

وتأكيداً لما ذكره ابن كثير نذهب إلى كتب الصحاح فنرى أنس بن مالك رضى الله عنه يخبر: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما».[3]

وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه. فقال لنا رسول الله ﷺ اشهدوا».[4]

وروي عن ابن عمر عن النبي ﷺ مثل ذلك[5] وأيضاً أخبر ابن عباس -رضي الله عنهما- أن القمر انشق على زمان رسول الله ﷺ.[6]

وجاء في كتاب تفسير القرآن عند الترمذي عن محمد بن جبير عن أبيه قال: انشق القمر على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا -

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٦٦.

(٢) البداية والنهاية، ج٣ ص١١٨ - ١٢٠ بتصرف.

(٣) صحيح البخاري، ج٧ ص١٨٣ حديث رقم ٣٨٦٨ في كتاب مناقب الأنصار باب انشقاق القمر. وصحيح مسلم، ج٤ ص٢١٥٩ رقم ٢٨٠٢ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر.

(٤) صحيح مسلم، ج٤ ص٢١٥٨ حديث رقم ٢٨٠٠.

(٥) نفسه حديث رقم ٢٨٠١.

(٦) نفسه حديث رقم ٢٨٠٣.

أي الكفار- سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلّهُم[1].

وعلى ضوء هذه الأخبار الصحيحة قال ابن تيمية رحمه الله: ومن آيات رسول الله ﷺ الدالة على نبوته ما هو في العالم العلوي، كانشقاق القمر وبيّن أن الله فعله وأخبر به لحكمتين عظميتين:

أ- كونه من آيات النبوة إجابة لسؤال المشركين أن يروا آية فأراهم انشقاق القمر.

ب- أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السموات ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ فذكر انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب؛ لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم، ولأنه الجسم المستنير الذي يتضح الانشقاق فيه لكل من يراه ظهوراً لا يتمارى فيه، وكان النبي ﷺ يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار مثل صلاة الجمعة والعيدين ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار بما فيها، وكل الناس يقرّ بذلك ولا ينكره، فعلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة.[2]

فإن جاء بعض من المستشرقين الآن ليفتري على ثبوت هذه الآية بالكذب فهذا دليل على عمى قلبه وزيغان عقله خاصة إذا علمنا أن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره متى شاء وكيف شاء.

وصحابة رسول الله ﷺ ما اخترعوا قصة الانشقاق بعد النبي ﷺ بل نقلوا إلينا بكل أمانة ما هو ثابت حقاً ومعلوم عند الناس، ولا ينكر ذلك كما يقول الزجاج إلا كل مبتدع أو مخالف للملة[3]. -كما هو حال الحاقدين من المستشرقين والكافرين على مر العصور-

---

(١) سنن الترمذي، ج٥ ص٣٩٨ باب ٥٤.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسح، ج٤ ص١٦٢ ابن تيمية.

(٣) انظر: هامش صحيح مسلم، ج٤ ص٢١٥٨ تعليق محمد فؤاد عبد الباقي.

ثالثاً: معجزة الإسراء والمعراج حقيقة لا خيال:

الإسراء هو السير ليلاً

والمعراج هو سلم الصعود إلى السماء

والمقصود هو انتقال النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ثم الصعود إلى السموات العلا ثم سدرة المنتهى ثم إلى حيث شاء الله كل ذلك في جزء يسير من الليل بوسيلة البراق.(١)

ولئن ظن المستشرقون أن الإسراء خيال لا حقيقة أو رؤيا منامية لا يقظة فإننا على العكس من ذلك تماماً، فنحن نرى أن هذه المعجزة بكاملها حقيقة لا خيال ويقظة لا منام، ومن صدق بها فهو مؤمن حقاً، ومن كذب بها فقد جانب الصواب وبعد عن جماعة المؤمنين خاصة في الإسراء الذي ثبت بنص واضح بيّن في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ (٢)

فإن جاء مستشرق مثل (شريك) وشكك في موقع الآية في كتاب الله، وقال لا نعلم أهي من سورة الإسراء أم لا، فهذا أمر يرجع إلى جهله هو وقلة معارفه، أما جماعة المسلمين فكل واحد يعلم أن الآية في صدر سورة الإسراء وأن مكانها الذي وضعت فيه مكاناً توقيفياً، بمعنى أن الرسول ﷺ هو الذي أشار إلى وضعها في موضعها الذي هي فيه الآن، وأن الصحابة الإجلاء علموا ذلك ونقلوه إلينا بالتواتر منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فمن يأتي ليشكك في ثبوتها وموقعها فهو جاهل وجهول ولا يصح أن يلزم أحداً بجهله المركب.

---

(١) انظر في: نور العقيدة ص١١٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١.

أما المعراج فقد أشارت إليه سورة النجم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾[1].

فمطلع سورة الإسراء يقول: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ وصدر سورة النجم يقول: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾. وعلى ذلك فالحكمة من الإسراء والمعراج متمثلة:

في رؤية الآيات الكونية أرضية وسماوية تسلية للرسول ﷺ وتخفيفاً عنه من بعض ما نزل به من مضايقات بعض المشركين له ﷺ، وقد تحققت الحكمة ووقعت المعجزة وصدق بوقوعها كل مؤمن صادق الإيمان، وبعد بسببها كل منافق ادعى الإسلام «لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقضية النبوة وتصديق الرسول ﷺ، ومن ثمّ كان أبو بكر واضحاً في ذلك تماماً حينما حكى أمامه المشركون أن صاحبه ﷺ يقول إنه اسري به الليلة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء فقال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق؛ قالوا: أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة ومن يومها سمى صديقاً[2].

ليس كل عجيب ينكر:

وحقاً فإن أبا بكر كان صادقاً، فأمر الإسراء والمعراج بالفعل أمر عجيب ومثير للدهشة عند المشركين قديماً وعند المستشرقين حديثاً. ولكن العجب والدهشة شيء والإنكار شيء آخر فإن كان هؤلاء وأولئك أنكروا كما هو واضح فليس كل عجيب منكر ولا كل مدهش غير واقع.

---

(١) سورة النجم، الآيات: ١٣-١٨.

(٢) في نور العقيدة ص١١٣، ١١٤.

فالمعجزات جميعاً مدهشة ومثيرة ولكنها واقعة وثابتة، وغرائب المخترعات كذلك تثير تساؤلات لدى العامة والخاصة ولكن نصدق بها ونحس بها ونلمس آثارها.[1] ولا يستطيع أحد أن ينكرها. فلماذا يساير المستشرقون حديثاً الكافرين قديماً وهم المطلعون والقارئون ولغرائب المخترعات يشاهدون ولا ينكرون اللهّم إلا إذا كان الأمر مبيتاً بليل؟

يقظة لا مناماً:

وإذا كان (نيكولسون) ومعه (شريك) إمعاناً في إنكار الوقوع حقيقة قد ذهبا إلى أن المعجزة ما هي إلا بمثابة رؤيا منامية فقط أي أنها أضغاث أحلام أو على حد تعبير (شريك) قصتها قد نسجت على منوال قصة ظهور عيسى على جبل تابور وأنه قد ورد فيها أن النبي قد خاطب ربه سبعين ألف مرة مع أنها قد تمت على جناح السرعة.. إلخ.

فإننا نقول:

إن هذا الافتراء لا يمكن أن ينال من ثبوت المعجزات، فقد وردت كما -أشرت- في ثبوتها آيات قرآنية وجاءت أحاديث نبوية صحيحة تؤكد صحتها، وأنها كانت لرسول الله ﷺ بالجسد والروح يقظة لا مناماً.

والعقل يقبل ذلك ولا ينكره، فلو كان مناماً لما كان له كبير اعتبار، فإن في الرؤى عجائب وعجائب، ولما بادرت قريش إلى التكذيب فإن كل إنسان له من الرؤيا ما يحمله على التصديق بمثل ذلك.

وإن التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ في آية الإسراء له دلالته في أن الإسراء كان بالروح والجسد وفي اليقظة، فلفظة العبد تطلق على مجموع الجسد والروح، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾[2].

---

(١) المصدر السابق ص١١٤.

(٢) سورة العلق، الآية: ٩-١٠.

وقوله جل شأنه: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾[1]، ولا شك أن المراد بالعبد في الموضعين مجموع الروح والجسد.

الصعود إلى السماء:

ثم صعد الجسد مع الروح إلى السماء ليرى النبي ﷺ بقية الآيات وليتلقى أمر التكليف بأفضل شعيرة في الإسلام وهي الصلاة، وتمت المخاطبة بين الله عز وجل ونبيه ثم عاد في نفس الليلة إلى فراشه.

ولئن تعجب (شريك) من قصر الزمن في هذه الرحلة وادعى أن النبي ﷺ خاطب ربه سبعين ألف مرة فإن هذا الرقم لم نسمعه إلا من شريك، ولم تقل به كتب السنن، بل هو من اختراعاته وافتراءاته الكثيرة.

أما الزمن فيجب ألا يقاس بمقاييسنا، ونحن نعلم أن الله عز وجل هو الذي دعا نبيه إلى الرحلة[2]، والله سبحانه وهو الفاعل لا يحده زمان ولا مكان؛ لأنه خالق الزمان والمكان. والمحمول في الرحلة وهو النبي الكريم ﷺ لم ينسب القيام بالرحلة إلى نفسه بل إلى الله عز وجل فتلا على الناس: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ وتلا عليهم ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ فهو إذن الذي أسري به ولم يَسرِ هو بنفسه وهو الذي أريَ ولم ير بنفسه.

إذن فالأمر خارج عن إرادته وقوته، وطالما المسألة كذلك ففاعلها لا يصح أن نقيس فعله بأفعالنا ولا الزمان الذي استغرقت فيه الرحلة بزماننا.

فلو حكى أمام شخص مثلاً أن هناك طفلاً رضيعاً لايتجاوز ثلاثة أشهر قد صعد بنفسه فوق العمارة المكونة من ثلاثة طوابق فإن هذه الحكاية ستصيب الشخص السامع

---

(١) سورة الجن، الآية: ١٩.

(٢) معجزة القرآن ص٢٥٢ الشيخ الشعراوي.

بالدهشة والاستغراب، وإن أنكر فهو محق؛ لأن هذا الصعود فوق قدرة الرضيع، لكن إن قيل له: إن والده قد أخذه وصعد به إلى الطابق الأعلى فإنه حينئذ سيتراجع عن إنكاره واستغرابه؛ لأن السامع يعلم مدى قدرة الأب على ذلك.

كذلك لو قيل لنا: إن الله تعالى هو الذي أسرى بمحمد وعرج به إلى السماء يقظة وبروحه وجسده يجب ألا يستغرب هذا ولا ينكر كما أنكر المستشرق شريك ومن سار على نهجه لأن قدرة الله عز وجل فوق كل التوقعات.

النبي ينطق بالدليل:

ولقد أثبت النبي ﷺ بالدليل صحة ذهابه إلى بيت المقدس لكي يصدقوا بعد ذلك بعروجه جسداً وروحاً إلى السماء وتقبل ما فرض عليه.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا انظر إليه»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني من مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها - أي لم اضبطها لانشغالي بأهم منها- فكربت كُربة ما كُربت مثله قط[2] قال: فرفعه الله إليّ انظر إليه. ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به...[3]

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب حديث الإسراء، ج٧ /١٩٦ رقم ٣٨٨٦، ومسلم في صحيحه، ج١ ص١٥٦ رقم ١٧٠ كتاب الإيمان.

(٢) الكُربة الهم الذي يأخذ بالنفس.

(٣) صحيح مسلم، ج١ ص١٥٦، ١٥٧

وغني عن البيان أن كفار قريش كانوا يعلمون جيداً أن النبي ﷺ لم ير بيت المقدس في حياته ولم يقرأ عنه، لأنه أمي بعلم الجميع ومع ذلك يصف لهم بيت المقدس قطعة قطعة وسارية سارية، فكان ذلك دليلاً على صدقه وعدم كذبه.

وقد حكى القرآن الكريم عن عجائب تشبه الإسراء والمعراج وإن لم تقاربه فالرياح سخرت لسليمان عليه السلام تحمله إلى آفاق بعيدة عبر عنها القرآن بقوله: ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾[1].

وأخبر أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر، وسواء قلنا إنه سليمان أو عبد صالح أو ملك مقرب.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾[2]

ولقد حضر العرش واستقر عند سليمان ولا زمن فلماذا التكذيب برحلة رسول الله ﷺ وإخضاعها للزمن مع العلم بأن الذي أمر بها -كما أشرت آنفا- هو خالق الإنسان والمكان والزمن جل في علاه.

أما البراق فليس أسطورة:

بل هو الوسيلة التي حملت النبي ﷺ ليلة الإسراء إلى بيت المقدس ومنه إلى السموات العلا، وليس هو خرافة أو أسطورة كما زعم المستشرقون -آنفاً- ومنهم (كارادا فو) بل هو حقيقة ثابتة، وقد وصف بأنه دابة بيضاء براقة لها لمعان[3] دون

(١) سورة سبأ، الآية: ١٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ج٣ ص٢٦.

البغل وفوق الحمار يضع خطوه عند أقصى طرفه، وقد نطقت بهذا الوصف أحاديث لا شك في صحتها عند أهل العلم بالحديث بل هي في جملتها متواترة وقطعية الثبوت.(١)

وعلى ذلك فقد كذب (كارادافو) حينما زعم أن هذا الوصف من أوصاف المفسرين، وبعد ذلك أخذ يخرج بألفاظ غير لائقة فيما يعتقده المسلمون تجاه هذه المعجزة. وقد رد الأستاذ أحمد شاكر في تعليقه على أقوال هذا الكاتب في دائرة المعارف قائلاً:

وقد كان لكاتب المقال مندوحة أن يتحاشى الألفاظ الجافة في تعبيره، إذ يزعم أنه -أي البراق- (في الأساطير للدلالة على أنه حيوان خرافي) وليس في الأساطير ما يثبت عند علماء المسلمين بالتواتر الذي لا شك في صحته واليقين به، وهذا البراق.. من أمور الغيب التي أخبر بها النبي ﷺ بما وراء هذه المادة التي في متناول الحس البشري، ثم يورد أمثلة بشرية ممكنة في علم الفلك لم تكن في علم الإنسان من قبل.(٢)

وفي النهاية أقول: إن هذه المعجزة بما تضمنته من أخبار صادقة هي بمثابة نموذج لجحود المستشرقين لرسالة الرسول ﷺ ونبوته فهم يستكثرون على الرسول ﷺ أن تقع منه أمثال هذه المعجزة والخوارق ويزعمون أنها وغيرها أباطيل، وكل ما يتعلق بها من الأساطير بينما هم في المقابل يصدقون بخوارق الأنبياء الآخرين ومعجزاتهم كموسى وعيسى عليهما السلام.

وغني عن البيان أن النبي ﷺ له كثير من المعجزات الحسية بجوار معجزة الإسراء مثل: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ وحنين الجذع وكلام الضب وتكثير القليل من الطعام إلخ ومع ذلك فإن اعتماده الأكبر كان على أكبر المعجزات وأبقاها إلى يوم الدين -وهو القرآن الكريم. بينما لم يوجد عند الأنبياء السابقين مثل هذه المعجزة الباقية بل كل ما كان كان وانتهى.

---

(١) راجع صحيح مسلم، ج١ ص١٤٥ كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم١٦٢، ١٦٤ ص ١٥٠ وصحيح البخاري باب المعراج، ج٧ ص٢٠١، ٢٠٢

(٢) انظر دائرة المعارف، ج٣ ص٤٥٨ مادة براق والرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ص١١٧ نذير حمدان.

ولولا أن الرسول ﷺ أخبرنا بما كان عندهم ما صدقنا أهل الكتاب عن شيء لثبوت تحريفهم وكثرة أكاذيبهم.

المبحث الرابع

التحامل الاستشراقي على شخص صاحب الرسالة

لم يكتف المستشرقون المتعصبون بما سبق ذكره من افتراءات حول ثبوت الرسالة والوحي والكتاب والمعجزة في الإسلام، بل طفقوا بالتحامل والتطاول وإيراد الشبهات على شخص صاحب الرسالة ﷺ على اعتبار أن كل شبهة ترد على شخص الرسول عليه الصلاة والسلام هي شبهة على رسالته التي حملها ودينه الذي جاء به للعالمين، كما أن إثارة هذه الشبهات جزء من مخطط كبير عندهم يهدف إلى عزل الإسلام ورسوله عن حياة المسلمين بخاصة والناس بعامة؛ ليحل بدلاً عن ذلك دين الغرب وإباحيته وشخصياته ذات الشهرة بينهم.

وبإيجاز سنذكر بعضاً من هذه الشبهات والافتراءات التي أثارها هؤلاء على شخص هذا النبي الكريم ﷺ ونتتبعها بالنقد والرد ـ

وهاك أبرز ما أثاروه:

١-التشكيك في اسمه ﷺ والرد على ذلك

زعم عدد من المستشرقين أن نبينا محمداً ﷺ لم يكن اسمه محمداً بل كانت له أسماء أخرى ومن هؤلاء:

أ- (دور منغم) القائل: «إننا نذكر أن الاسم الأصلي للنبي هو (قثم) ثم تمَّ إجراء تعديل على هذا الاسم بعد ولادته بوقت قصير أو حين بعثته إلى (محمد) الذي هو لقب نبوي ليس أكثر.[1]

(١) نقلاً عن كتاب: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ص ١٠٥.

ب-وأيضاً (هوار) في كتابه تاريخ العرب إذ نراه يسلم بذلك ويزعم بأن محمداً لم يدع محمداً قط، وأن حقيقة اسمه ستظل لغزاً من الألغاز التي لا حل لها، والحجة عنده «أن كلمة محمد نعت ذو معنى خاص لذلك فهو بالتأكيد لقب ليس إلا»[1]

ج- ويقول (بودلي)[2] في ترجمته لاسم محمد ﷺ والمحمدية أصبحت لفظة محمد (Namme) ثم تستعمل بمعنى أصنام، واشتقت كلمة (Mahomerie) ثم كلمة (Mumery) بمعنى مجنون من نفس المصدر وعلى عبادة الأوثان (المحمدية Mametry)

د- ويقول (جون سلدن) معقباً: فصارت كلمة محمد والمحمدية أسماء بغيضة في حين أن الترك (يقصد المسلمين) يحرمون الأوثان في دياناتهم.[3]

الرد

وهكذا وصلت كراهية هؤلاء المستشرقين وبغضهم لرسول الله ﷺ إلى أبعد مدى لدرجة أنهم يريدون تجريده من اسمه زاعمين أنه اسم بغيض أو اسم صنم أو مجون أو قثم إلخ، وإن كان المسلمون يطلقون عليه اسم محمد فهو مجرد لقب نبوي فقط ومحمد فهو ليس هو محمد.

وهذا تخبط واضح في اسم الرسول ﷺ بدون سند ولا برهان، ولا أدري على أي كتاب اعتمد هؤلاء المتخبطون أو من أي مصدر نقلوا إلينا حقيقة ما يذكرون. فكل كتب التاريخ في أركان الأرض الأربعة لم تسطر يوماً أن محمداً ﷺ الذي جاء ليطهر الأرض من الأصنام ويبعد الخلائق عن الخلاعة والمجون قد سمى نفسه أو سماه أصحابه بصنم أو مجون أو قثم كما يزعم المفترون.

---

(١) نقلاً عن كتاب أوريا والإسلام ص١٠٣.

(٢) علامات محمد ما هي وما قيمتها، ص١٧١، نقلاً عن كتاب الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ص١٦٥.

(٣) المصدر السابق ص١٦٥، ١٦٦.

بل هو محمد رسول الله ﷺ عرفه أصحابه بذلك، وعرفته الدنيا بذلك، وعرفه أوثق كتاب وأصحه في كل كتب الدنيا بذلك وهو القرآن الكريم

أ- فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ﴾ (١)

ب- وقال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (٢)

ج- وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ (٣) وجاءت سورة في القرآن الكريم سميت باسم محمد

د- وذكره عيسى عليه السلام بأنه أحمد ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (٤) أي كثير الحمد أو أحمد الخلق إلى الله عز وجل.

هـ- وذكر في الكتاب المقدس -عند النصارى- بأنه الفارقليط أي الحماد أو الحامد أو المعز. كما جاء في إنجيل يوحنا (٥) ومعناه كثير الحمد وهو يلتقي مع معنى محمد وأحمد.

و- كذلك جاء اسم محمد ﷺ في التوراة على أنه النبي الرسول كما ذكر ذلك كعب الأحبار وأكده ابن القيم وحققه قائلاً: إن تسميته بمحمد سبقت تسميته بأحمد لأنه سمي محمداً في التوراة وسمي بأحمد في الإنجيل. (٦)

---

(١) سورة الفتح، من الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأحزاب، من الآية: ٤٠.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٤٤.

(٤) سورة الصف، من الآية: ٦.

(٥) إنجيل يوحنا إصحاح ١٤/٦ - ٣٦ وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

(٦) انظر جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ج١ ص١٤٠٥ دار الكتب العلمية بيروت، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص١١٥-١٢١، مكتبة السوادي -جدة.

ز- كما أخبر ﷺ بنفسه عن أسمائه حيث قال عليه الصلاة والسلام «إن ليّ أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد[1] -وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى من غير شك»-

وقد ردد علماء الأمة عندنا هذه الأسماء وعلقوا عليها بأقوالهم: «والذي يظهر أنه أراد أن لي خمسة أسماء أختص بها ولم يسم بها أحد قبلي، أو خمسة أسماء معظمة أو مشهورة في الأمم الماضية لا أنه أراد الحصر فيها».

وقال القاضي عياض: حمى الله هذه الأسماء أن يسمى بها أحد قبله وإنما تسمى بعض العرب محمداً قرب ميلاده لما سمعوا من الكهان والأحبار أن نبياً سيبعث في ذلك الزمان يسمى محمداً فرجوا أن يكونوا هم فسموا أبناءهم بذلك.[2]

ويهذا يتبين أمامنا أن اسم محمد ﷺ لم يكن من الأسماء البغيضة عند العرب أو عند المسلمين كما يقول (جون سلدن) بل هو من الأسماء المرجوة والمحبوبة عند الناس قديماً وحديثاً، وإن هذا الاسم هو الذي عرف به النبي ﷺ منذ ولادته وعرفته به الأديان السابقة والقرآن الكريم ومعناه واضح وبين وليس لغزاً من الألغاز كما يدعي (هوار) وغيره، فهو دال على معناه الذي هو الحمد والثناء على خالق الأرض والسماء وإجلاله وتعظيمه جل في علاه، ولم يدل على صنم أو فاحشة كما يزعم هؤلاء الجاهلون.

وكذلك اسم أحمد فهو أفعل تفضيل يدل على أن حمده ﷺ لربه أفضل من حمد الحامدين غيره فهو أحمد الحامدين[3].

---

(١) أخرجه البخاري، ج٦ ص٦٤١ حديث رقم ٣٥٣٢ باب أسماء النبي ﷺ، ومسلم، ج٤ ص١٨٢٨ رقم ٢٣٤٥ باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، والدارمي في سننه، ج٢ ص٤٠٩ رقم ٢٧٧٥ .

(٢) فتح الباري، ج٦ ص٦٤٤.

(٣) انظر فتح الباري، ج٦ ص٦٤١.

ثم إننا نذّكر المستشرقين الحاقدين بأنكم مهما شككتم في اسم محمد ﷺ فإن المسلمين له من العاشقين ؛ لأنهم يرون أن هذا الاسم بالذات له قبول خاص وذوق رفيع في دنيا الأسماء ، فإطلاقه يتناسب مع كل أطوار سن الإنسان.

فنرى الطفل الصغير يتسمى به وهو عليه لائق وجميل ، والشاب اليافع يقبله ويرتضيه ؛ لأنه يرى لحروفه جرس خاص ورنين ، والشيخ الكبير لا يرفضه ؛ لأنه يضيف لشيخوخته مهابة ووقاراً ، إذاً فهو مناسب للشخص كما قلت في كل أطوار حياته ، بينما هناك أسماء قد تكون مقبولة في طور الطفولة عند الإنسان لكنه قد يستحي من إطلاقها عليه في طوره الثاني أو الأخير ، بينما اسم محمد قد يطلق على الطفل محمد ، والشاب محمد ، والحاج محمد ، ولا غبار عليه في أي طور من الأطوار ، لأنه اسم اختاره لنبيه ﷺ رب السماء جل في علاه ونحن له من المحبين وإن كره المستشرقون.

٢- دعوى عدم أمية الرسول ﷺ والرد عليها :

جاء في دائرة المعارف الإسلامية مقال لبارية (Paret.R) يقول فيه :

أ-إن (أمي) لقب محمد في القرآن ، وهو لقب يرجع في بعض الوجوه إلى كلمة أمة[١] وهي دخيلة على العربية وليست أصيلة إذ كانت موجودة في العبرية والأرامية من قبل ومحمد أخذها واستعملها وصارت منذ ذلك الحين لفظاً إسلامياً أصيلاً[٢] ومعناها قبل الهجرة يخالف معناها بعد الهجرة ، فهي عند اليهود كانت تطلق على الوثنيين ، وإذا كان لفظ أمي معناه الذي لا يقرأ ولا يكتب فإن هناك عوامل لغوية تجعل من الصعب تقبل ذلك.ثم يختم بقوله :

وقد استدل قوم بإطلاق لفظ الأمي على محمد بأنه لا يقرأ ولا يكتب ، والحقيقة أن كلمة الأمي لا علاقة لها بهذه المسألة[٣]. ثم يؤيد ذلك المستشرق (نيكولسن)

(١) انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، ص٦٤٣ ج٢.

(٢) المصدر السابق ص٦٣٠ ، ,٦٣١.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٤٤ ، ٦٤٥ ج٢.

ويقول إن أمية الرسول ﷺ لا تعني جهه بالقراءة والكتابة بل تعني أنه لم يطلع على الكتب القديمة، ومحمد كان قارئاً كاتباً -لأنه كان تاجراً، والتاجر لابد له أن يراجع حساباته ويضبطها ولايتأتى له ذلك إلا بالقراءة والكتابة، وقد خاطبه الله تعالى باقرأ[1].

ومن هذا العرض يتبين أن المستشرقين يحاولون إثبات أن كلمة أمي ليست عربية الأصل وأنها قد أخذت عن العبرية، وكانت تطلق عند اليهود على الوثنيين لا على الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، وأن محمداً كان قارئاً وكاتباً والحجة عندهم أنه كان تاجراً والتاجر لا بد أن يكون قارئاً والله تعالى قال له اقرأ.

وللرد على هؤلاء أقول:

غني عن البيان أن هذه المزاعم لا تنتمي إلى الحق من قريب أو بعيد لما يلي:

أولاً: أن كلمة أمي ليست دخيلة على اللغة العربية بل هي مسجلة في معاجم اللغة العربية ومعروفة بأن الأمي في لغة العرب هو الذي لا يقرأ ولا يكتب نسبة إلى الأم، فهو على حالته التي ولدته بها أمه[2]، أو أن نسبته إلى أمه في عدم الكتابة؛ لأن نساء العرب لا تقرأ ولا تكتب في الغالب.[3]

فإذا كان المستشرقون قد جهلوا ذلك وظنوا أن الكلمة دخيلة على العربية وأنها لا تدل على عدم الكتابة والقراءة كما ذكر (باريه) في مقاله فهذا تقصير منه، وعدم معرفته بأصول العربية لا يؤثر في حقائق اللغة والعلم؛ لأن المعنى معروف في لغة العرب وثابت.

ثانياً: أن هذا الوصف المعروف بمعناه في لغة العرب قد نسبه القرآن الكريم حقاً وصدقاً لرسول الله محمد ﷺ في آيتين متتاليتين في سورة الأعراف الأولى تقول: ﴿ٱلَّذِينَ

(١) المستشرق نيكولسون ص٢٧١.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، ج١٢ ص٣٤ والمعجم الوسيط، ج١ ص٢٧.

(٣) جامع البيان للطبري، ج٢ ص٢٥٧، ٢٥٩.

﴿يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ والثانية تقول: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ﴾(١)

وكلمة أميٌّ سياقها في الآيتين يدل على أن المراد عدم معرفته بالقراءة والكتابة وقد وضحت ذلك سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾(٢) والسورتان تكذبان ما قاله المستشرقون من أن كلمة أميٌّ نقلها النبي ﷺ عن العبرية وأن اليهود كانوا يطلقونها على الوثنيين فقط.

ذلك لأن سورة الأعراف هي أول السور الطوال نزولاً بمكة وكذلك سورة العنكبوت، ومعلوم أن النبي ﷺ لم يكن له علاقة باليهود عندما كان بمكة فكيف يأخذ منهم وهو غير متصل، بهم ثم كيف ينقل عنهم ويكتب وكل أهل مكة يعرفون أنه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب. إن هذا لشيء عجاب؟!

ثالثاً: إن آية سورة الأعراف تشير بلا خفاء حتى وإن غالط في ذلك المستشرقون أن أهل الكتاب يعرفون جيداً صفات النبي ﷺ في كتبهم كما يعرفون أبناءهم ومن هذه الصفات أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك سيُعلم، المتعلمين وسيلقى إليه كتاب يعجز عن الإتيان بمثله أو حتى بآية منه الجن والإنس ويحفظه حفظاً ويتلوه على الأسماع، ولا يستطيع أن يكتبه، فإن كتب خلفه كاتب وردد بعد ذلك ما كتب عنه لا يخطئ في كلمة واحدة ولا حتى في حرف واحد مما تلاه، وهذا الأمر لا يستطيع أن يؤديه أبلغ البلغاء في دنيا الناس، ومع ذلك يؤديه هذا النبي عليه من الله الصلاة والسلام مما يدل على إعجازه.

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

وهاك سفر التثنية يدلل على ثبوت أمية الرسول ﷺ وينقل قول الرب لموسى عليه السلام «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»[1].

ومعلوم أن المثلية بين موسى ومحمد عليهما السلام متحققة في أمور كثيرة أبرزها الميلاد من أب وأم وهو لا ينطبق على عيسى عليه السلام بل ينطبق على محمد ﷺ، كما أن قوله من إخوتهم دليل على أنه من نسل إسماعيل لا من نسل إسحاق وهذا ينطبق على محمد ﷺ لا عيسى عليه السلام، وقوله: وأجعل كلامي في فمه أي أنه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب بل يسمع ويُسمع فقط.

وفي إنجيل يوحنا يحكي المسيح عليه السلام لتلاميذه قائلاً: لا أتكلم معكم كثيراً؛ لأن رئيس العالم يأتي..[2] وهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية[3].

وقد ثبت - كما أشرت من قبل - أن رئيس العالم هو المبعوث رحمة للعالمين ﷺ ومعنى كل ما يسمع يتكلم به أي أمي تلقيه من ربه بالسماع لا بالكتابة كما وضح النص السابق، (وأجعل كلامي في فمه).

وعلى ذلك فإن التوراة والإنجيل قد أثبتا أمية رسول الله ﷺ وإن غفل عن ذلك الغافلون وكذّب به المفترون.

رابعاً: أما الزعم بأن الدليل على عدم أمية الرسول ﷺ أنه كان تاجراً وأن الله تعالى قال له اقرأ فهو زعم باطل، لأنه لا يلزم أن يكون التاجر قارئاً وكاتباً ونحن نرى في واقعنا كثيراً من التجار ورجال الأعمال لا يعرفون أن يمسكوا بقلم أو يتصفحوا

---

(١) سفر التثنيه إصحاح ١٨/١٨

(٢) إنجيل يوحنا إصحاح ١٤/٣٠

(٣) إنجيل يوحنا إصحاح ١٦/١٣

جريدة ومع ذلك فهم من أنجح الناس في تجارتهم وأعمالهم فالواقع يكذب ما ذهب إليه المستشرقون.

أما حجتهم بأن الله تعالى خاطبه ﷺ قائلاً له اقرأ، فقد أثبتت كتب السنن الصحيحة أن النبي ﷺ لما أخبره جبريل عليه السلام بأمر ربه بالقراءة قال: ما أنا بقارئ ثلاث مرات، وفي كل مرة يضمه حتى يبلغ منه الجهد ثم قال له: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾[1].

وعليه فأمية النبي ﷺ ثابتة بإقراره هو عليه الصلاة والسلام، وثابتة بخبر القرآن الكريم وبالسنة المطهرة وباعتراف كتب أهل الكتاب ورسلهم، ولم يبق بعد ذلك مزعم لزاعم.

٣- دعوى عدم زهد النبي ﷺ والرد عليها:

ومن غرائب ما افتراه المستشرقون الزعم بأن النبي ﷺ كان من الطامعين في الدنيا العاشقين لها، فملكت عليه قلبه واستحوذت على عقله وفكره وطلب الملك فيها، فخالف بذلك ما كان عليه الأنبياء، ذكر ذلك (جولد تسيهر) حين قال:

أ ـ «إن محمداً ﷺ تحول من الزهد في بداية دعوته بمكة إلى الطمع في المدينة وترك مبدأ التأسي بالأنبياء»[2].

ب ـ وبهذا القول تأثر (نيكولسون) فكتب: إن النبي ﷺ بعد هجرته وانتصاراته تحول إلى سلطان أرض وحول فعالياته الدينية إلى مسالك أرضية وجمع لنفسه كل السلطات فأصبح أميراً ومشرعاً وسياسياً ودبلوماسياً.[3]

---

(١) راجع صحيح البخاري، ج١ بدء الوحي، تفسير ابن كثير، ج٤ ص ٥٤٣، والآيتان من سورة العلق ١-٢.

(٢) العقيد والشريعة في الإسلام ص١٨، ١٩.

(٣) Nichololson. Aliterary History Of Arabsp. A.R .١٧٥. نقلاً عن المستشرق نيكولسون ومفترياته ص٢٩٤.

وللرد على هؤلاء أقول :

لم يثبت في أي كتاب معتبر أن النبي الأكرم عليه من الله أفضل صلاة وأتم تسليم ينطبق عليه هذا الوصف الذي نسبه إليه المستشرقون، وأنه تحول من الزهد إلى الطمع، ومن النبوة إلى الملك، وأنه خالف مسلك الأنبياء. كل ذلك لم يكن. بل الثابت الموثق والمنقول إلينا عن سيرة هذا النبي الكريم بالتواتر أنه كان عليه الصلاة والسلام من أزهد الناس وأحسنهم خلقاً وعلى نهج الأنبياء يسير، سواء أكان ذلك قبل الهجرة أم بعدها ، وليسمع المتقولون ما كان يقوله عليه الصلاة والسلام فهو يقول :

أ ـ فيما رواه أبو هريرة عنه ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[1]. فهي ليست إذاً مما يجب التمسك به.

ب ـ وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ ذات يوم : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ ويقول : «يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت»[2].

ج ـ و(لجولد تسيهر) الذي يظن أن النبي ﷺ ترك الزهد الذي كان عليه في مكة وطمع في الدنيا وهو بالمدينة أسوق ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قال «ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بُرٍّ ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قبض» وفي رواية «حتى مضى لسبيله»[3].

وفي حديث آخر عن عروة عن عائشة أنها كانت تقول : والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله نار. قال : قلت : يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت : الأسودان

(١) صحيح مسلم، ج٤ حديث رقم ٢٩٥٦ كتاب الزهد والرقائق، ص ٢٢٧٢.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٧٣ حديث رقم ٢٩٥٨ نفس الكتاب.

(٣) السابق، ص ٢٢٨١ حديث رقم ٢٩٧٠.

التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصال كانت لهم منائح[1] فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه[2].

هذه هي حالة رسول الله ﷺ وحالة أهله في المدينة تحكيها عائشة رضي الله عنها بلسانها، ولا تجد غضاضة في نشر ذلك؛ لأن بيت النبوة ليس بيت دنيا ولا بذخ ولا ترف، ومع ذلك يجلس (جولد تسيهر) على أريكته ويأكل الطير الشهي واللحم الطري ويقول: رسولكم لم يكن إلا عاشقاً للدنيا مترفاً فيها. خيبك الله من دعي!

أما نيكولسون الذي يتهم النبي ﷺ بأنه بعد الهجرة طمع في الدنيا وتحول إلى سلطان جبار يملك كل السلطات ومن ثم ترك النبوة وطلب الملك.

فأخبره: إن كان جاهلاً - وهو كذلك- أن القارئ لمسيرة الدعوة الإسلامية لم ير النبي ﷺ قد بدأ دعوته إلا باللين، ويوم أن قاتل كان قتاله للكفار دفاعاً عن الإسلام وبأمر ممن أرسله، ومعلوم أن قتال الكفار المتهجمين على دين الله كان موجوداً عند الأنبياء السابقين، وقد سجل ذلك سفر التثنية «وإذا دنوت من قرية لتقاتلها ادعهم أولاً إلى الصلح فإذا قبلت وفتحت لك الأبواب فكل الشعب الذي بها لك عبيداً يعطونك الجزية»[3]، وقد فعل موسى ذلك ولم يقل أحد عنه إنه طلب الملك. وهذا هو ما فعله رسول الله محمد ﷺ ولكنه لم يجعل من يكون عليه جزية عبداً بل له ما لنا وعليه ما علينا[4].

إذاً ما فعله النبي لم يكن بدعاً في دنيا القتال وإنما كان موجوداً ومشرعاً من قبل. فلو كان القتال الذي قام به المصطفى عليه الصلاة والسلام من أجل الدنيا ومطامعها وملكها لوقع هذا الاتهام على الأنبياء السابقين وهم جميعاً عنه مبعدون.

---

(١) الشاة أو الناقة.

(٢) السابق، ص ٢٢٨٣ حديث رقم ٢٩٧٢.

(٣) التثنيه ٢٠/١٠-١٦.

(٤) ومعلوم أن موسى عليه السلام لم يخالف منهج الله وشرعه إلا أننا نعلم أن في السفر تحريفاً.

ثم أقول (لنيكولسن): كيف يكون قتال محمد للمشركين من أجل الدنيا والطمع فيها وهاهو سعد بن أبي وقاص يقول: «إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحبلة وهذا السَّمُرُ حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة»[1].

وعلى ذلك يؤكد خالد بن غزوان رضي الله عنه قائلاً «لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما طعامنا إلا ورق الحبلة حتى قزحت أشداقنا»[2].

وورق الحبلة والسَّمُرُ نوعان من شجر البادية.

هذا هو تموين الجيش الذي كان يقوده محمد ﷺ الذي يقال عنه طامعاً ومترفاً وعاشقاً للدنيا -لم يكن تموينه وجيشه ﷺ من الأرز الفاخر أو السمك الطري أو الدجاج الشهي، بل كان من أوراق الأشجار التي تنبت في الصحراء بين الأحجار، ومع ذلك تقبله هذا المتهم من قبل المستشرقين وارتضاه أصحابه الأطهار، وجاهدوا حتى رفعوا كلمة الله في العالمين ومن قبل عرفنا تموين بيته وأهله وأسرته؛ لذلك لم يتقبل مستشرق منصف مثل توماس كاريل في كتابه «الأبطال» لم يتقبل اتهام الحاقدين من المستشرقين لخير الخلق أجمعين بأنه لم يكن من الزاهدين فكتب وقال: «لقد كان محمد زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله. وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار.. وكان يصلح ويرقع ثوبه بيده.. فحبذا محمد من رجل خشن الطعام مجتهد في طاعة الله قائم النهار ساهر الليل دائباً في نشر دين الله»[3].

ويكفينا هذا القول المنصف في قطع ألسنة المتهمين لأجل وأعظم شخصية عرفتها الدنيا عليه من الله أفضل صلاة وأتم تسليم.

---

(١) صحيح مسلم، ج٤ ص ٢٢٧٧، رقم ٢٩٦٦ كتاب الزهد والرقائق.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٧٩، رقم ٢٩٦٧.

(٣) نقلاً عن كتاب زاهر الألمعي مع المفسرين والمستشرقين، ص ٨٥.

٤- الزعم بأن النبي ﷺ رجل شهواني :

ومما يتعب بال الحاقدين من المستشرقين ويكدر عليهم صفو تفكيرهم هو ما يسمعونه أو يقرؤونه عن سجايا المصطفى ﷺ ؛ لذلك أرادوا تعكير صفو الفكر الإنساني بعامة والإسلامي بخاصة تجاه هذه الشخصية الجليلة ، فبحثوا ونقبوا وكتبوا وأكدوا «أن هذا الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن على خلق عال بل كان رجلاً شهوانياً تذوب شخصيته في مخادع النساء ؛ ولهذا أكثر من الزوجات وحدد لأمته أربعاً كحد أعلى بينما فتح الأبواب لنفسه وتزوج كثيرات ، بل عمل على فسخ زوجة ابنه ومولاه وتزوجها لأنها كانت بيضاء وجميلة»[١].

وهاك ما يقوله (إميل منعم) في كتابه محمد «شعر محمد بالعقد الأخير من عمره بميل كبير إلى النساء»[٢].

أما (غوستاف لوبون) فيقول : «إن ضعف محمد الوحيد هو حبه الطارئ للنساء... لذلك أطلق العنان لهذا الحب حتى إنه رأى اتفاقاً زوجة ابنه وهي عارية فوقع في قلبه منها شيء فسرحها بعلها ليتزوجها محمد..»[٣].

وأرد على هؤلاء بإيجاز وأقول :

إن هذا الغمز الاستشراقي لشخصية الرسول ﷺ أمر غير مقبول لا منطقياً ولا عقلياً لما يلي :

أولاً : أنتم تؤاخذون الرسول ﷺ لأنه عدد نساءه ، وتقولون إنه كان للنساء عاشقاً ، وحدد لأمته أربعاً وفي هذا ظلم وجور من وجهتكم.

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٤.

(٢) حياة محمد ص ٢٩٩ ، المصدر السابق ص ٨٤.

(٣) حضارة العرب ص ١١٢ ترجمة عادل زعيتر.

وسؤالنا: هل أنتم تؤمنون به رسولاً أم لا؟

المعلوم أنكم هاجمتم رسالته فأنتم به من الكافرين، فلماذا إذاً تلومونه على فعل خاص به وهو عندكم بشر لا رسول، ألا تؤكدون في بلادكم على ما يسمى بالحرية الشخصية وهنا نراكم تهاجمون شخصاً لا رسولاً عندكم وتتعدون على حريته، أليس هذا ظلماً وجوراً منكم وتعدياً على الحريات الإنسانية؟!

أما نحن فنرى أنه نبي ورسول، وأن فعله في التعدد لم يكن بدعاً لا في شرعه ولا بين قومه فشرعه هو شرع الأنبياء قبله، والأنبياء قبله كانوا يتزوجون ويعددون، وقد ثبت ذلك عن سليمان ويعقوب وغيرهما[1] في الكتاب المقدس عندكم ولم ينكر أحد على هؤلاء، فلماذا الإنكار على النبي محمد ﷺ؟ أما قومه عليه الصلاة والسلام فقد جاءهم وهم يعددون وكان هذا نظاماً قائماً لكل الناس وقت نبوته عليه الصلاة والسلام. وعلى ذلك فلا غرابة في تعدده لأزواجه عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: متى عدد الرسول ﷺ؟ ولماذا عدد؟

إن سيرته ﷺ تثبت أنه تزوج وهو في الخامسة والعشرين من خديجة رضي الله عنها وهي في الأربعين من عمرها «وقد كان ذلك من فضل الله تعالى لأن رجاحة عقلها كانت خيراً على الرسول ﷺ قبل الرسالة وعند مجيئها، إذ ثبتته وذكرته بالخير لما دخل عليها مرتجفاً قائلاً زملوني.. إلخ». وعاش معها النبي ﷺ وحدها دون أن يعدد أزواجاً حتى توفيت وهي في الخامسة والستين -رضي الله عنها- وهو عليه الصلاة والسلام فوق الخمسين ولم يثبت التاريخ أن أحداً من خصومه أثناء هذه الفترة جرؤ في أن ينسب إليه دنساً أو يتهمه بريبه.. بل كان ﷺ وهو في هذه الفترة الخصبة الرحبة في عمر الإنسان يتألق في جبينه رونق العفاف

(١) راجع سفر التكوين الإصحاح ٣٥، ٣٦.

والشرف حيث سار. ولو أراد الزواج بأكثر من واحدة آنذاك ما عاب عليه أحد ؛ لأنه كان مألوفاً ولكنه لم يفعل. ولما توفيت خديجة رضي الله عنها وأراد أن يتزوج لم يبحث عن جمال أو مال بل أراد أن يربط صلته بوزيريه أبي بكر وعمر فاختار عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها على صغر سنها واختار حفصه بنت عمر رضي الله عنها على قلة وسامتها ثم اختار أم سلمه رضي الله عنها أرملة قائده الذي استشهد في سبيل الله، وكانت معه سودة وهي امرأة نزلت عن حظها من الرجال لكبرها وعزوفها[1].

وكذلك بقية زوجاته لكل واحدة منهن لزواجها منه سبب وكل ذلك كان بعد الخمسين من العمر. ومعلوم أن الشخص بعد سن الخمسين قد لا تكون له رغبة في النساء، وهذا لا يعني أن النبي ﷺ قد ينطبق عليه في هذه الفترة ما ينطبق على غيره من الرجال فإن رصيده ﷺ من القوة الجسدية بجوار القوة الروحية والنفسية كبير إلا أنني أريد أن أقول إنه لو كان عليه الصلاة والسلام من أصحاب الشهوة كما يزعم الساقطون من المستشرقين لبحث عن النساء قبل الخمسين بكثير، لكنه لم يفعل ذلك ؛ لأن المتعة بالنساء ليست غايته كما تصورها هؤلاء الشهوانيون.

ثالثاً: ثم إن هذا التعدد الذي وقع من النبي ﷺ كان مباحاً -كما أشرت- له ولأصحابه عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم لدرجة أن الواحد قد يتزوج ما يشاء ولا مانع يمنعه، فلما جاء التشريع والتنظيم من عند الله عز وجل طلب من النبي ﷺ ألا يتزوج مرة أخرى ويمسك ما عنده من النساء. قال عز وجل : ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن﴾[2].

---

(١) انظر: السيرة لمحمد الغزالي، ص ٤٧١، ٤٧٢، ومع المفسرين من المستشرقين لزاهر الألمعي، ص ٨٦، ٨٧.

(٢) سورة الأحزاب، آيه ٥٢.

أما بقية الصحابة والأمة فقد تم تحديد العدد فلا يمسك الواحد أكثر من أربع نسوة إن استطاع أن يعدل وإلا فواحدة قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾[1].

وهنا نقول للحاقدين المفترين من المستشرقين هل هذا الأمر الذي بلغه النبي إلى أمته فيه تضييق على الرسول وتوسعة على غيره أم تضييق على غيره وتوسعه عليه ﷺ ؟ إنكم تقولون إنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ضيق على أتباعه وجعل الحد الأعلى أربع نسوة، أما هو فله ما يشاء من النسوة.

ونرى غير ما ترون إذا التضييق هنا كان على الرسول عليه الصلاة والسلام لا على أتباعه فهو يقف عند المعدود أي ما معه من النساء وليس له عدد بعدهن، فلو أن نساءه جميعاً متن في عهده ﷺ ما استطاع أن يتزوج واحدة بعدهن ؛ لأن الله تعالى قال له: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾.

أما أصحابه وأتباعه في كل زمان ومكان فالواحد منهم يستطيع أن يطلق ثم يتزوج ويدور هذا الأمر إلى أربعين امرأة إن شاء فتأشيرته مفتوحة -إن صح التعبير- ، لكنه إن أراد الإمساك فله أربع فقط، وإن طلق فيأتي بأخرى ويدور معه العدد، لكن الرسول ﷺ لا يدور معه العدد بل يقف عند المعدود له. فلو لم يكن النبي ﷺ أميناً وكان صاحب شهوة ما ضيق على نفسه ولا وقف عند من معه من النسوة، ولا بلّغ أمته بذلك، لكنه بلّغ واستجاب أتباعه، فكان الذي عنده تسع يطلق خمساً ويبقي أربعاً. والخمس من حقهن أن يتزوجن بآخرين، أما هو عليه الصلاة والسلام فلا يستطيع أن يطلق واحدة ؛ لأنه كان عنده آنذاك تسع فلو طلق خمساً ما تزوجن أحداً بعده .. لماذا؟

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

لأنهن أمهات المؤمنين ولا يصح في شريعة الإسلام أن يتزوج المسلم أمه.. لهذا أبقى عليهن الرسول ﷺ ولم يطلقهن[1]، وما كان ذلك إلا تنفيذاً لما شرعه الله عز وجل، ولا يمكن أن تكون هذه السرعة في التنفيذ لأوامر الحق جل وعلا من أعمال الشهوانيين الساقطين كما يزعم الساقطون من المستشرقين.

رابعاً: أما الادعاء بأنه ﷺ كان خاضعاً لشهوته؛ ولذا طلق زوجة ابنه لإعجابه بجمالها بعد أن رآها عارية -على حسب تعبير غوستاف لوبون- فهو ادعاء عارٍ عن الحقيقة، والنبي ﷺ كما هو ثابت لم ير عورة في حياته، بل كانت عائشة رضي الله عنها وهي زوجته تقول كان النبي ﷺ لا يرى مني ولا أرى منه، وكان حياؤه -عليه الصلاة والسلام فوق الوصف، ومعلوم أن الحياء من الإيمان، ولما كان الذي علم الناس أصول الإيمان فحري أن يكون أشد الناس حياء عليه الصلاة والسلام، ثم من قال بأن النبي ﷺ له ابن من صلبه وقد تزوج هذا الابن ثم طلق وتزوج النبي زوجته؟.

لم يعلم ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام مطلقاً لكن المسألة متعلقة بزيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان زيد رضي الله عنه عبداً وهبته خديجة لرسول الله عليه الصلاة والسلام وصار مولاه، جاءه أبوه وقد عرف أنه في مكة فأراد أن يأخذه من رسول الله ﷺ فخيره الرسول عليه الصلاة والسلام بين أن يذهب إلى أبيه أو يبقى مع الرسول ﷺ، لكن زيداً من شدة حبه للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام لم يقبل أن يختار أحداً على الرسول محمد ﷺ وبقي معه ولم يذهب مع أبيه، فكان من كرم رسول الله عليه من الله أفضل صلاة، وسلام أن كافأه فدعاه زيداً بن محمد بدلاً من زيد بن

(١) انظر شبهات واباطيل خصوم الإسلام ص ٤٨، ٤٩ بتصرف، والمدلول الرمزي لشخصيات أولاد حارتنا لنجيب محفوظ وعلاقاته بالجانب العقدي القسم الأخير د. عبدالمنعم فؤاد.

حارثة[1]. أي تبناه، وكان هذا التبني مألوفاً في عهده عليه الصلاة والسلام. ولم يقع فيه حكم شرعي. لكن الله عز وجل أراد أن يبطل هذه القضية المألوفة فقال لنبيه ﷺ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2].أي ما فعلته يا محمد من مكافأة لزيد بسبب إخلاصه هو عدل بلا شك لكن عندي في حكمي ما هو أعدل منه فتقبله، وجاء التعبير في ذلك بأقسط أي أعدل، والنبي ﷺ لا يستنكف أن يعدل له حكمٌ[3]، وهذا دليل على أن ما فعله النبي صواباً وعدلاً لا جوراً. هذه واحدة.

أما الثانية : فإن النبي ﷺ قد زاد في كرمه فزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها، ثم أوحى المولى عز وجل إليه أنها ستكون من أزواجه عليه الصلاة والسلام فيما بعد وسيطلقها زيد ولم يظهر النبي ذلك لأحد، وفجأة جاءه زيد رضي الله عنه ليشكوها إليه فقال له النبي ﷺ «اتق الله وأمسك عليك زوجك» فقال له المولى قد أخبرتك إنها ستكون لك زوجة وسيطلقها زيد وتخفي في نفسك ما الله مبديه، هذا هو ما ذكره السدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾[4].

والمقصود هنا زيد الذي أنعم الله عليه بالإسلام وأنعم النبي ﷺ عليه بالتبني والزواج من زينب ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[5]. أي فلما

(١) انظر: رداً على الملاحدة والعلمانيين، ص ٧٠، ٧١ الشيخ الشعراوي.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٢.
(٤) سورة الأحزاب، من الآية: ٣٧.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

قضى زيد منها حاجته وفارقها وانتهت عدتها زوجها الله لنبيه ﷺ لئلا يبقى على المؤمنين حرج في تزويج مطلقات الأدعياء[1].

وعلى ذلك فالقضية ليست شهوة أو غريزة محرمة بل قضية شرع إلهي وتنفيذ للشرع الحكيم وتنظيم للحياة الإنسانية عن طريق هذا الشرع الحكيم، ولكي ينطلق هذا التنظيم ويتحرك في طريقه السليم ويتقبله الناس بقبول حسن لابد أن تكون نقطة انطلاقه الصحيحة من بيت النبوة، وتطبيقه العملي يكون عند النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام، وقد تم ذلك على أكمل وجه وأحسن تطبيق، وتبين أن زيداً ليس هو كما ادعى المستشرقون أنه من صلب رسول الله بل بالتبني والتبني انتهى وقته بتطليق زينب من زيد وتزويجها للرسول ﷺ ولم تعد هناك حرمة شرعية لزوجة الابن الدعي إذا طلقت منه وصار هذا تشريعاً عاماً بعد ذلك.

وما أحوج العالم إلى هذا التشريع الآن إذ نرى الملاجئ والمدارس في الغرب الأوروبي على مرأى ومسمع من المستشرقين تعطي الأولاد لعائلات عن طريق التبني ويبقى الولد في الأسرة له حق في الميراث وله حق في المسكن وله حق في الملبس بل وينام بجوار زوجة الأب المدعي على اعتبار أنها أمه وهي في الحق ليست أمه وينام بجوار ابنتها على اعتبار أنها أخته، وهي ليست أخته وتختلط بذلك الأوراق والأنساب ويصبح الباطل حقاً والحق باطلاً، والسبب هو الإعراض عن هذا التشريع الإسلامي العظيم الذي طبقه الرسول ﷺ على نفسه وفي بيته وعلى مرأى ومسمع من الجميع، وغني عن البيان أن المنافقين قديماً دسوا على الرسول ﷺ وأشاعوا أقاويل نحوه بسبب هذه القضية، وقالوا: إن الرسول ما فعل ذلك إلا لحبه لزينب، واليوم يردد أحفادهم من المستشرقين نفس ما ردده أجدادهم.

(١) تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٤٩٢، ٤٩٣.

ولقد استغرب علماؤنا قديماً هذا القول -كما نستغربه من المستشرقين الآن- ودفعوه وأبطلوه، ومن هؤلاء العلماء القاضي أبوبكر بن العربي الذي قال: أما قولهم إن النبي ﷺ قد رأى زينب فوقعت في قلبه فباطل؛ لأنه كان معها في كل وقت وموضع ولم يكن حينئذ حجاب. فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج، وقد وهبت نفسها وكرهت غيره فلم يخطر ذلك بباله، فكيف يتجدد هوى لم يكن؟ حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة[1].

وصدق القاضي ابن العربي في ذلك، فالنبي العربي ﷺ كان أكبر وأعقل مما يتصوره المنافقون والمستشرقون؛ لأنه كان منفذاً لأوامر الله بكل حق وفي كل وقت، والله هو الذي كان يؤدبه ويأمره ويقول له: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾[2].

ومعلوم أن النساء أفتن الزهرات وأنشر الرياحين، ولم يخالف النبي هذا في المطلقات فكيف في المنكوحات المحبوسات؛ لذلك حكم المنصفون من المستشرقين بإنصاف النبي ﷺ ورفض ما زعمه الحاقدون من زملائهم ضد الرسول الكريم، ومن هؤلاء المنصفين (توماس كارليل) الذي نكتفي بقوله الذي جاء فيه: «وما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً، ونخطئ إن حسبناه رجلاً شهوانياً لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ. كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أياً كانت»[3].

وفي النهاية أقول لعل المستشرقين بعد هذه الشهادة من زميلهم (توماس كارليل) وغيرها كثير لعلهم يراجعون أنفسهم تجاه هذا النبي الكريم ويضعوا الأمور في نصابها

(١) نقلاً عن كتاب مع المفسرين والمستشرقين لزاهر الألمعي، ص ٨٣.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣١.

(٣) نقلاً عن المصدر السابق، ص٨٥.

فلا ينسبون للنبي ما ليس فيه، ولا نريد منهم أن يزيدوا عما هو فيه، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا -في اعتقادي- فليوجهوا على الأقل وجوههم شطر شخصيات أخرى مشهورة وعلى الملأ صورها منشورة، وخزائنها ملأى بالفضائح والدسائس التي قد تشبع غرائز الشهوانيين من المستشرقين، **وليذهبوا بعيداً عن اتهام أطهر وأنبل وأعقل وأعدل شخصية عرفتها البشرية في أطوارها المتعددة تجسد فيها الطهر والعفاف والكرم والخلق الجميل فكان ﷺ :**

رحمـــة كـــلـــه وحـــزم وعـــزم   ووقـــار وعـــصـــمـــة وحـــيـــاء

صلى عليه الله وعلى آله أجمعين.

الفصل السابع

افتراءات المستشرقين على عقيدة الإيمان باليوم الآخر والرد عليها

الفصل السابع

افتراءات المستشرقين
على عقيدة الإيمان باليوم الآخر والرد عليها

من قبل أشرت إلى أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر وما فيه تعد ركنا أساسياً من أركان الإيمان وأصلاً من أصول العقيدة في الإسلام ؛ لذا اهتم المسلمون بتتبع الحديث عنها في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وأيقنوا أن الحديث عن الجنة والنار والنعيم والعذاب والصراط والميزان والحساب أمام الرحمن كل ذلك أوحى به إلى رسولنا الكريم عليه من الله أتم صلاة وأفضل تسليم ، وأن من صدق بذلك فهو ممن يؤمنون بالغيب ، وإيمانه لا شائبة عليه ومن كذب فهو من الظالمين والمحرومين من رحمة الرحمن يوم الدين ، وعلى هذا المعتقد ظلوا سائرين وما زالوا وسيظلون به مصدقين إلى يوم الوقت المعلوم.

إلا أن جمعاً من المستشرقين أرادوا ـ كما هي عادتهم ـ زلزلة هذا الاعتقاد في قلوب المؤمنين ، ونشر أقوال فيها اتهام لإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين النبي محمد الأمين بأنه كان لهذا المعتقد وما يتعلق به من السارقين أو المقتبسين من أين؟ من كتب الأولين يهوداً كانوا أو نصارى أو غيرهم ، ولم يكن الحديث عنه في الإسلام من وجهة نظرهم بوحي من الله رب العالمين ، بل اختلق محمد ﷺ ذلك اختلاقاً ورغَّب ورهّب ليقبل الناس على دينه ويظنوا أنه من الصادقين ، ادعى ذلك أساطينهم وأكابر شياطينهم ومن هؤلاء :

١- **(هنري ماسيه) الذي يزعم ويقول**: إن الإسلام أخذ بعضاً من تعاليمه المتعلقة باليوم الآخر من مصادر خارجية فمفهوم عذاب القبر أخذه من النصرانية، وأخذ اسم الفردوس من الفارسية. أما الجنة وأنهارها المذكورة في القرآن الكريم فهي (تذكارات) لأنهار الجنة في اليهودية أو المسيحية.[١].

٢- **ويوافق على هذا الافتراء (كرادي فو) Canadevaux** ويقول في دائرة المعارف الإسلامية: «إن الرسول ﷺ استعار كلمة جهنم من اللفظ العبري (جيهنوم) والذي كان وآدياً بالقرب من بيت المقدس تقدم فيه القرابين»[٢].

٣- **أما (جولد تسيهر)** فلم يخالف ما ذهب إليه صاحباه بل يقول: إن ما كان يبشر به محمد ﷺ خالصاً بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج يقيناً وأقام عليها هذا التبشير[٣].

ولم يكتف بهذا الادعاء بل يزعم في موضع آخر أن مفهوم الدار الآخرة في الإسلام قد تبلور بسبب رواج القصص والأساطير.[٤]

٤- **أما المستشرق (نيكولسن)** فيزيد على ما ادعاه هؤلاء بقوله: إن الدين الإسلامي قد أفرط في التصوير الحسي للجنة والنار مما أدى إلى إغواء المستمعين[٥].

٥- **ونفس القول تردد في دائرة المعارف الإسلامية** حيث يقول كُتابها «إن فكرة محمد عن الجنة مادية حسية» ويرجعون ذلك إلى أن يكون النبي ﷺ قد أخذ ذلك عن معلمين مجهولين قد رأوا بعض التصاوير أو بعض الفسيفساء المسيحية التي تصور حدائق الفردوس[٦].

---

(١) كتاب الإسلام ص١٤٤، ١٤٧، ١٤٨ نقلاً عن كتاب دراسات إستشراقية ص١٦١

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج١٣ ص٤.

(٣) العقيدة والشريعة، ص١٥.

(٤) العقيدة والشريعة، ص١١٠.

(٥) المستشرق نيكولسن ومفترياته، ص٢٦٥.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، ج١٢ ص٢١٦-٢١٧.

تلك هي بعض الأقوال التي ذكرها عدد من المستشرقين عن عقيدتنا في اليوم الآخر وما فيه، وهي كما نرى تركز تركيزاً تاماً على أن هذه العقيدة مستقاة من مصادر خارجية خاصة اليهودية والنصرانية وغيرهما، ولم يخبر بها الوحي السماوي، كما أن هذه العقيدة لم يبقيها الإسلام كما هي آمنة مطمئنة بل أدخل عليها كما ادعى (جولد تسيهر) بعض القصص الخرافية والأساطير، بالإضافة إلى أن الإسلام قد أفرط في التصور الحسي للجنة والنار من أجل إغواء الخلائق لقبول الإسلام على حد تعبير (نيكولسون) وكُتاب دائرة المعارف.

تقويم ونقد:

وإذا جاز لنا أن نقَوِّمَ هذه الأقوال ونحلل ما فيها ونضعها في ميزان الموضوعية التي يجب أن يلتزم بها كتاب البحوث عامة والدينية خاصة فإنه يتبين أمامنا ما يلي: -

١ - **إن الزعم الاستشراقي القائل بأن الإسلام اقتبس تعاليمه الخاصة باليوم الآخر من مصادر خارجية** زعم لم يصاحبه أي دليل يقويه أو برهان يحميه، بل هو بمثابة إطلاقات وتعميمات مجردة عن البرهان، ومن أراد الالتزام بالموضوعية وصبغ ما يقوله بالصبغة العلمية عليه أن يأتي بمستند معتبر في أي ركن من أركان الدنيا ليؤكد لنا حقاً أن النبي ﷺ بالفعل قد أخذ تعاليمه هذه من مصادر أجنبية وليس عن طريق السماء.

والذي يدعو إلى الدهشة أن المستشرقين يكتبون في هذه القضية ويدَّعون أن ما يكتبونه كلام يقيني غير قابل للنقض كما رأينا (جولد تسيهر) الذي يصرخ ويقول: «يقينا قد استقى محمد أفكاره من الخارج» ولا أدري من أين أتاه هذا اليقين وما الوسيلة التي جعلته يصل إلى ذلك ولماذا لم يذكرها؟!

ثم كيف ينقل محمد ﷺ عن فكر أو دين خارجي وهو -كما أثبتنا من قبل- أمي لم يمسك بقلم ولم يتصفح كتاباً، هل ذلك كله لإغواء المستمعين كما يقول صديقه نيكولسون؟

وكيف يكون ذلك كذلك وهو الذي تلا على الناس قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾(١) فمن اقتنع بما جاء به بدون إكراه فمرحباً به في الإسلام وإلا فهو حر التفكير حر الاتباع، وعلى ذلك فيقيناً بل حق اليقين أن (جولد تسيهر) وغيره من الكاذبين، وإلا فأين الدليل الذي يثبت أن محمداً ﷺ قد أخذ التعاليم الأخروية من مصادر أجنبية يهودية كانت أو نصرانية، وهل حقاً عند اليهود والنصارى من هذه التعاليم الأخروية ما وجد في الإسلام، إن هذا يدعونا أن نتعرف على ما في الديانتين عن الآخرة وما فيها.

٢- فماذا عن اليوم الآخر وتعاليمه عند اليهود؟

معلوم أن اليهودية ديانة أتى بها نبي الله موسى عليه السلام وما جاء به موسى وما جاء به محمد ﷺ ليخرج من مشكاة واحدة -كما هو معتقدنا- ويقيناً عندنا أن الله تعالى أوحى لموسى بالتوراة وفصل له فيها كل شيء، ومن ضمن ذلك اليوم الآخر وما يقع فيه من نعيم في الجنة أو عذاب في النار، والذي يذهب لكي يقرأ التوراة عند اليهود الآن مستقر في ذهنه أن هذه التوراة وبقية أسفار الأنبياء عندهم بها حديث فيّاض عن أحوال الآخرة، لكن المرء يصاب بالدهشة حينما يرى أن هذه الكتب تهتم اهتماماً عارماً بكل صغيرة وكبيرة عن الخلق والسموات والأرض وبدء الحياة، ولا تهتم البتة بنهاية الحياة والدار الآخرة.

والمستشرقون يزعمون أن ما في الإسلام من أمور أخروية نقل عن الكتب اليهودية هذه، وها هي الكتب بين أيدينا نتصفحها بدءاً من سفر التكوين ومروراً ببقية الأسفار الخمسة التكوين الخروج والعدد والتثنية واللاويين والتي يقال عنها أن موسى عليه السلام قد كتبها بيده، وانتهاء بأسفار الأنبياء الـ ٣٤ سفراً والتي بها ينتهي العهد القديم ويختم، فلا نجد إلا حديثاً مقتضباً عن الآخرة وأحوالها، بل

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

قضية البعث في الآخرة لم تذكر الأسفار الخمسة عنها شيئاً وإن كان هناك حديث عن الآخرة والبعث وما يتعلق بذلك فهو مذكور على استحياء في أسفار الأنبياء.

ترى ما السبب في ذلك، هل موسى عليه السلام نسيَ أن يكتب عن الآخرة شيئاً أم أن هناك أموراً أخرى قد طرأت على هذه الأسفار؟؟

الحق أن موسى عليه السلام بلغ كل ما أنزل إليه وفصله -كما قلت- وكانت الأمور الأخروية إحدى اهتماماته، إلا أن التحريف الذي أصاب التوراة كما شهد بذلك المعتدلون من اليهود والنصارى[1] هو الذي أبعد كل شيء يتعلق بالآخرة، وجعل الاهتمام الكبير في جل كتب اليهود منصب على سرد العذاب المستمر الذي وقع على اليهود في أطوارهم التاريخية وكيفية خلاصهم في الدنيا من هذا العذاب، أما الآخرة وما فيها فلا مطلب لهم فيها ولا داعي لذكرها عندهم يحدثنا بذلك الأستاذ عبد الكريم الخطيب ويقول: «لم يشغل اليهود كثيراً بأمر الآخرة ... بسبب ظروفهم القاسية التي شغلتهم عن التطلع إلى ما وراء الواقع الذي يطل عليهم دائماً بأنياب ومخالب تمزق الأمن وتشرد السلام من قلوبهم، لهذا كانت آمالهم وأحلامهم متجهة أبداً إلى الخلاص من النفي والتشريد والعودة إلى «أرض الميعاد...» أما الحياة الآخرة فما ذكر عنها في شريعتهم فهو عبارة عن كلمات مقتضبة على رغم ما في التوراة من إسهاب مغرق في شرح التفاصيل للبديهيات.[2]

والأستاذ الخطيب يريد أن يفهم القارئ بأن اليهود لا يضعون الأمور في نصابها بل يخالفون ما هو معقول، فالأمر الذي لا يراد الإطناب فيه يطنبون، والذي يراد ذلك فيه يقصرون ويوجزون، وإن كان هؤلاء كما رأيناهم في أسفارهم خاصة سفر التكوين يتحدثون عن بدء الحياة على الأرض -كما أشرنا آنفاً- فإننا كنا نتوقع منهم

(١) انظر: ما كتبه موريس بوكاي عن تحريف التوراة في كتابه «القرآن والتوراة والانجيل ص ٢٦-٣١.

(٢) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين والله.. والإنسان ص٣٧٤ -٣٧٧ دار الفكر العربي.

أن يضموا إلى كتابهم المقدس سفراً كاملاً عن نهاية الحياة وآخرتها، وهذا السفر لا يقل في الشرح والإيضاح عما في سفر التكوين «إذ ليس أمر البدء أعظم شأناً من النهاية، وما وراء النهاية وليس ميلاد الإنسان أكثر أهمية من موته وما بعد موته».

ولكن كتاب اليهود المقدس لم يقف كثيراً عند الحياة الآخرة اللهم إلا بعض اللمحات الخاطفة في أسفار الأنبياء وهي مجملة لا تكفي إرواء ظمأ الإنسان وتعطشه إلى معرفة ما يريد معرفته عن المصير الأخروي والحياة الأبدية الجديدة.

٣- أما الحديث عن اليوم الآخر عند النصارى:

فإننا لم نجد النصارى أحسن حالاً من اليهود في ذكر ما يتعلق بالآخرة والسبب أنهم لكتب اليهود تابعون، ولأسفارهم وشريعتهم محتضنون، وعلى دربهم في التحريف سائرون، ودليل ذلك أن عقيدة مثل عقيدة اليوم الآخر لابد أن يكون نبي الله عيسى عليه السلام بها بلغ وأفاض في شرح تفاصيلها وما يتعلق بها، لكن الملاحظ أن العهد الجديد عندهم كما يقول أحد الباحثين[١] «لم يقل إلا قليلاً عن تفاصيل الآخرة وما فيها أو بمعنى آخر لم تذكر الأناجيل الأربعة إلا تقريرات إجمالية عن قرب وقوع القيامة للحساب والجزاء، وأن الذي سيقوم بهذا العمل هو المسيح نفسه؛ لأنه هو إله العالمين عندهم» (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) ولم ينقل عن المسيح في هذه الأناجيل هذا الزعم الباطل بألوهيته، كما لم ترو عنه الأناجيل إلا بعض كلمات قليلة تعبر عن أهوال القيامة والتعذيب والتنكيل كما يقول صاحب كتاب (قضية الألوهية بين الفلسفة والدين) ولكن الذين حملوا دعوته من بعده أو الذين ادعو ذلك وسمعوا هذه الكلمات صوراً مجسدة لأدوات التعذيب كما صنعوا ملاحم تتقاتل فيها زبانية جهنم على تقاذف الناس في أتون النار وإنضاجهم على لهيبها[٢].

---

(١) زميلنا د/ فرج الله عبد الله في بحثه اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، راجع ص٤٣١ - ٤٣٢ دار الوفاء للطباعة والنشر.

(٢) قضية الإلوهية بين الفلسفة والدين (الله ... والإنسان) ص٢٧٨ عبد الكريم الخطيب.

والذي يهمنا في هذا المقام هو ما ورد عن المسيح عليه السلام ؛ لأنه هو صاحب الدعوة ومؤسسها ، أما غيره فقد أضافوا وحذفوا من غير شك ، والمسيح لم يذكر عنه إلا قليل عن الآخرة والقيامة وهذا القليل المذكور لا يصلح أن يقتبس منه كما يزعم المستشرقون ، كما لا يعطي إجابة شافية كافية لمن يقف أمام كتب النصارى وإخوانهم اليهود من قبلهم ليسأل عن مصيره الأخروي وما يطرأ عليه بعد الموت.

٤- الإسلام غني بما فيه من تعاليم عن الآخرة:

وإذا ما ذهب المرء إلى الإسلام فإنه سيجد أجوبة ثرية واضحة جلية لا غموض فيها ولا لبس لكل تساؤل يطرأ على ذهنه عن الآخرة وما فيها ، بل سيرى أدلة عقلية ونقلية وأمثلة واقعية وردوداً على الملحدين والكافرين والمنكرين لأي أمر من أمور الآخرة وما بعد الموت ، وهذا مفقود تماماً عند اليهود والنصارى الذين قيل إننا أخذنا منهم عقيدتنا في اليوم الآخر.

فلنذكر أنموذجاً واحداً من بين آلاف النماذج القرآنية التي تثبت وقوع البعث والقيامة وترد على المنكرين والملحدين في كل زمن وفي كل حين ، وغيرنا إلى مثل هذا الأنموذج من المفتقرين قال جل شأنه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[١] والمتأمل لهذا المقطع من سورة يس يشعر بمدى ثرائه بالمفاهيم المتنوعة والأجوبة المختلفة التي تقنع كل أصناف المتشككين في البعث والإعادة ، فالجميع إلى الله يرجع لماذا؟

(١) سورة يس ،الآيات : ٧٨-٨٣.

لأنه وحده بيده ملكوت كل شيء ومن كان كذلك فهو وحده القادر على الجمع بعد التفريق والقيامة بعد الإماتة وكل ذلك عليه هين، والدليل أنه يخرج أمام أعينكم الضد من الضد، يخرج من الشجر الأخضر المبلل بالماء ناراً، والذي يفعل ذلك يستطيع أن يبعث الخلق.(١)

والعقل يقبل ذلك ولا يرفضه ويقتنع به ويرتضيه، ولو بحث عنه في غير الإسلام ما وجده؛ لذلك؛ يقول الشيخ محمد الغزالي متعجباً مما آثاره المستشرقون من مزاعم حول ما ذكره الإسلام من أمور أخروية وقولهم بأنها أخذت عن اليهودية والنصرانية فيرد ويقول: «إن الدين الذي أتى به محمد ﷺ أوسع أقطاراً وأرحب آفاقاً مما سبقه، فكيف يتصور أن يأخذ الغني من الفقير وأن يستعين القادر بالعاجز، إن التوارة لم تتحدث عن الآخرة أعني الصحف التي بين يدي اليهود الآن، فهل ما حفل به الإسلام من حديث عن الآخرة وعن الجنات وما فيها من مثوبة. والنيران وما فيها من عقوبة مأخوذ من كتبهم -ومن كتب النصارى- إن هذا لشيء عجاب!»(٢)

ونشارك الشيخ الغزالي في تعجبه ونؤيده في كل ما ذهب إليه ونؤكد على القول بأن ما حفل به الإسلام من حديث عن موت الإنسان ودخوله إلى عالم البرزخ وبعثه وحسابه وصيرورته إما إلى الجنات أو النيران قد وجد في الإسلام غير مقتبس من كتب أهل الأديان، بل هو بوحي من الله الواحد العلام، وفي ضوء هذا التأكيد بعد البيان السابق المفيد وإثبات أن الإسلام أغنى من غيره في هذه التعاليم، **يمكننا الآن الرد على ما ذهب إليه (هنري ماسيه):**

في قوله السابق يذكر هذا الرجل هنري ماسيه أن الإسلام أخذ مفهوم عذاب القبر - أو البرزخ - من النصرانية ومفهوم الجنة وأنهارها من اليهودية والمسيحية، وما ذهب إليه (كرادي فو) من أن الرسول استعار كلمة جهنم من العبرية -اليهودية-

(١) راجع تفسير ابن كثير، ج٣ ص ٥٨٥.

(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة، ص٥٧.

وأقـــول :

كذب الرجلان وما صدقا لما يلي :

أولاً : إن التصور الإسلامي لعذاب القبر ونعيمه أو للبرزخ يخالف التصور النصراني ؛

أ- فالنصارى يعتقدون بعد المسيح عليه السلام أن الإنسان إذا مات فإن سبب موته مرتبط بخطيئة آدم -عليه السلام- ومترتب عليها ، ولولا ذلك ما وجد موت للإنسان ، نص على ذلك في الإصحاح الخامس عشر من رسالة كرنثوس الأولى وفيها ، «أما شوكة الموت فهى الخطية وقوة الخطية هي الناموس»[١]

«ولولا الخطية لم يكن للموت قوة الإيذاء»[٢] ، والموت عندهم قسمان موت جسدي الذي هو مفارقة الحياة ، وموت روحي وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله.[٣]

والذي **تقع عليه الخطية** يموت ويدخل القبر أو عالم البرزخ[٤] هو الجسد ، أما الأرواح **فإن الأرثوذكس - إحدى طوائف المسيحية**- يقولون : إن الأرواح الطيبة تصعد إلى الفردوس مع المسيح.. وهذا هو جزء من نعيمها : والشريرة تتعذب حين اجتماعها مع أجسادها يوم القيامة. ويوافق على ذلك **البروتستانت** -طائفة أخرى- **أما الكاثوليك وهي الطائفة الثالثة** في المسيحية فترى أن هناك محكمة خاصة للأفراد النصارى بعد الموت يؤدي الأفراد أمامها حساباً عما قدموا في الحياة ، ويطلق عليها الدينونة الخاصة. فإن كانت الأرواح صالحة في أعمالها صعدت إلى السماء وإن كانت طالحة نزلت إلى ما يسمى بالمطهر فتقضي فيه

(١) رسالة كرنثوس الأولى إصحاح ١٥/٥٦.

(٢) انظر : الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ، وليم إدي ، ج٦ ص ٣٠٤ نشر مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - بيروت.

(٣) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص٩٢٩ ، واليوم الآخر ص٧١.

(٤) هو الحاجز بين شيئين ، أعني الدنيا والآخرة ويطلق على القبر - راجع التعريفات للسيد الجرجاني ص٣٨ ط الحلبي.

أياماً يحددها الله بعدله -كما يقولون- فتفي جميع ديونها وتكفر عن آثامها ثم تدخل إلى السماء، ويمكن عندهم تخفيف العذاب عن النفوس في المطهر بالدعاء وتقديم الطقوس الكنسية والصلوات[1].

ويفهم من هذا أن الكاثوليك يقولون بمحاكمة للنفس الشريرة بعد الموت مباشرة بينما غيرهم من البروتستانت والأرثوذكس قالوا إن ذلك سيكون يوم القيامة.

ب- **والتصور الإسلامي** يخالف كل الطوائف المسيحية في ذلك فالإسلام يرى أن دخول القبر أو عالم البرزخ يسبقه موت، ولكن هذا الموت غير مرتبط بخطيئة آدم إذ إن آدم أخطأ وعصى لكن الله تعالى قد تاب عليه وأناب قال تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾[2] وعلى ذلك فلا دخل لأدم في موت البشر ولا يوجد تعليل لهذا الموت سوى أن الله وحده هو المستحق للبقاء لا غير قال عز وجل: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾[3] ومن يرى غير ذلك فقد خالف الفطرة وسنن الله في الكون، وهذا هو ما عليه النصارى وحدهم.

أما العذاب والنعيم بعد الموت فإن الإسلام يرى أن ذلك يقع للشخص بعد أن ترد إليه روحه في قبره، ويسأله ملكان يقال لأحدهما منكر والآخر نكير، ويترتب على ذلك العذاب أو النعيم، وقد وردت آيات وفيرة تثبت الإحياء بعد الموت لهذا السؤال وأحاديث متواترة كما يقول ابن القيم رحمه الله[4] ومن الآيات قول الله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ

---

(١) راجع شرح التعليم المسيحي - العقائد الإلهية، ص٢٣١ -٢٣٧، ج١، واليوم الآخر، ص٩٤-٩٥.

(٢) سورة البقرة آية ٣٧.

(٣) سورة الرحمن آية ٢٦-٢٧.

(٤) الروح لابن القيم ص١٢٧.

إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾[1] ومن الأحاديث ما رواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه -حتى إنه ليسمع قرع نعالهم- أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً... وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، فيضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحةً يسمعها من يليه غير الثقلين»[2]

ويفهم من هذا أن الإحياء بعد الإماتة في عالم البرزخ ثابتة من غير شك، وأن سؤال الملكين وما يترتب على ذلك وارد حقيقة **وهذا الأمر غير موجود عند النصارى كما رأينا، فالأرثوذكس والبروتسانت** يرون أن الإنسان بعد موته إن صعدت روحه إلى السماء مع الرب فهي في قسط من النعيم، وإن كانت شريرة فلا تستطيع الصعود بل تبقى إلى أن تجتمع مع الجسد يوم القيامة وتعذب، **لكن الكاثوليك** قالوا بعذابها لمخالفين البروتستانت والأرثوذكس، ومع ذلك فهم لا يلتقون مع التصور الإسلامي؛ لأنهم يقولون بما يسمى بالمحكمة والمطهر، والإسلام لم يقل بمحكمة أو مطهر، بل قال بسؤال ملكين، فلو نقل الإسلام مسألة نعيم القبر أو عذابه عن النصارى كما يقول «هنري ماسيه» لنقل مسألة المحكمة والمطهر كما هي عند الكاثوليك ولو كان تابعاً لهؤلاء لما قال بسؤال منكر ونكير للمؤمن والكافر ولأبقى الحال على ما هو عليه كما هو الحال عند البروتستانت والأرثوذكس، ولكن ما نراه في الإسلام من سؤال وجواب وإحياء في القبر بعد الموت ونعيم وعذاب إلى يوم الحشر العظيم ليؤكد لكل قارئ عاقل

---

(١) سورة غافر، الآية: ١١. وانظر: التفسير الكبير للرازي، ج٢٧ ص٣٩

(٢) صحيح البخاري، ج٣ ص١٨٣، ١٨٦.

أن هذا الدين له ذاتيته المستقلة وتعاليمه الخاصة النقية، ولم ينقل عن الآخرين شيئاً مما يتعلق بالحياة البرزخية كما يزعم هذا الأفاك الآثيم بل هو وحي السماء.

ثانياً: التصور اليهودي والنصراني للجنة والنار:

وما قيل في مسألة عذاب القبر ونعيمه في الإسلام يقال مثله في مسألة مفهوم الجنة والنار، فالظن الذي ذهب إليه (ماسيه) (وكرادي فو) من أن الإسلام استعار مفهوم الجنة وأنهارها وجهنم من اليهودية والمسيحية ظن كله إثم ومخالف لما هو واقع.

أ- **فاليهودية والمسيحية** ليس فيهما من أوصاف الجنة مثلما ورد في الإسلام، وقد أشرنا من قبل إلى مدى فقر الديانتين في مسائل الآخرة ومنها الحديث عن الجنة، وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة جنة أنها الفردوس الأصلي الذي رتبه الله للإنسان قبل سقوطه -يقصد آدم عليه السلام قبل خطيئته- ووضع في وسطه شجرة الحياة وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك.(١)

وورد أيضاً تحت كلمة جنات أنها بساتين معدة للانشراح واللذات وفيها جنات الملِك سليمان وفيها سواقي وينابيع وكانت هذه الجنات مصونة لكي لا يدخلها الغريب.(٢)

ويلاحظ القارئ هنا أن قاموس الكتاب المقدس لم يشر بأي وجه إلى أن المقصود بالجنة هو جنة الآخرة تلك التي يتنعم فيها المتنعمون ويتمتع فيها الصالحون، بل أشار صراحة إلى أن المقصود بالجنة هو البستان الذي يملكه الملوك وفيه ما يعد للانشراح واللذات، وكذلك جنات سليمان أي بساتينه وفيها سواقي وينابيع،

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٢٧٥ تأليف مجموعة من اللاهوتيين، ج١ بيروت

(٢) نفسه ص٢٧٥، ٢٧٦، وراجع سفر الجامعة إصحاح ٢/٥، وسفر العدد إصحاح ٢٤/٦، ونشيد الإنشاد إصحاح ٤/١٣.

وهذه الجنات على حسب منطق القاموس لا تطلق إلا على بساتين الدنيا لا الآخرة، وما فعل ذلك كُتّاب القاموس، إلا لأن العهد القديم عند اليهود لم يتحدث عن الجنة ونعيمها إلا حديثاً مقتضباً نجده في بعض أسفار الأنبياء،[1] وإلى ذلك يشير ابن كمونة فيقول: «إن العهد القديم عند الحديث عن الجنة لم يشر من قريب أو بعيد إلى أنها المكان الذي يثاب فيه الصالحون يوم القيامة، واليهود يعترفون بذلك ويعتبرون خلو التوراة من الحديث عن الثواب والعقاب لا يضره»[2]

ب- **وبما أن النصارى تابعون لليهود في كتبهم** فالأمر عندهم ليس فيه كثير اختلاف؛ لذلك لا يشيرون إلى الجنة ونعيمها الحسي على أنه حقيقة في الآخرة وإن وردت بعض كلمات في بعض الأناجيل والرسائل التي يضمها العهد الجديد تتحدث عن الطعام والشراب والقصور والزواج في الآخرة فإن علماء النصارى يؤلونها إلى مجازات أخرى غير كونها حقيقية حسية، ويقولون: إن النعيم الكامل متمثل في الحياة الأبدية وهي لا تكون إلا بمشاهدة وجه الله -المسيح عندهم- ومشاهدته تملأ النفوس بالسعادة والهناء والغبطة وهذا هو النعيم المقيم.[3]

جـ- **الجنة كما صورها الإسلام**: وإذا كان ما ذكرناه هو مفهوم الجنة ونعيمها في التصور اليهودي والنصراني فجدير أن نقف على مفهوم الجنة في التصور الإسلامي والذي يقول المستشرقون إن كل ما ذكره الإسلام عن الجنة مأخوذ عن هاتين الديانتين.

والقارئ يكتشف مدى كذب المستشرقين في ادعائهم وهو يقرأ عن الجنة كما صورها الإسلام، ذلك لأن حديث الإسلام عن الجنة ليس حديثاً مقتضباً غير شاف ولا كاف لأي سائل أو سامع كما هو الحال في كتاب اليهود والنصارى

(١) باستثناء التلمود الذي هو في الحق غير منتسب لموسى وإن كان البعض من اليهود يظن أن موسى كتبه وهو ظن خاطئ ولذلك اجتنبنا النقل عنه.

(٢) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة، ص٤٠-٤٢ نقلاً عن اليوم الآخر، ص٢٨٤.

(٣) انظر علم اللاهوت، ج٢ ص١٦٤، وشرح التعليم المسيحي، ج١ ص٢٣٣، واليوم الآخر، ص٢٧٨، ٢٧٩.

المقدس بل هو حديث ممتع شائق يعطي إجابة كافية وشافية لكل سؤال يدور في خلد القارئ أو السامع عن الجنة ويصفها وصفاً دقيقاً بعد بيان أسمائها وأعدادها، الأمر الذي يجعل القارئ في شوق إلى رؤيتها والاستمتاع بنعيمها بعد التصوير الإسلامي لها، ولنرى ماذا قال الإسلام عنها لنقف على مدى كذب المستشرقين.

أولاً: ١- الجنة حقيقة واقعة في الآخرة:

يثبت الإسلام أن الجنة حقيقة واقعة بكل أوصافها في الآخرة وهي معدة ومخلوقة للمتقين والمؤمنين، وليس مكانها الأرض ولا الدنيا كما أشار قاموس الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، بل هي في الآخرة؛ لذلك دعا الحق عز وجل عباده المتقين بالإسراع إليها وشد الرحال وعدم التأني أو التأخر عنها لأنها هي دار الأجر والثواب قال عز وجل: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾[١]

وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[٢]

والآيتان فيهما إشارة واضحة إلى مدى الغاية في السعة لهذه الجنة الواقعة حقيقة يوم القيامة، وعلى المؤمن أن يسلم بذلك كما ورد في الشرع إلا أن بعضاً من أهل الكتاب أراد أن يزعزع إيمان المؤمنين بذلك فألقى ببعض التساؤلات المريبة حول ما ذكر في الآيتين الكريمتين، **يقول ابن كثير رحمه الله:** «وقد روينا في مسند الإمام أحمد بن حنبل أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ أنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال النبي ﷺ «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار»»[٣].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٣) تفسير ابن كثير، ج١ ص ٣٩٤.

ونفس السؤال طرح على سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جماعة من اليهود فأجاب مثلما أجاب رسول الله ﷺ قائلاً: أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار، فقالوا لقد نزعت مثلها من التوراة.[١]

وهذا يبين أن التوراة الحالية وقع فيها تحريف وتغيير وتبديل، وتم طمس ونزع ما جاء به الوحي عن الجنة والنار، ولما جاء الإسلام وضع الأمور في نصابها ورد ما طمسه اليهود عن معالم الجنة والنار، فكيف يقال قد أخذ عن التوراة، والتوراة مفقود فيها مثل هذا النص ومعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه.

٢- أسماء الجنة:

ومما يفارق به الإسلام ما ورد في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى كثرة أسماء الجنات، فاليهودية والنصرانية لم تذكرا إلا اسم الفردوس أو الحياة الأبدية، ويعني بالفردوس -كما أسلفنا الذكر- البساتين التي توجد في قصور الملوك في الدنيا.

بينما الإسلام يذكر أن من أسماء الجنة الفردوس، ولكن لا يعني بساتين الدنيا، كما يذكر أسماء أخرى مثل جنة المأوى، وجنة عدن، ودار السلام، ودار المقامة، وجنات النعيم، والمقام الأمين، ومقعد صدق، فتلك كلها أسماء لها باعتبار صفاتها ومسماها واحد[٢].

يعني أن هذه الأسماء ليست لتميز جنة عن أخرى ولكن للجنات أجمع.[٣] وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى من غير شك.

(١) نفسه.

(٢) حادي الأرواح لابن القيم، ص٦٥.

(٣) التذكرة للقرطبي، ج٢ ص٥٩٧.

٣- أعداد الجنة:

ولما كانت الجنة اسماً لدار الخلد وهي مشتملة على جنات بداخلها كثيرة فإن القرطبي قد أشار إلى أن الله تعالى أتى بذكر أعداد الجنات فلم يثبت إلا أربعاً[(١)].

وهذه الأربع تم ذكرها في سورة الرحمن مرتبة حسب استحقاق العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنات.[(٢)]

يقول عز وجل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[(٣)] تم أتى بنعت لهاتين الجنتين فقال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾[(٤)] وعدد صفاتهما أيضاً، يقول ابن كثير: جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين[(٥)].

ودلت السنة المطهرة على هذا العدد أيضاً ولم تزد عليه شيئاً، فقد روى مسلم بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكِبْرياء على وجهه في جنة عدن»[(٦)].

إذاً فالعدد أربع لا غير بنص الكتاب والسنة، ومعلوم أن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى لم يذكر هذه الأعداد من الجنات التابعة لجنة، الخلد وهذا يعني استقلالية الإسلام عن غيره وكذب المستشرقين المفترين.

٤- أبواب الجنة:

وفي حديثه عن الجنة ذكر الإسلام أبواب الجنة وأعدادها وهذا ما لم يذكر بتفصيل في الأديان السابقة كما ذكر في الإسلام

---

(١) المرجع السابق، ج٢ ص٥٩٧.
(٢) الكشاف للزمخشري، ج١ ص٢٥٧.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.
(٤) سورة الرحمن، الآية: ٦٢.
(٥) تفسير ابن، كثير ج٤ ص٢٨٢.
(٦) صحيح مسلم، ج١ ص١٦٣، حديث رقم٢٩٦.

قال تبارك اسمه في سورة الزمر: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[1].

وقال عز وجل في سورة ص: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٤٩) جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ (٥٠) ﴾[2]. والأبواب المفتحة في الجنة دليل على التكريم والحفاوة من الملائكة الخزنة الموكلين بها المؤتمنين عليها[3]: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[4].

وقد أشار العلماء إلى أن أبواب الجنة ثمانية[5] ويدل على ذلك ما جاء في صحيح مسلم بسنده أن النبي ﷺ قال: **«ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ» أو فيسبغ» الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»**.[6]

٥- درجات الجنة:

ولم يغفل الإسلام ذكراً أن للجنة درجات يترقى عليها المؤمنون على حسب أعمالهم قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾[7] ويقول جل شأنه: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) ﴾[8].

---

(١) سورة الزمر، من الآية: ٧٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٤٩، ٥٠.

(٣) اليوم الآخر، ص٢٣٨، ٢٣٩.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٥) راجع التذكرة للقرطبي، ج٢ ص ٥٤٨

(٦) صحيح مسلم، ج١ ص ٢١٠ حديث رقم ٢٣٤.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٢-٤.

(٨) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

ويعني بالدرجات المنازل التي ينزلها الله لأوليائه في الجنة ، فكما أنهم يتفاوتون في الأعمال الصالحة في الدنيا فإنهم سيتفاوقون في منازلهم يوم القيامة في الجنة.

وقد جاء في السنة أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.. وإن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما يرى الكوكب الغابر في أفق السماء ،[١] وأن الفردوس أعلى درجة فإذا سأل الإنسان ربه فليسأله الفردوس.

كما أن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة.[٢] وهذه الدرجات والمنازل في الجنة بهذا التفصيل الواضح تفرد بذكرها الإسلام دون غيره من الأديان مما يبين أيضاً فساد مقولة الاقتباس من غيره كما زعم المفترون.

ثانياً : لقطات أخرى عن الجنة وحال ساكنيها :

وبالإضافة إلى ماسبق ذكره القرآن الكريم أوصافاً إجمالية عما في الجنة تجعل المتقين في طلب دائم إليها ومعايشة غير منقطعة مع الوسائل الصالحة الموصلة إليها. ولننظر ونتأمل تلك اللقطات التي صورها القرآن الكريم

١ - الأشربة في الجنة :

ففي سورة محمد قال ـ عز وجل ـ عن هذه الأشربة : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص ٣٦.

(٢) صحيح مسلم ج١ ص ١٧٥ حديث رقم ٣١١.

(٣) سورة محمد، الآية : ١٥.

ومثل الجنة -أي نعتها - فيها أنهار من ماءٍ غير آسن أي صاف غير متغير لا كدر فيه ، - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه- أي في غاية البياض والحلاوة والدسومة ، وأنهار من خمر لذةٍ للشاربين أي ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا ، فهي حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل ، -وأنهار من عسل مصفى- أي في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح[1].

٢- أصناف أخرى: من الشراب تقدم لأهل الجنة الأبرار أشار الحق إليها في سورة الإنسان فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) ﴾[2].

وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذة في الجنة -يفجرونها تفجيراً- أي يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا من قصورهم.

وفي سورة المطففين يقول تبارك اسمه: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨) ﴾[3] والرحيق اسم من أسماء الخمر يخلط بالمسك ويختم تكريماً له بالصيانة ، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه[4].

٣- أما عن طعام أهل الجنة: فقد جاء ذكره بجوار الفاكهة في قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) ﴾.

(١) تفسير ابن كثير، ج٤ ص ١٧٨ ، ١٧٩.

(٢) سورة الإنسان، آية ٥.

(٣) سورة المطففين، آية ٢٥-٢٨.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٤ ص ٤٩٨ ، وحادي الأرواح، ص١٢٩ ، ١٣٠.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٢٠-٢١.

وقد وصف النبي ﷺ هذا الطير فقال: «إن طير الجنة كأمثال البُخت يرعى في شجر الجنة. فقال أبو بكر يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة، فقال: أكلها أنعم منها. قالها ثلاثاً وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها»[1] ومعنى ناعمة أي سِمان مترفة.

٤- **حمل الطعام والشراب في الجنة**: أما عمن يحملون الطعام والشراب للمنعمين في الجنة فلم يغفل القرآن الكريم ذكرهم حيث بين ذلك في قوله تعالى من سورة الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨)﴾[2].

وفي سورة الإنسان يقول تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦)﴾[3].

أي يطوف عليهم غلمان أو خدم بأواني الطعام وهي من فضة، وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم، وهذه الأكواب وإن كانت مصنوعة من فضة إلا أنها مع هذا شفافة يُرى ما في باطنها من ظاهرها وهي مما لا نظير له في الدنيا -وقدروها تقديراً- أي على قدر ريهم لا تزيد عنه ولا تنقص .. أو على قدر أكف الخادم وهو لا ينافي تقديرها في القدر والري[4].

٥- **الزواج واللباس والمسكن في الجنة**: وهذا لون آخر من ألوان النعيم قدره الله لعباده الصالحين حيث جعل لهم أزواجاً من الحور العين مطهرة من الحيض والاستحاضة وجميع الأقذار يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤)﴾[5].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤ ص ٢٩٢، وتحفة الأحوذي، ج٧ ص٢٥٠.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ١٧-١٨.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ١٥-١٦.

(٤) انظر تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤٦٦.

(٥) سورة الدخان، الآية: ٥١-٥٤.

ووصفهم بقوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾[1] أي مقصورات على أزواجهن ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾[2] وزاد في الوصف: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[3].

وجاء في **السنة المطهرة** أن المرأة من نساء أهل الجنة لُيرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة من الحرير حتى يرى مُخها[4].

وسميت حور عين لبياضها كما في لغة العرب. قال مجاهد: الحور العين التي يحار فيهن الطرف، بادياً مُخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن من رقة الجلد وصفاء اللون[5]، والجميع يسكن في مساكن راقية وقد وصفها القرآن بأنها مساكن طيبة قال سبحانه: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[6] وأخبر المصطفى ﷺ عن هذه المساكن ذاكراً نعتها في الجنة قائلاً:

«إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال لمن هي يا نبي الله قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله والناس نيام)[7].

٦- **التزاور بين أهل الجنة:** ثم بين القرآن الكريم أن في الجنة تزاوراً بين أصحابها وذكراً للأحوال السابقة في الدنيا فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[8] وللتزاور بين أهل الجنة وتبادل الحديث بهذه الطريقة وتذكر الماضي دليل على مدى فرحتهم برحمة ربهم بهم وإعطائهم الجزاء الأوفى على أعمالهم بدخولهم جنته.

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧٢.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٧٤.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٥٨.
(٤) تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٨٤.
(٥) حادي الأرواح ص١٥٠.
(٦) سورة الصف، الآية: ١٢.
(٧) صحيح مسلم ج٢ ص٥٣٤.
(٨) سورة الطور، الآيات: ٢٤-٢٨.

٧- **أكبر أنواع النعيم في الجنة**: وفوق هذا وذلك يتمتع أصحاب الجنة بأكبر وأجمل أنواع النعيم الذي يمن الله به على عباده المؤمنين ويتمثل هذا في رؤية الرحمن جل وعلا فتبيض وجوههم وتطمئن نفوسهم لرؤية الحق تبارك وتعالى، تلك الرؤية التي تظاهرت أدلة الكتاب والسنة على ثبوتها.

قال تبارك اسمه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] أي حسنة بهية مشرقة مسرورة بسبب رؤيتها لمالك الملك وملك الملوك.

وجاء في السنة المطهرة أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه كذلك[2] -نسأل الله أن يجعلنا منهم-

وبعد هذا العرض أقول:

بهذا التوضيح والتفصيل جاء الحديث عن الجنة في الإسلام دين الله في الأرض وهو يغاير جملة وتفصيلاً حديث الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى عن الجنة، فالفروق كما رأينا واضحة وجلية، وقد أسهبنا في ذكر هذه التفاصيل المتعلقة بالجنة في التصور الإسلامي لنطلع المستشرقين الحاقدين ومن سار على نهجهم على مدى الثراء الإسلامي في ذكر الجنة ونعيمها، ونبين أن الإسلام دين موحى به من عند الله ولم يطلع محمد ﷺ على كتب السابقين ليأخذ منها ما يؤسس به دينه أو يقوي به حججه، خاصة فيما يتعلق بالحديث عن الجنة التي قال هؤلاء إن كل ما ذكره الإسلام أخذ عن كتب السابقين يهوداً أو نصارى، وها هي كتب اليهود والنصارى خاوية على عروشها ليس فيها هذا التوضيح والتفصيل عن الجنان، وكل ما ذكر في هذا الشأن كما علمنا

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٢٢-٣٢.

(٢) صحيح مسلم ج١ ص ١٦٤ كتاب الإيمان حديث رقم ٢٩٩.

حديث مقتضب غير كاف ولا شاف، وهي في هذا المجال فقيرة جداً والإسلام غني جداً ولا يعقل أن يسرق الغني من الفقير أو يتحامل الصحيح على المريض - إن صح التعبير-.

أمر غريب:

والغريب أن المستشرقين بدلاً من أن يعترفوا بهذا الخطأ المنهجي الذي وقعوا فيه بعدما رأوا مدى استقلالية الإسلام في حديثه عن الجنة ومدى التفاصيل المذكورة عنها والمؤكدة على هذه الاستقلالية ذهبوا إلى القول بأن فكرة الإسلام عن الجنة جاءت مادية حسية لإغواء الآخرين بقبوله -كما نقلنا عنهم آنفاً-

وأقول لهؤلاء المستشرقين:

من الذي أعلمكم أن الإسلام فكرته عن الجنة مادية فقط، إن هذا الادعاء خال عن الحقيقة، ولو تأملتم ما ذكره الإسلام ونقلناه أنفاً لو جدتم أنه قد جمع بين ما هو مادي حسي وما هو روحي معنوي، ولم يغفل هذا الجانب الأخير أبداً.

وقد تمثل هذا الجانب -كما ذكرنا- في مدى تمتع الروح بجوار النظر برؤية الله تبارك وتعالى كما في قوله جل وعلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1]

فالزيادة كما يقول المفسرون هي النظر إلى وجه الله الكريم، فإنها زيادة أعظم من جميع ما أعطوه من قصور وأزواج وأطعمة وأشربة إلخ[2]، بالإضافة إلى الفوز الأبدي برضوان الله خالق الخلق وملك الملوك قال جل شأنه: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3] أي رضى الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم؛ لأنه رضا لا يعقبه سخط أبداً[4] وهذا مما يريح النفس ويجعلها في متعة دائمة. قال عز وجل: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[5]

---

(١) سورة يونس آية ٢٦.
(٢) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٤٢٧.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٢.
(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٨٢.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

فهل يقال بعد ذلك إن الإسلام فكرته عن الجنة جاءت مادية فحسب؟ كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

جهنم أنتم أحق بها وأهلها:

وبقي في النهاية أن أشير إلى ما زعمه المستشرقون من قول بأن الإسلام كما أخذ مفهوم الجنة عن اليهودية والنصرانية كذلك أخذ مفهوم جهنم عن العبرية -اليهودية- على حد تعبير (كرادي فو) -السابق ذكره-

ولهذا وأمثاله أختم الحديث وأرد بما يلي:

أولاً: ثبت أن حديث اليهودية عن جهنم حديث مقتضب كما هو الحال في مسألة الجنة والأمور الأخروية كلها، وما ورد في القرآن الكريم عن ذكر جهنم وأسمائها وعذابها بألوانه المختلفة ومن أعظمه احتجاب المجرمين عن رؤية ربهم يوم القيامة لدليل كاف على مدى استقلالية الإسلام عن غيره؛ لأن اليهودية والنصرانية لا توجد بهما هذه التفاصيل.

وثانياً: أننا لسنا في حاجة إلى استعارة اسم جهنم من عندكم، فأنتم وأمثالكم أولى بها وأحق، وما ذكر عنها في كتاب ربنا يكفي أنه يذكرنا بما يقع على كل مفتر مجرم كاذب يُلبس الحق بالباطل ويزعم أنه على حق وهو في الحق على غير الحق.

والحق أسأل أن يبعدنا عن المجرمين ويحشرنا في زمرة الصالحين ويحرم أجسادنا على النار ويدخلنا دار المتقين ويمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم إنه قريب مجيب عليم.

❁ ❁ ❁

الفصل الثامن

افتراءات المستشرقين على عقيدة القضاء والقدر في الإسلام والرد عليها

الفصل الثامن

افتراءات المستشرقين على عقيدة القضاء والقدر في الإسلام والرد عليها

لما كانت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في الإسلام من العقائد ذات الأهمية بين أركان الإيمان لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بوحدانية الله تعالى وقدرته ؛ فهو المصرف وحده لأمور الكون وكل شؤون الإنسان، فلا يقع أمر إلا بعلمه وقدرته، فهو الذي أوجد وأفنى وأمات وأحيا وأضل وهدى (فهي إذاً سر الله في خلقه كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[1] ولابد من التسليم والتصديق بها (فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده على حد تعبير ابن عباس رضي الله عنه)[2]

لما كان الأمر كذلك وكانت هذه العقيدة مثار اهتمام واحتضان من أبناء الإسلام عمد الغلاة من المستشرقين إلى إثارة الغبار عليها -كسابقتها من العقائد الإسلامية- وشككوا وقالوا على لسان المستشرق (جيته) :

١ - إن هذه العقيدة فكرة إسلامية خاصة (وإن المحمديين)[3] يقومون بتعليمها إلى شبابهم على أنه لا يصيبهم إلا ماقدّر الله ودبر بإرادته. وهذا أساس دينهم منذ الأزل[4].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٢٠ تحقيق د/ عبد الله عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط..

(٢) نفسه ص٣٢٢.

(٣) يعني المسلمين، وهذا اللفظ يردد دائماً على ألسنة الغلاة من المستشرقين ؛ لأنهم يتصورون أن علاقة المسلمين بمحمد ﷺ كعلاقة النصارى بعيسى عليه السلام وهذا خطأ لأن الاسم الذي ارتضاه الحق جل وعلا للأمة هو اسم (المسلمون) وكذلك يرفضون قول المحمدية .انظر: دفاع عن العقيدة والشريعة ص٨٩ الشيخ محمد الغزالي.

(٤) نفسه.

٢- ثم زعموا أن الإسلام بهذه العقيدة كان سبباً في تخلف المسلمين عن ركب الحضارة، وكان دعوة إلى التواكل والخمول والكسل وعدم السعي للعمل اعتماداً على أن الله قدر عليهم كل شيء وأنه لن يصيبهم إلا ما كتب لهم فهم نتيجة لهذا المعتقد مستسلمون(١).

٣- ثم نظر المستشرقون بعد هذا الزعم في الآيات القرآنية الوفيرة التي تتحدث عن هذه العقيدة وتثبت أن للإنسان أيضاً حرية اختيار، فذكروا على لسان كبيرهم (جولد تسيهر) «أن هذه الآيات بينها تناقض وتنافر وهي سبب في وجود المذاهب المتعارضة في الإسلام في مسألة حرية الإرادة والقدرة..»، وأن محمداً ﷺ في الأزمان الأولى للعصر المكي كان يتلو آيات تتجه إلى حرية الاختيار والمسؤولية ويقبلها تماماً، أما في المدينة فكان يذكر آيات تتجه للجبر؛ لذا فالتعاليم الأكثر جبرية تميزت بها فترة المدينة(٢).

وللرد أقـول:

من العرض السابق تبين أن غلاة المستشرقين في عقيدة القدر قد حادوا عن الصواب وخالفوا ما هو مألوف ومعروف لدى الباحثين المدققين والأدلة ما يلي:

أولاً: إنهم زعموا في القـول الأول أن هذه العقيدة التي يعلّمها المسلمون لشبابهم والتي فيها يخضع المرء لمشيئة الله وتقديره عقيدة مبتدعة عند المسلمين وخاصة بهم وهذا قول غير دقيق.

«لأن الشعور بالسلطة العليا للقدر -كما يقول الشيخ محمد الغزالي- معروف في أديان الله كلها وليس وقفاً على الإسلام» بالإضافة إلى أنه معروف في النحل والفلسفات القديمة(٣)، وإن كان هناك انحراف عن الأديان في مفهوم القدر.(٤)

---

(١) الاستشراق تاريخه وأهدافه، ص٥٦، ١١٣ د/ أحمد شلبي، والغزو الفكري أبعاده ومواجهته، ص٨٢ د/ عبد العزيز تمام.

(٢) راجع العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٩٣ - ٩٧، ودفاع عن العقيدة ص٩٣.

(٣) دفاع عن العقيدة والشريعة، ص٨٩.

(٤) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ص١٢٥ د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود - دار الوطن، الرياض.

١- أما القدر في الأديان السماوية القديمة

فقد أشار القرآن الكريم إلى أن جميع أنبياء الله ورسله قد أقروا وسلموا بقضاء الله وقدره، وبأن ما شاء الله وأراد كان، وما لم يشأ ولم يرد لا يكون، وأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد.

أ- فها هو نوح عليه السلام: يطلب منه قومه أن يستعجل لهم العذاب الذي وعدهم به إن لم يؤمنوا بعد مراحل طويلة من الجدال معهم فيقول لهم: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١)

فلو كان الله تعالى قدَّر عليكم -أن يغويكم- أي يضلكم فإن نصحي لا يفيد لأنه وحده له الحكم والأمر -وإليه ترجعون- فيجزيكم بأعمالكم(٢) ولا يظلم سبحانه أحداً.

ب- أما إبراهيم عليه السلام: فيعرض رؤياه المنامية على ابنه إسماعيل عليهما السلام ويخبره بأنه رأى في منامه أنه يذبحه، وإسماعيل يعلم أن رؤيا الأنبياء حق وأن هذا أمر من الله عز وجل فيسلم ويستسلم ويطيع ويبر ويقول لأبيه بكل رقة وحنان: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (٣) أي إن كان الله قدّر ذلك عليَّ فإني موطن نفسي على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى؛ لأنه لا يكون شيء بدون مشيئته.(٤)

ج- كذلك يوسف عليه السلام: بعدما مرت عليه سنون وأيام ذاق فيها مرارة الحرمان من الحنان الأبوي ووقع عليه اتهام بدون دليل ولا برهان وغاب بين جدران السجون يمنّ عليه الحق بعد ذلك بالبراءة والعزة والرفعة في المكان فيدعو

---

(١) سورة هود، الآية: ٣٣/ ٣٤.

(٢) مختصر تفسير البغوي، ج١ ص٤١٣.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٤) راجع تفسير ابن كثير، ج٤ ص١٥، والقضاء والقدر د/ المحمود، ص١٢٧.

أبويه إلى زيارة عرشه في مصر فيخرون له سجداً فيقول: مذكراً أباه برؤياه الماضية التي قصها عليه وهو طفل صغير: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

أي إذا أراد أمراً قيض له أسبابه ويسره -إنه هو العليم- بمصالح عباده- الحكيم في أقواله وأفعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريده[2].

وهذا يعني أن يوسف عليه السلام كان مسلماً بقضاء الله وقدره، ومعتقداً أن كل ما جرى له كان بتدبير من الحق وبحكمة يعلمها جل وعلا؛ لأنه وحده المدبر لشؤون خلقه.

د- كذلك موسى عليه السلام: يسلم بمشيئة الله وقدره، والدليل على ذلك أنه مرة يختار من قومه سبعين رجلاً لميقات ربه فتأخذهم الرجفة فينادي ربه ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[3] أي هذا هو ابتلاؤك واختبارك وامتحانك ... فلا أمر إلا أمرك ولا حكم إلا لك، فما شئت كان، تضل من تشاء وتهدي من تشاء، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت، فالملك كله لك والحكم كله لك، لك الخلق والأمر.[4] فموسى عليه السلام كان متأكداً من قضاء الله وقدره في كل شؤون حياته وشؤون الآخرين.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٢ ص٥٠٥

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٤) تفسير ابن كثير، ج٢ ص٢٦٠

هـ- أما زكريا النبي الكريم كان كلما يدخل على مريم في المحراب يجد عندها رزقاً حسناً متنوعاً ففاكهة الصيف يجدها في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول أنّى لكِ هذا فتقول:

﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [1] حينئذ يطمع زكريا ويدعو ربه بأن يرزقه ذرية طيبة فيستجيب له ويُبلَّغ بالإجابة الفورية فيزداد تعجباً ويقول: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [2]

أي هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر؛ لأن كل شيء خاضع لمشيئته وتقديره.[3] وهكذا يتضح من آيات الكتاب العزيز أن عقيدة القضاء والقدر كانت معلومة في كل الأديان السماوية الصحيحة والسابقة لدين محمد عليه الصلاة والسلام، وليست بدعة عند المسلمين، وهذا إن دل فإنما يدل على أن الرسل وإن اختلفت أزمانهم وبعض شرائعهم إلا أنهم في العقيدة سواء، والإيمان بالقدر جزء من هذه العقيدة[4].

٢- ما ورد عن القدر في النحل والفلسفات القديمة:

ولما كانت مسألة القضاء والقدر مرتبطة بحياة الإنسان ودوره وحركته في هذا الكون الفسيح فقد جاء ذكره عند أرباب النحل والفلسفات القديمة أيضاً بغض النظر عن مدى صحة أقوالها أو عدمها في هذه المسألة، فإنه قد ثبت عند المؤرخين أن فلاسفة اليونان الذين كان من أشهرهم أرسطو وأفلاطون وأبيقور وفيثاغورث

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.

(٣) راجع تفسير ابن كثير، ج١ ص٣٥٢-٣٥٤، ومختصر تفسير البغوي ص١١٧.

(٤) انظر: القضاء والقدر، ص١٣٢ د/ عبد الرحمن المحمود

قد تكلموا في القدر وذكروه، وكذلك السريانيون[١] والزرادشتيون[٢]، كما بحث في هذه المسألة فلاسفة النصارى... والمجوس[٣] والصابئة[٤] والدهرية[٥] وكذلك مشركو العرب، وهؤلاء وإن ذكروا القدر - كما قلت - إلا أنهم لم يكونوا على رأي واحد فيه، فمنهم من كان يقول بأن الإنسان محدث لأفعاله بدون قدرة الله[٦]، ومنهم من كان يزعم أن الإنسان مجبر على كل شيء في حياته[٧] ومنهم من جعل الدهر هو المبدأ الأساسي وجعله عين القدر أو الفلك الأعظم أو حركة الأفلاك[٨].

ومنهم من كان يثبت القدر وهو ما يزال على شركه للاحتجاج به في المعاصي[٩]. إذاً الكلام في القضاء والقدر والجبر والاختيار أمر ليس وليداً في الإسلام، بل هو قديم قدم الفكر الإنساني، وفيه خاض أرباب النحل والفلسفات من أعمار طويلة وافترقوا فيه على مذاهب شتى.

ثانياً: التصور الإسلامي الحقيقي لعقيدة القضاء والقدر والذي يعنينا في هذا المقام هو بيان كيفية فهم هذه العقيدة في التصور الإسلامي الحقيقي وما ذاك إلا لأن المستشرقين عمدوا إلى تشويه كل جميل يتصل بهذه العقيدة كما رأينا (فجولد تسيهر) يرى الآيات القرآنية الوفيرة التي توضح للمسلم ما يريد فهمه في هذا الموضوع، فيزعم أن هذه الآيات متنافرة ومتناقضة وأنها كانت سبباً في وجود

(١) وهم يدينون بالنصرانية والوثنية، وقد ساهم بعضهم في عهد المأمون في ترجمة الفلسفة الإغريقية إلى العربية.

(٢) أتباع زرادشت بن يورشب كان أبوه من أهل أذربيجان وأمه من الري.. وقد زعم أتباعه أن لهم أنبياء وملوكاً.. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص١١٠.

(٣) هم الذين قالوا إن للعالم أصلين النور والظلمة. انظر: الملل والنحل ص١٠٩.

(٤) هم الذين مالوا عن الحق وزاغوا عن نهج الأنبياء ويقولون بالروحانيات ويقابلون الحنفية - المصدر السابق ص١٢٥.

(٥) هم الذين جحدوا الصانع المدبر وزعموا بأن العالم وجد بنفسه بدون صانع - انظر: القضاء والقدر، هامش ص١٣٦.

(٦) هذا هو قول المجوس.

(٧) وهو قول صابئة حران وبهم تأثرت فرقة الجبرية فيما بعد.

(٨) وهذا هو مذهب الدهرية، انظر: القضاء والقدر، د/ المحمود، ص١٣٢-١٣٧.

(٩) وهم مشركو العرب وقولهم ظاهر البطلان.

مذاهب متعارضة في الإسلام، وأن القرآن الذي نزل في مكة يدعو لحرية الاختيار عند الإنسان بينما في المدينة يتجه للجبر..إلخ.

وهذا زعم فارغ.وفهم خاطئ لما يلي:

١- أن القرآن أوله يصدق آخره، فالآيات الكريمة التي نزلت في مكة لا تختلف عن التي نزلت في المدينة، فكل منها تشير إلى معنى الجبر والاختيار، ولو قرأ (جولد تسيهر) سورة الإسراء وهي مكية لوجد فيها قول الله تعالى: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

وفيها أيضاً: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[2].

والآية الأولى تشير إلى حرية الإنسان والثانية إلى المعنى الموهم للجبر كما فهمه (جولد تسيهر) ومن سار على دربه والآيتان نزلتا بمكة.

ولو قرأ في سورة البقرة وهي مدنية لوجد قول الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[3] وفيها أيضاً قوله سبحانه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ﴾[4].

وفي الآية الأولى إشارة إلى ما يوهم الجبر، وفي الثانية إشارة إلى الحرية في الكسب، والسورة كما أشرت نزلت بالمدينة. وكذلك الأمر موجود في سورة الكهف وهى مكية ففيها قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[5].

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.
(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٦.
(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦.
(٥) سورة الكهف، من الآية، ٢٩.

ومنها قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1] وهكذا يتضح أن كل آيات القرآن الكريم يلتقي بعضها ببعض ويعضد أولها آخرها، فالقرآن في نظمه ومعناه وفي أسلوبه ومرماه لا يختلف مكيه عن مدنيه في شيء فآخره يصدق أوله، وأوله يمهد لآخره، والقول بالتنافر والتناقض بين الآيات هنا قول يرفضه واقع الآيات ذاته كما رأينا من خلال ما سقناه، ويوضح أن المستشرقين لم يقفوا على مدى التنظيم والتنسيق والانسجام الكامل بين سور وآيات الكتاب العزيز.

٢- ما فهمه العلماء في ضوء هذه الآيات وغني عن البيان أن هذه الآيات الكريمة التي تحدثت في موضوع القدر والذي يعد ركناً أساسياً من أركان الإيمان عند أهل السنة كانت ذات شعبتين -كما رأينا- شعبة تؤكد أن للإنسان إرادة حرة وأن له كسباً واكتساباً وهذا حق. وشعبة تؤكد أن للقدر الأعلى هيمنة على نظام الوجود كله ودائرة أوسع من دائرة الإرادة الجزئية للإنسان وهذا حق أيضاً. ولا منافاة بين هذه الآيات وتلك، ومعظم علماء الإسلام في ضوء فهمهم لسياق الآيات الكريمة يذهبون إلى أن كل المخلوقات والحادثات بما فيها الإنسان تابعة للإرادة الكلية الإلهية، ولكن الله منح الإنسان إرادة جزئية لتكون له دليلاً يميز به الخير من الشر والحسن من القبيح[2] في ضوء الشرع الحكيم.

وهذا هو ما أشار إليه الشيخ محمد الغزالي حين قال: «إن العلماء يفرقون بين المجال الذي تعمل فيه الإرادة الإنسانية وترتبط به مسؤوليتها وبين المحيط الرحب الذي تمتد فيه الإرادة الإلهية المطلقة».

الأول: مجال الأفعال الاختيارية التي يتعلق بها الثواب والعقاب.

---

(١) سورة الكهف، من الآية: ١٧.

(٢) راجع الغزو الفكري ص٨١، ودفاع عن العقيدة ص٩٢، ٩٣.

والثاني : مجال القدر الذي يتلقى الناس سراءه وضراءه بالتسليم والرضا ، والآيات القرآنية تتناول هذا وذلك ، وقد شرح العلماء حدود كل مجال وضربوا له الأمثلة بحيث ينتفي التناقض الذي توهمه المستشرقون ومنهم (جولد تسيهر)[1].

٣- أمثلة عن الجبر والاختيار :

أ- هناك أمور تحدث وتتم بمحض القدرة العليا وعلى وفق المشيئة الإلهية وهي تنفذ في الناس طوعاً أو كرهاً سواء شعر بها الناس أم لم يشعروا ، فالعقول ومقدار ما يودع فيها من ذكاء أو غباء والأمزجة وما يلابسها من هدوء أو عنف ، وجسم الإنسان وما يكون فيه من طول أو من قصر ومن جمال أو قبح ، والمكان الذي يولد فيه الإنسان والزمان الذي يعيش فيه ، وطول عمره أو قصره واختيار أبويه والصحة والمرض والسعة والضيق في الرزق الخ.

كل هذه الأشياء لا دخل للإنسان فيها بل تتحرك بتقدير الله تعالى وإرادته ؛ لأنه هو واهب الحياة وخالقها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

ومن فضل الله وكرمه أن هذه الأمور ليست محلاً للمؤاخذة ولا موضعاً للحساب ومن ثمَّ فلا يصح للإنسان أن يعترض عليها أو يسخر منها ؛ لأنها من الخصائص التي لا سبيل لنا إليها وفي مثلها يساق قول الله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

فالتسليم والإيمان بهذا الضرب من القدر واجب والأدلة عليه متظاهرة من العقل والنقل[4] ، وكلها لا تخرج عن قبول التسليم بإرادة الله العليا جل وعلا.

---

(١) المصدر السابق، ص٩٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية : ٥، ٦.

(٣) سورة القصص، الآية : ٦٨.

(٤) انظر عقيدة المسلم، ص١١٧-١١٨ الشيخ محمد الغزالي.

ب- ثم إن هذه الإرادة العليا منحت الإنسان بعد ذلك إرادة وقدرة نلمسها فيما نباشر من أعمال تقع منا مثل الاختيار بين البديلات عن طريق العقل، وهذه حرية يبنى عليها الثواب والعقاب، وتكون فيها المؤاخذة والحساب وهذا حق ولا يظلم ربك أحداً إذ الحجة حينئذ تكون من جهة الإنسان له أو عليه.

فمثلاً: الله تعالى قدر الرزق للإنسان وخلق وسائل السعي إليه، فمن سعى وطلبه بحلاله وصل إليه ما قدره الله وكان سعيه مشكوراً، ومن تكاسل وقعد وقال قُدِّر لي رزقي ولم يخرج في طلبه كان مأزوراً غير مأجور، وهلك بجوعه؛ لأن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ولا طعاماً، كذلك الأمر. في قبول فرائض الله أو هجرها فالإنسان قد يكون في نهار رمضان وأمامه الطعام والشراب فبإرادته واختياره قد يأكل، وقد لا يأكل والله تعالى وإن كان قد فرض الصيام عليه إلا أنه لم يجبره ولم يقهره بل ترك الأمر له وقدَّر عليه إن أكل فمصيره العقاب، وإن امتنع وأطاع فمصيره الثواب ولا يظلم ربك أحداً.

وقد فطن إلى ذلك الطحاوي ـ رحمه الله ـ حين قال: «يحتمل أن يكون الله - عز وجل- إذا أراد أن يخلق النسمة جعل أجلها إن برت كذا وكذا، وإن لم تبر كذا وكذا لما هو دون ذلك... وإن عملت كذا حرمت كذا وإن لم تعمل كذا رزقت كذا ويكون ذلك مما يثبت في الصحيفة التي لا يزاد على ما فيها ولا ينقص منه»[1].

وهذا يعني أن حرية الإنسان في الاختيار بين البديلات وما يمكن أن يقوم به مقدرة ومسجلة ومكتوبة في كتاب عند الله عز وجل وهذا تصديق لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) مشكل الآثار، ج٤ ص١٧٠ لأبي جعفر الطحاوي عن كتاب القضاء والقدر ص٣٩٩ د/المحمود.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

فهو خالقكم ومهيء كل الوسائل لكم ومميزكم بنعمة العقل ولم يقهر أحداً على الطاعة، وهذا أمر في غاية التكريم للإنسان في هذا الدين القويم وإلى ذلك يشير الشيخ الشعراوي قائلاً: هناك أمور قضى الله وحكم فيها ... فوفر طاقة الجدل واللجاجة.. وأمور تركها سبحانه للنفس الإنسانية التي تتميز بالعقل لينمي فيها ملكة الاختيار بين البديلات والتي هي مظهره.. والله تعالى لو أراد الدين قالب حديد لا تتحرك فيه لسهل ذلك عليه.. ولكن في ذلك إهدار لما خلق الله من الاختيار بين البديلات للعقل إذا قهرنا قهراً على شيء كما قهر الحيوان والجماد على أشياء فسميناها مسخة لا رأي لها، وتلك سمة تنافي مع تكريم الله للإنسان حين جعل له اختياراً وخلقه مختاراً»[١].

ويقول الشيخ الغزالي: «إن طبيعة الدين -وهي التكليف والابتلاء- لا تتحقق البتة مع استعباد الإرادة وتقييدها، وإيقاع الجزاء كذلك لا يتوجه ويقر إلا في هذا الجو الطلق الفسيح»[٢] -حرية الاختيار-

بقي بعد تقرير حرية الإنسان في الاختيار بين البديلات وسؤاله عما يقع عنه في ذلك وخضوعه لهيمنة القدرة العليا بقي سؤال يقول:

كيف تتفق حرية الإنسان مع هذا الخضوع؟ أو بمعنى آخر كيف يتفق هذا مع ما ورد من لفظ هداية الله وإضلاله في الآيات القرآنية السابقة وغيرها؟

والجواب أن:

٤- معنى يضل من يشاء ويهدي من يشاء:

أي أن الشخص الذي آثر الغي على الرشاد وعشق ذلك وداوم عليه فإن الله تعالى يقره على مراده ويبقيه طالما هو أحب ذلك وارتضاه ودعي أن يبعد عنه فلم يقبل، والقرآن الكريم يوضح ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[٣].

(١) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام، ص٨٦، ٨٧.

(٢) عقيدة المسلم، ص١٢٠.

(٣) سورة الصف، الآية: ٥.

فهم الذين جنوا على أنفسهم ولم يجن عليهم أحد ؛ لذلك منعوا الهداية من الله تعالى وهو عادل في حكمه : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.(1)

والمنافقون أضلهم الله لأنهم خالفوا أوامره قال تعالى : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾(2).

فإطلاق المشيئة من الله تعالى في إضلالهم سببه أعمالهم التي قاموا بها ، فكيف ينتظر لهم إلا إبقاؤهم على ما هم عليه ؛ لأن ذلك هو الذي سيؤدي بهم إلى جهنم وساءت مصيراً هذا هو معنى يضل ولا يهدي فهو معنى مترتب على ما اختاره الإنسان عن طريق الحرية التي رزقه الله إياها. والحال كذلك في معنى : ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾.

فلننظر إلى قيمة الإرادة الإنسانية في قول الحق وهو يتكلم عن إرادته : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ (3) فهؤلاء عشقوا ذكر الله وأحبوه ورددوه وأنابوا إلى خالقهم ورجعوا عن ذنوبهم ، ألا ينبغي أن يقرهم ربهم على هدايتهم ويزيد فيها فهو يهدي إليه من أناب.

يقول ابن كثير «أي رجع إليه واستعان به وتضرع إليه»(4) : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي الذين كانوا على عكس هؤلاء ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾(5).

---

(1) سورة النساء، الآية : ١١٥.

(2) سورة البقرة، الآية : ٢٦، ٢٧.

(3) سورة الرعد، الآية : ٢٧-٢٨.

(4) تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٢٧.

(5) سورة التوبة، الآية : ١٥.

فالهداية ليست لهم بل لمن اختار لنفسه الهداية وزرع عمره بالخير فإن القدر سوف ينميه له ورداً يانعاً، وإن اختار زراعته بالشر فإن يد القدرة ستنميه له شوكاً يافعاً ومؤثراً قال تعالى: ﴿مَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾.[1]

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.[2]

إذاً فالآيات القرآنية تفيد أن الهداية والإضلال وإطلاق مشيئة الله بهما في بعض الآيات فإنهما يقيدان بآيات أخرى يذكر فيها الاختيار الإنساني صريحاً والقرآن يفسر بعضه بعضاً، ويبين أن الإنسان إن اختار طريق الخير فالله لا يمنعه منه بل ييسره له ويزيل عنه العقبات ويزيده هدى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾.[3] وإن اختار الأخرى فليس له إلا الضلال بل وتيسير طريقه.

٥- الاحتجاج بالقدر في المعصية لا يجوز

ومن ثمَّ فلا يصح لأحد أن يحتج على المعصية بالقدر ويقول إن الله قدَّر عليَّ ألا أصلي مثلاً أو يسرق، ونسأله لماذا تسرق؟ يقول قدَّر الله عليَّ ذلك، أو يقول يهديني الله ولا أسرق، وهذا كلام المغفلين أو العصاة المتبجحين وقد قاله من قبل هؤلاء المشركون، فقد كان أحدهم حين يسأل عن سبب شركه يقول: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[4] فالقرآن الكريم يرفض هذا التبجح والمكابرة ويقرر أن ما قيل ليس هو من ضروب الحق بل وهم وظن وخيال وتجاهل عن المسؤولية وحرية الاختيار التي رزقها الله للإنسان.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٨-٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

وها هو عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يدخل عليه رجل سارق فيسأله عمر رضي الله عنه لِم تسرق؟ فيقول: سرقت بقضاء الله وقدره، فقال له عمر رضي الله عنه: ونحن نقطع يدك بقضاء الله وقدره[1] فالسارق احتج بالقدر على السرقة ليخلي مسؤوليته وهو يعلم أنها من المعايب؛ ولهذا كان جواب عمر رضي الله عنه حاسماً وبنفس الأسلوب الذي احتج به السارق ليبين له أن هذه المغالطة مرفوضة لأن الإنسان كما هو مجبر في أشياء غير محاسب عليها فهو مخير في أشياء أخرى خاضعة لاختياره بتقدير الله الذي يهدي ويضل ويعز ويذل. وهذا هو الفهم الصحيح عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وعند أهل السنة أجمعين.

٦- مذاهب مرفوضة

غير أن بعض الفرق ظهرت بين المسلمين وادعى بعضها أن الإنسان مجبور في كل أفعاله ولا خيار له ولا حرية، بل هو كريشة معلقة في الفضاء تسيرها الأقدار كيفما تشاء، وادعى آخرون أنه غير مجبر بل هو حر حرية مطلقة وخالق لكل أفعاله من نفسه.

وقد رأينا كيف نظر (جولد تسيهر) و المستشرقون معه إلى أصحاب هذه الأقوال وادعوا أن آيات القرآن الكريم في القضاء والقدر هي سبب ظهور هذا الافتراء لتناقضها وتنافرها-كما نقلنا عنه آنفاً- وقد أثبتنا أنه ليس بين هذه الآيات تنافر ولا اختلاف بل كل آية تتكامل مع أختها وبينهما التقاء وانسجام تام.

وإن كان (جولد تسيهر) اليهودي لم يفهم ذلك أو فهمه ولكن يغالط فيه كعادته. إلا أننا نشير أيضاً إلى أن أصحاب هذه الأقوال في الجبر المطلق أو الحرية المطلقة هم

---

(١) القضاء والقدر في الإسلام ص١٥٩.

شرذمة قليلون وغير معتد بهم بين أبناء الأمة وقد أساؤوا هم أيضاً فهم آيات الكتاب العزيز في موضوع القدر وهذا واضح وغير خفي:

فالذين قالوا بالحرية المطلقة وأن الإنسان خالق لأفعاله وأنه لا قدر مطلقاً فقد تعاموا عن عجز الإنسان أمام ما يصادفه من عقبات في حياته ولا يستطيع أن يزيلها، فلو كان حراً وخالقاً لأفعاله وقادراً على ذلك لأزال هذه العقبات والمشكلات لكننا نرى بأعيننا مدى عجز الإنسان عما يصيبه من أمور خارجة عن مدار إرادته فكيف يقال بأنه قادر على خلق أفعاله؟!.

أما الذين قالوا بالجبر المطلق: فهؤلاء من المخطئين أيضاً؛ لأنهم سلبوا الإرادة الجزئية وعطلوا العقل الإنساني عن أهم وظائفه وهي التميز بين الخير والشر والحسن والقبيح على ضوء ما علم من الشرع، بل ودفعوا البشرية إلى الاستسلام والعطل في هذه الدنيا وأسندوا الظلم لله تعالى العادل.[1]

ومعلوم أن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة وهذا هو ما عليه عقلاء الأمة في كل زمان ومكان، ومن ثمَّ فقد تبين خطأ ما ذهب إليه (التسيهر) وأعوانه من المستشرقين لأن أصحاب هذه المذاهب والأقوال -كما قلت- لا يصح أن تحسب أقوالهم على الإسلام، لأنهم لايمثلون أغلبية الأمة ولا فهمهم يلتقي مع فهم علمائنا الأجلاء وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

ثالثاً عقيدة توكل لا تواكل: ومن غرائب ما نقلناه عن المستشرقين -آنفا- ادعاؤهم أن التمسك بعقيدة القضاء والقدر في الإسلام هو سبب تأخر المسلمين ودعوة إلى التواكل والخمول والكسل وعدم السعي؛ فهم لذلك مستسلمون. والمستشرقون يقولون ويذيعون ذلك ليدفعوا البسطاء من الناس لنبذ الإسلام وعقائده، بل وليقدموا صورة لأبناء جلدتهم عن الإسلام مقلوبة، وسواء أكان هذا الأمر

---

(١) انظر: دفاع عن العقيدة والشريعة، ص٩٢.

بقصد -وهو ما نعتقده فيهم- أو من دون قصد -وهو ما لا نظنه كما هو معلوم عنهم- فإننا ندعوهم ومن صدقهم أن يقفوا معنا وقفتين.

الوقفة الأولى: وفيها نراجع معاً صفحات التاريخ لنرى ونشاهد هل هذا التأخر الذي نلمسه بين المسلمين الآن خاصة في التقدم العلمي ونقره ولا نكذبه -هل كان ملازماً للمسلمين كمسلمين في كل عصر؟ وهل كان العرب قبل الإسلام في قمة التقدم والتحدث والتحضر ثم جاء الإسلام وأخرهم؟ وهل كانت أوربا التي نشاهد ازدهارها العلمي -فقط- الآن كانت سباقة في التمدن والتطور والبحث العلمي عن المسلمين في عصورهم الماضية؟؟

إن هذه الأسئلة لا تحتاج إلى عمق في التفكير، فنظرة واحدة في كتب التاريخ تُبين لنا أن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم صوت ولا دولة، بل كانوا بدواً رحلاً تتخاطفهم دولتان ذات اليمين وذات الشمال هما دولة الفرس والروم، فلما جاء الإسلام وحدهم وطورهم وعلمهم وجعلهم قادة على الدنيا كلها، بل وخضعت لهم دولة الفرس ودولة الروم ودخل أكثرهم معهم في هذا الدين القويم بطمأنينة واقتناع، وظهر من بينهم العلماء والأدباء وقادة الفكر ومكتشفو النظريات الكونية والإنسانية، وذلك كله بفضل الله الذي كرمهم بالإسلام.

أما أوربا وشعوبها فقد كانت في الشمال والغرب لا تزال خارج الوجود المتمدن لا تشعر بأحد ولا يشعر بها أحد وما زال تلاميذنا الصغار في مدارسنا وحضاناتنا حينما يسمعوا كلمة عصور الظلام تنصرف أذهانهم فوراً إلى أوربا في أزمانها القديمة والبعيدة والمستشرقون لا ينكرون ذلك ولا يستطيعون، ويحكي التاريخ «أن الرشيد أرسل إلى شارلمان ساعة دقاقة تدور بالماء فلما ذُهب بها إلى بلاط فرنسا قالوا: إن بها شيطاناً يحركها -هم قالوا هذا- إذن كنّا أصحاب علم وحضارة»[1] وهم كانوا في

(١) رداً على الملاحدة والعلمانيين ص١٦٤.

عصور الظلام. وما وجد الرازي[1] طبيب العرب الأول إلا في ظل الإسلام، وما وجد جابر بن حيان[2] الكيمائي المعروف عند علماء الغرب وأول من وصف أعمال التقطير والتذويب والتحويل والتنجيز إلا في ظل الإسلام.

وليس اسم ابن الهيثم[3] بغريب على أسماع الأوربيين الآن ومنذ عصر النهضة عندهم فقد اغترفوا من نظرياته خاصة ما كتبه (في علم البصريات والضوء).

وغير هؤلاء من علماء الإسلام في علوم التقنية كثير في مختلف التخصصات من رياضة وفلك وطب وتقاويم وتاريخ وفلسفة إلخ وكلها قد نشأت وترعرعت بعد مجيء الإسلام وبذلك أقر علماؤهم والمنصفون منهم من أمثال:

١ - (لوثروب ستودارد) الذي يقول: «إن الإسلام وهو الدين البين الصريح ما كان ليقيد عقل العربي.. بل لما نشر العرب فتوحهم.. عكفوا جادين على ترقية الفنون والعلوم والآداب.. فأضاؤوا العقول وجعلوا الحياة تزدهر ازدهاراً يعد فخراً لهم».[4]

٢ - ويقول (ليو بولد فايس): «إن التاريخ يبرهن وراء كل إمكان للريب أنه ما من دين أبداً حث على التقدم العلمي كما حث الإسلام، وأن التشجيع الذي لقيه العلم والبحث العلمي انتهى إلى ذلك الإنتاج الثقافي الباهر في أيام الأمويين والعباسيين وأيام دولة العرب في الأندلس، وأن أوربا لتعرف ذلك حق المعرفة ؛ لأن ثقافتها مدينة للإسلام بتلك النهضة على الأقل بعد قرون الظلام الدامس...»[5]

---

(١) أبو بكر محمد بن زكريا ولد سنة ١٥٠ هـ في بلاد الري من أعمال فارس، تولى رئاسة الأطباء في عهد عضد الدولة من بين مائة طبيب. انظر: طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص٤١٥ .

(٢) هو جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي ولد بطوس بخراسان عام ١٢٠ هـ من أصول عربية . انظر: حضارة العرب، ص٢٥ لجوستاف لوبون.

(٣) محمد بن الحسن بن الهيثم ولد في البصرة سنة ٣٤٥هـ نفسه وانظر: مقدمة بن خلدون، ص٢٧٢.

(٤) نقلاً عن كتاب قالوا عن الإسلام، ص٣٦٧.

(٥) نفسه ص٣٧٥.

٣- وليسمع أخيراً المستشرقون ما قاله (إيفلين كوبولد) وهو يبكي على سقوط الحضارة الإسلامية في الأندلس: «جاء العرب إلى أوربا ومعهم شعلة العلم في ذلك الزمان الماضي وهو ما يحملنا أن نبكي مصرع الأندلس؛ لأن ذلك كان ضربة للحضارة الحديثة والعمران القديم.. والنبي العربي كان يدعو المؤمنين إلى طلب العلم من أقصى الأرض إلى أقصاها وعرف كلومبوس جامعات أسبانيا الإسلامية وتعلم فيها أن الأرض مدورة... وكانت هذه الجامعات ترحب بطلابها من اليهود والنصارى.. الذين انتظموا فيها ونالوا شهاداتها وتلقوا معارفها»(١).

تلك هي بعض الشهادات التي أدلى بها ثلاثة من المنصفين إخوان المستشرقين ومن أبناء جلدتهم ووطنهم وما ذكروا إلا ما كان واقعاً في الماضي القريب. وفي الحاضر الآن بعض الشواهد تؤكد على ذلك فلو ذهب شخص الآن إلى مكتبة الكونجرس بأمريكا لوجد أن الرسمة المعلية للعملية الكيماوية حتى الآن ما هي إلا صورة عربي أمام الأنبيق وهو يقطر ويجرب، وهذا يدل على أن نواة كل حضارة وبذرة كل علم تقدمي هي من عندنا فهل يقال بعد ذلك أننا أمة متخلفة).(٢)

وهل التخلف كان ملازماً لنا في العصور الماضية؟

إن ما ذكرناه بشهادة غيرنا دل على أن المسلمين لما جربوا الإسلام في الصدر الأول وعرفوا دينهم وما يدعو إليه من بحث وتنقيب وتوكلوا على الله حق توكله تقدموا ونهضوا وسادوا الدنيا، والآن ما لازمهم التخلف الذي يوصمهم به المستشرقون إلا لأنهم هجروا دينهم ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف، ولو استيقظوا وتنبهوا لرجعوا وكانوا مرة أخرى من السابقين هذا هو ما أردت أن أقفه وقفة أولى مع المستشرقين.

---

(١) نفس المصدر، ص٣٩٠، ٣٩١.

(٢) رداً على الملاحدة والعمانيين، ص١٦٥.

أما الوقفة الثانيـــة: فإننا نسمح لأنفسنا أن نصطحب هؤلاء الذين يتهمـون عقيدة القضاء والقدر في الإسلام من المستشرقين بأنها تدعو إلى التـواكـل والكسـل ونقول لهم: فمن أي كتاب وقفتم على هذا الاتهام ومـن الـذي أخـبركـم بـأن هـذه العقيدة في الإسلام هي عقيدة تواكل وتكاسل؟ إنكم إذا أرتم أن تحكموا على الشيء فاذهبوا واطلعوا على مصدره، ونحن مصدرنا في عقيدتنا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكتاب الله يقول لنا: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[1].

وإذا كان التواكل يكون بترك الإنسان للعمل ليعمله له غيره أو اعتماداً على أن الله سينيله ما يتمنى دون عمل فإن الآية هنا لا تشير إلى ذلك التواكل بل إلى التوكل، والتوكل معناه: أن يعمل الإنسان ويسعى ويكد في الأرض ويتخذ كل الوسائل الممكنة وكل الأسباب في الوصول إلى ما يريد، ثم يترك أمر النتائج إلى الله تعالى، فهو الذي قّدرها على قدر العمل وعلم ما يضر منها وما ينفع، فإذا جاءت بما يريد الإنسان فهذا مما يريده الرحمن؛ وإن جاءت على عكس ما يريد فلحكمة يعلمها المريد ولا يعلمها الإنسان؛ لأن كل شيء عنده بقدر، فإذا ما استقر هذا المعتقد في نفس الإنسان أراح واستراح واطمأن قلبه بقدر الله، فهو فعل ما يستطيع والباقي على الله، فهل في هذا الأمر خطأ يراه المستشرقون، ولا نراه وهل في هذا المعتقد أي إشارة لتوقيف عجلة الحياة عن السير في اتجاهاتها الصحيحة؟

أليس في ذلك المعتقد أمن وأمان من الاضطراب النفسي والقلق الفكري والإرهاق العصبي -تلك الأمراض التي يتعايش معها المستشرقون منذ أن علموا بالإسلام، وتلك الأمراض التي تنتشر انتشار النار في الهشيم بين أبناء أوربا مع أنهم في قمة تقدمهم التقني، وما الانتحار السائد في السويد أغنى دولة في دخل الفرد في العالم إلا

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

وحارة في أمريكا وبريطانيا وغيرها من دول أوربا إلا بسبب غياب معتقد التوكل على الله وعدم معرفة الإنسان بأن كل نتيجة بعد اتخاذ الأسباب مقدرة ولا يكون إلا ما يريد الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1].

إن اتهام الإسلام بالكسل والتواكل ترفضه الآيات القرآنية الكريمة والسنة الشريفة وأقوال علمائنا الأجلاء :

١- أما في كتاب الله عز وجل :

أ - **فقد جاء قوله جل وعلا في سورة التوبة :** ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

فلو كانت المسألة في الإسلام مسألة تواكل واتكال على أن كل شيء مكتوب وسيأتي للإنسان بدون وسائل لما قرع الله تعالى آذان الناس المتبعين لدينه بذلك الأمر الحاسم في التوجه إلى العمل والإشعار بأنه لابد أن يكون عملاً متقناً ومحكماً بقدر ما يستطيع الإنسان لأن الآمِرَ بالعمل والخالق لك وللعمل هو الذي سيطّلع عليك وعلى عملك، بل وسيراه رسوله والمؤمنين كذلك حتى لا تصير فضيحة يوم القيامة فعلى المرء أن يتقن ما كلف به.

ب - **وفي سورة الجمعة يقول تبارك وتعالى :** ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

أي إذا فرغتم من أداء فريضة الصلاة فلا تناموا أو تقعدوا ظانين أن أداءكم لفرض الله سيغنيكم عن البحث عن الرزق فهذا خطأ فادح «بل تحركوا وانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم»[4] ولا تنسوا أن تصطحبوا معكم ذكر الله فهو خير معين لما تقومون به.

---

(١) سورة الطلاق، الآية : ٣.

(٢) سورة التوبة، الآية : ١٠٥.

(٣) سورة الجمعة، الآية : ١٠.

(٤) مختصر تفسير البغوي ج٢ ص٩٤٥.

ج ـ ومثله قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[1] أي قد أبحنا لكم الصيد والبحث عنه بعد أن كان محظوراً عليكم بعد إحرامكم[2].

د ـ وأيضاً قوله تبارك اسمه في سورة الملك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[3].

يقول ابن كثير: أي مسافرين حيث جئتم من أقطارها.. واسعوا لطلب المكاسب فالسعي لا ينافي التوكل[4] فلو توكل الإنسان على الله حق توكله لرزقه كما يرزق الطير، وأقول توكل لا تواكل كما يزعم المستشرقون.

هـ- وأيضاً قوله جل وعلا في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾[5]

فلو كان الإيمان وحده يكفي لترك أخذ الحذر لما جاء قوله تبارك وتعالى للمؤمنين بأن، يأخذوا حذرهم فالأخذ بالأسباب أمر لابد منه في الإسلام وكل الآيات التي تحدثت في القضاء والقدر أشارت إلى اختيار الإنسان في هذه الأمور، والمسلم الصادق الفاهم لعقيدة القدر يعلم أن الله خالق كل شيء؛ لأن كل فعل اختياري يتم فإنه يصح أن ينسب للإنسان على أنه السبب فيه وإلى الخالق على أنه الخالق له وعليه التوكل وبيده النتائج؛ لذا لا يصح أبداً إهمال الأسباب.

٢- أما في السنة المطهرة:

فقد جاءت تأكيدات كثيرة من أشرف الخلق ﷺ على الأخذ بالوسائل والأسباب حتى يتقوى الإنسان في كل شؤونه ولا يكون ضعيفاً وصعلوكاً في المجتمع، وأكتفي بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه من أن النبي ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج٢ ص٦.
(٣) سورة الملك، الآية: ١٥.
(٤) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤٠٦.
(٥) سورة النساء، الآية: ٧١.

إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدَّر الله كان وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان».[1]

ولو لم يوجد في السنة كلها غير هذا الحديث الصحيح لكفى إلجاماً لأفواه المستشرقين الذين يدعون أن الاعتقاد بالقدر قد أصاب المسلمين بالعجز والإحباط فهو يدعو بكل قوة إلى الربط بين الاعتقاد والأخذ بالأسباب، ويبين أن الأخذ بالأسباب لا ينافي هذا الاعتقاد، وعلى المؤمن بعد أخذه بالأسباب أن يكون مطمئن القلب ولا يجزع من النتائج ولا يصرخ ولا يلطم الخدود كم يفعل الجاهلون، بل يقول بكل هدوء قدر الله كان وما شاء فعل، ولا يجعل للشيطان سبيلاً إليه لكي يحاجج في القدر ويقول لو كان كذا لكان كذا (فلو) هذه لا يصح أن يتلفظ بها من عمل كل جهده وتوكل على خالقه.

٣- أقوال العلماء تؤكد على التوكل:

وجاءت أقوال علمائنا الأجلاء لتواصل مسيرة التأكيد على أن عقيدة القضاء والقدر هي عقيدة توكل كما أشار الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وليست عقيدة تواكل وكسل كما زعم المغرضون ونسوق من هذه الأقوال مايلي:

أ- **يقول الإمام أحمد** -رحمه الله- في طرح عقيدته: «ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله»[2].... «وأن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله والصبر تحت حكمه والأخذ بما أمر الله به والنهي عما نهى عنه وإخلاص العمل لله..»[3].

(١) رواه مسلم في صحيحه، ج٤ ص٢٠٥٢ حديث رقم ٢٦٦٤.
(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد، ص٢١٩ لابن الجوزي تحقيق د/ عبد الله التركي، تصحيح محمد عمر.
(٣) نفسه ص٢٨٨.

فالإمام أحمد -رحمه الله ورضي عنه- لم ينس أن يذكر الناس بأن العمل في الإسلام مطلوب فيه الإخلاص والجدية، وهو لاينفي الاعتقاد في صحة ما قدر الله وما قضاه.

ب- **ويقول الإمام ابن قتيبة** -رحمه الله-: «وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور... فإن أعطى فبفضل وإن منع فبعدل، وأن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون...»[1].

ج- **ويقول شارح الطحاوية**: وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض ومنه مستحب ومنه مباح... ومنه مكروه وقد كان النبي أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب ويمشي في الأسواق للاكتساب»[2].

د- ويقول الشيخ محمد الغزالي: « وقد أحسن سلفنا الإيمان بهذه العقيدة، فكان أثرها في مسلكهم رائعاً وإذا علم الواحد منهم أن أجله مكتوب لا ينقصه الإقدام ولا يزيده الإحجام أدى واجبه على وجهه الأكمل وفي أذنيه دوي الوحي الإلهي ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

وهكذا يتبين أمامنا أن علماءنا الأجلاء وسلفنا الصالح الأوفياء لم تكن عقيدتهم في القدر مصدر تكاسل أو تقاعس أو تثاقل إلى الأرض بل كانت مصدر حركة وحيوية وفتح للبلاد ونشر لدين الله وكشف وتنقيب عن مكنوزات الله تعالى في كونه، كما كانت أيضاً مصدر اطمئنان واستقرار نفسي ولا تزال إلى الآن أكبر داع إلى العمل الجاد

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهه ص٢٣١ عن القضاء والقدر، ص٣٨١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص٣٥٢.

(٣) عقيدة المسلم، ص١١٨.

المستمر في كل جنبات الحياة شريطة أن يتسلح المؤمن بالتوكل على الله بعد تقديم كل ما لديه من أسباب، ويحمد الله على النتيجة إن كانت سراء ويصبر ولا يجزع إن كانت من وجهة نظرة ضراء؛ لأن الله تعالى له حكمة وتقدير لا نعلمه نحن ولا نصل إليه بعقولنا القاصرة.

فهو وحده يعلم ما تؤول إليه الأمور وعلمه علم انكشاف للماضي والحاضر والمستقبل: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾(1).

ولا نملك في النهاية إلا أن نصرخ في آذان كل غلاة المستشرقين ونقول بعد أن عرفوا الحق وجحدوه وشاهدوا النور وعن بني جلدتهم والإنسانية أخفوه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾(2).

اللهم اجعل منتهى مطالبنا رضاك

وأقصى مقاصدنا ما يعدنا لأن نلقاك

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

كتبه العبد الفقير إلى الله دائماً

دكتـــور

عبد المنعم فؤاد محمود عثمان

الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ١٤١٩هـ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٧-٩.

الخاتمة

- نسأل الله حسنها -

قد تبين مما سبق عرضه أن المستشرقين يقومون بجهود جبارة في ضرب الإسلام وأصوله ولم يقصروا في ذلك، وقد آن الأوان لعلماء المسلمين أن يتكاتفوا بكل قوة ويتجمعوا ويواجهوا هؤلاء بجهود أكثر مما هو واقع وبعمل أكثر مما هو قائم ، وإنني لأدعو أن تصدر دوريات ومجلات ونشرات بمختلف اللغات في بلاد العالم الإسلامي لبيان أصول الإسلام وفضح مخططات أهل الاستشراق حول هذه الأصول، كما أتمنى أن تتكاتف الجهود في مشروع عمل لإصدار **(دائرة معارف إسلامية)** يقوم بإعدادها متخصصون في كل فنون العلم من المسلمين لهدفين:

الأول: لكي يُستقى منها الفكر الصحيح والمعلومات الحقيقية.

الثاني: لمواجهة دائرة معارف المستشرقين وكشف افتراءاتهم على ديننا الحنيف.

كما أتمنى أن تكون للحكومات الإسلامية يد طولى في إمداد هذا المشروع وتشجيعه لكي يكون علامة مضيئة في طريق الباحثين من الشباب .

والله ولي التوفيق ،،

أهم المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم جل من أنزله.

٢ - أحكام القرآن - أبو بكر العربي - دار المعرفة بيروت ١٩٧٢م.

٣- أساليب الدعوة الإسلامية د/ أحمد العمار. دار إشبيليا.

٤ - الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية - قاسم السامرائي - دار الرفاعية للنشر والطباعة ١٤٠٣ هـ أولى.

٥ - الاستشراق تاريخه وأهدافه - د/ أحمد شلبي .

٦ - الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي د/ أحمد عبد الرحيم السايح الدار المصرية اللبنانية.

٧- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - د/ محمود حمدي زقزوق - كتاب الأمة - قطر ١٤٠٤هـ.

٨- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر. سلسلة دعوة الحق /٢٤ مكة المكرمة رابطة العالم الإسلامي.

٩ - الإسلام -هنري ماسية- ترجمة بهيج شعبان.منشورات عويدات بيروت ١٩٦٠م.

١٠ - الإسلام يتحدى - وحيد الدين خان - ترجمة ظفر الدين خان مراجعة د/ عبد الصبور شاهين - مكتبة القرآن.

١١ - أشعة خاصة بنور الإسلام - أتين دينيه - ترجمة الأستاذ/ راشد رستم سلسلة الثقافة الإسلامية ١٣٧٩هـ.

١٢ - أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن.للشنقيطي. عالم الكتب. بيروت.

١٣ - أضواء على الاستشراق د/ محمد عبد الفتاح عليان.

١٤ - أطوار الخلق في تاريخ الإنسان - د/ أحمد شوقي إبراهيم .

١٥ - الغزو الفكري أبعاده ومواجهته د/ عبد العزيز تمام- رقم إيداع بدار الكتب المصرية ٩٥٧٧/ ١٩٩٠م.

١٦ - الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - الشيخ أحمد بشير.
١٧ - أوربا والإسلام - د/ عبد الحليم محمود.
١٨ - بغية المرتاد)السبعينية(لشيخ الإسلام بن تيمية.
١٩ - التبشير والاستعمار - مصطفى خالدي وعمر فروخ.
٢٠ - تاريخ الشعوب الإسلامية - بروكلمان.
٢١ - تراث الإسلام . تصنيف شاخت وبوذرث _عالم المعرفة الكويت ١٩٨٨م.
٢٢ - تفسير الطبري (جامع البيان) طبعة الحلبي.
٢٣ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير - دار التراث العربي القاهرة ، ودار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٧م.
٢٤ - التفسيرالكبير للرازي - دار إحياء التراث العربي.
٢٥ - التلمود - زهدي الفاتح.
٢٦ - جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام. لابن القيم. دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.
٢٧ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . شيخ الإسلام بن تيمية. مطابع المجد التجارية.
٢٨ - حضارة العرب. غوستاف لوبون - ترجمة عادل زعيتر.
٢٩ - دائرة المعارف الإسلامية ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرين.
٣٠ - دراسات استشراقية وحضارية ، كتاب محكم تأليف نخبة من الباحثين كلية الدعوة بالمدينة العدد الأول ١٤١٣هـ طبعة جامعة الإمام .
٣١ - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين للشيخ محمد الغزالي طبعة نهضة مصر.
٣٢ - رداً على الملاحدة والعلمانيين للشيخ الشعراوي دار الطباعة الحديثة.
٣٣ - الرسالة التدميرية . مجمل اعتقاد السلف لابن تيمية طبعة جامعة الإمام.
٣٤ - الرسول) في كتابات المستشرقين للأستاذ/ نذير حمدان. دار الأصفهاني للطباعة بجدة.
٣٥ - رؤية إسلامية للاستشراق . أحمد عبد الحميد غراب دار الأصالة للثقافة والنشر.
٣٦ - الروح لابن القيم.
٣٧ - شبهات التغريب للأستاذ أنور الجندي.
٣٨ - شبهات خصوم الإسلام والرد عليها. للشيخ الشعراوي. دار القلم - بيروت.

٣٩- شرح العقيدة الطحاوية. للقاضي على بن محمد أبي العز الدمشقي، تحقيق د/ عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤٠- صحيح البخاري (مع فتح الباري) دار الريان.

٤١- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. المكتبة الإسلامية.

٤٢- العقيدة الإسلامية وأسسها. عبد الرحمن الميداني ١٣٨٥هـ.

٤٣- عقيدة اليهود في الله والأنبياء. سعد عابد توفيق الهاشمي.

٤٤- عقيدة ختم النبوة. أحمد سعد الغامدي دار طيبة ١٤٠٥هـ.

٤٥- العقيدة والشريعة في الإسلام.جولد تسيهر. ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون.

٤٦- عقيد المسلم الشيخ محمد الغزالي. دار الكتب الإسلامية. القاهرة.

٤٧- فتح القدير للشوكاني - المكتبة التجارية - مكة المكرمة.

٤٨- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. د/محمد البهي. مكتبة وهبة.

٤٩- في ظلال القرآن - الأستاذ/ سيد قطب - دار الشروق.

٥٠- في نور العقيدة الإسلامية - د/سيد أحمد المسير- ط وزارة الأوقاف المصرية.

٥١- قالوا عن الإسلام. د/ عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٥٢- موسى الكتاب المقدس تأليف مجموعة من اللاهوتيين طبعة بيروت.

٥٣- القاموس المحيط للفيروزيادي مؤسسة الرسالة.

٥٤- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي. دار المعارف مصر.

٥٥- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود -دار الوطن، الرياض.

٥٦- قضايا معاصرة في ضوء الإسلام - د/حلمي عبد المنعم- دار عالم الكتب للطباعة والنشر بالرياض.

٥٧- قضية الألوهية بين الفلسفة والدين والله.. والإنسان، الأستاذ/ عبدالكريم الخطيب - دار الفكر العربي.

٥٨- الكتاب المقدس - طبعة العيد المئوي، دار الكتاب المقدس بمصر.

٥٩- الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - وليم إدي - نشر مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - بيروت.

٦٠- الكنز المرصود في فضائح التلمود د/ حسين رضوان الليبيدي.

٦١- لسان العرب لابن منظور - دار صادر - بيروت.
٦٢- لماذا القرآن - د/ حسين رضوان اللبيدي.
٦٣- لمحات في الثقافة الإسلامية .عمر عودة الخطيب. مؤسسة الرسالة. بيروت.
٦٤- الماركسية بين الدين والعلم -د/جميل أبو العلا- مطبعة الأمانة.
٦٥- مختصر تفسير البغوي - تعليق د/ عبد الله المزيد- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٦٦- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د/ عبدالرحمن عميرة.
٦٧- المستشرق نيوكلسن ومفترياته على الإسلام -رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين بالرياض محمد يوسف الكباشي.
٦٨- مسند الإمام أحمد - تحقيق الأستاذ/ أحمد شاكر.
٦٩- المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها . د/ عبدالمنعم فؤاد.
٧٠- مع المفسرين والمستشرقين - زاهر الألمعي ، مطابع الفرزدق.الرياض.
٧١- معجزة القرآن - فضيلة الشيخ الشعراوي.
٧٢- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية ط ١٩٧٢م.
٧٣- معجم مقاييس ابن فارس.
٧٤- مناقب الإمام أحمد. ابن الجوزي . تحقيق د/ عبدالله التركي.
٧٥- الملل والنحل للشهرستاني . دار مكتبة المتنبي بيروت . لبنان.
٧٦- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة د/ناصر القفاري ، ود/ناصر العقل دار الصميعي للنشر والتوزيع.
٧٧- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . الندوة العالمية . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر - تقديم د/ مانع الجهني.
٧٨- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم . د/ محمد عبدالله دراز دار طيبة.
٧٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم - مكتبة السوادي جدة.
٨٠ ـ اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام. د/ فرج الله عبد الباري ، دار الوفاء ـ مصر.

الفهـــرس